صحيح البخاري

نهاية أسطورة

معلومات المصنف
الكتاب: صحيح البخاري/نهاية أسطورة
الكاتب: رشيد أيلال
الصنف: دراسة
عدد الصفحات: 283
حجم/ مقاس: 17/24
الناشر: دار الوطن
الطبعة الأولى 2017
رقم الإيداع القانوني بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية: MO 0974 2017
الترقيم الدولي: 978-5499-486-27-8 ISBN
التصميم والخدمات الفنية:
دار الوطن
للصحافة والطباعة والنشر
7، رقم 1 زنقة الكوفة شارع مولاي يوسف الرباط10000 / المغرب
Daralwatan2012@gmail.com
+212537703936
+212673420256
تنفيذ الإخراج: جهاد الشراط

البريد الالكتروني للكاتب: aylalpress@gmail.com

رشيد أيلال

صحيح البخاري

نهاية أسطورة

دار الوطن
للصحافة والطباعة والنشر

إهداء

إلى كل من أعيته تناقضات وخرافات المرويات

وحار أمره بين تمحيصها أو تقديسها

أهدي هذا الكتاب

المؤلف

تصدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسولنا الكريم محمد بن عبد الله الذي وصفه الباري سبحانه وتعالى بقوله : "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

وبعد،

يعيش العالم الإسـلامي اليوم، حركة غير مسـبوقة في انتقـاد التراث الديني، تناولت جميع المرويات المنسوبة للرسول الكريم، بالمناقشة والتمحيص، على أوسع نطاق، لمـا حملته هاته المرويات من تناقضات، وخرافـات، ومعارضة لمقتضيات المنطـق والعقل، ومعارضتها أيضـا لصريح النصوص القرآنيـة، في الكثير من المضامـين، بـل إن النقاشـ انتقل من الوسـط الفكري، الذي يضـم العديد من المثقفين والباحثين، إلى الوسط الديني أيضا داخل بعض المؤسسات ذات الطابع الديني، حيث تخرج من هاته المؤسسات فقهاء ومحدثون -من الأزهر مثلا- بدأوا يناقشـون هاته المرويـات ويمحصونها، ويأخذون منها ويدعـون وينتقدون، فتم التعامـل مع هاته النصوص، على أساس انها نصوص تاريخية، لا قدسية لها، و شرع هؤلاء في تمحيصها بنفس الآليات العلمية والعقلانية التي يتم بها مناقشة وتمحيص النصوص التاريخية.

ومما ساعد على هاته الحركة الفكرية بخصوص انتقاد التراث الديني، ما يعيشه العالم اليوم من ثورة علمية غير مسبوقة أيضا، جعلت العقل البشري يتبوأ مكانة السيـادة والريادة في جميع المجالات، فاتحـا مستقبل البشرية جمعاء، على آفاق واسعة من التقدم المذهل في شتى ميادين الحياة، بل إن تقدم الوسائل والوسائط والتكنولوجيـا العلمية مكنت البشرية من التعرف علَى الماضي في كلياته، وحتى

السحيق منه، وكأنها تعيش تلك العصور البائدة، كما ساعدت تلك الوسائل على التحقق من مصداقية الروايات التاريخية، و الأعمال المنجزة في هذا الصدد قبل قرون.

ومن الكتب التراثية الِتي لقيت انتقادا كبيرا منذ تأليفها كتاب «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه» الشهير بالجامع الصحيح أو صحيح البخاري، حيث أنجزت العديد من الدراسات والبحوث والتحقيقات التي تناولته بالانتقاد، لإبراز الأحاديث والآثار الواردة فيه، سيما الأحاديث المناقضة للعقل والعلم والقرآن، والأحاديث المنحولة والمأخوذة من الإسرائيليات، وغيرها من البحوث التي صار معها «صحيح البخاري» من أكثر الكتب إثارة للجدل على مرّ التاريخ الإسلامي.

ورغم الحملة القوية التي واجهها صحيح البخاري من حيث انتقاد مضامين الأحاديث الواردة فيه، ومن حيث انتقاد بعض رجاله الذين روى عنهم مؤلف الكتاب أحاديثه، ومن حيث الانتقادات التي وجهت لمحمد بن اسماعيل البخاري نفسه، إلا أن فئة الشيوخ والفقهاء والمحدثين ظلت في مجملها متمسكة بالجامع الصحيح على أساس أن كل ما فيه صحيح، وأنه أصح الكتب بعد كتاب الله، بل تم حمل سلاح التفسيق والتكفير والزندقة في وجه كل من ينكر أحاديث في هذا الكتاب أو يوجه إليها سهام انتقاداته، حتى لو عارضت متونها كتاب الله الموحى إلى نبيه، فصار لدينا كتاب فوق النقد، وفوق العلم، وفوق العقل، بل فوق القرآن نفسه لدى معظم الشيوخ مع كامل الأسف.

وأنا كغيري من الباحثين توجهت في بداياتي إلى التنقيب في هاته الأحاديث المروية في صحيح البخاري، فوجدت أن المئات منها تحبل بكوارث خطيرة، فمنها ما يسيء إلى مقام الألوهية، ومنها ما يسيء إلى مقام النبوة، منها ما يسيء إلى مقام الإنسان نفسه والمرأة على وجه الخصوص، إلى أن لمع في تفكيري سؤال بخصوص أصالة كتاب "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله

صلى اللــه عليه وسلّم وسننه وأيامه" الشهير بصحيــح البخاري، ليبرز السؤال حول من ألف صحيح البخاري؟!!

هــذا السؤال المحوري قد يبــدو في أول وهلة سؤالا بليــدا وعجيبا، لأن مؤلف صحيــح البخاري معروف وهو الشيــخ محمد بن إسماعيل البخــاري، لكن بعد قــراءة هذا البحث الذي أقدمه بــين يديكم أيتها القارئة، أيهــا القارئ، ستتضح لكمــا مشروعية السؤال الــذي طرحناه لإسقاط اسطــورة صحيح البخاري من برجها المبني على خرافة تقديس الرجال، ورفعهم إلى مكانة تفوق مكانة الأنبياء.

وقــد أفردت فصلين كاملين من هــذا الكتاب لمناقشة ما أطلقت عليه آفة تدوين الحديث وآفة علم الحديث، لنقف جميعا على عيوب هذا الذي يطلق عليه «علم» الحديــث، كمدخل أساس لمناقشــة العلاقة التي تربط الشيــخ البخاري بكتاب "الصحيــح" المنسوب إليه، كما أفردت فصلا آخر لإبراز الأساطير التي نسجت حــول كتاب الجامــع الصحيح للبخــاري، وحــول الشيخ محمد بــن إسماعيل البخــاري، وقد وقفنا عليهــا لتمحيصها، وإبراز تفاهتهــا وتهافتها لنخلص إلى باقي فصــول كتابنا، ونقوم بعرضــ وتشريح للمخطوطات الموجــودة بين أيدينا لصحيــح البخاري، وما قالــه أئمة الجرح والتعديل من الحفــاظ والمحدثين "أهل الاختصاصــ" بخصوص هاته النسخ المخطوطة، لنقــف على حقائق صادمة تم تغييبهــا أو إخفاؤها بشكل خطير من طرف هؤلاء الشيوخ، ونخلص في النهاية إلى أن هــذا الكتــاب بشكله الحالي مؤلفه مجهول، ولا تربطــه أي علاقة بالشيخ البخاري.

فــإلى فصول الكتاب، وأطلب مــن القارئة الكريمة والقــارئ الكريم، أن يصبر علينا إلى حين إنهاء فصوله، وبعد ذلك ليحكم بناء على ما قدمناه وما تحصل لديه من خلال الاحتكام إلى العقل والمنطق السليم، وبالله التوفيق.

في مراكش صبيحة يوم السبت 24 شتنبر من سنة 2016

رشيد بن حميد أيلال

مقدمة الناشر

كتاب العقل

﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين﴾ (صدق الله العظيم)

لعل الكثير من المهتمين والمتتبعين لإصدارات «دار الوطن» للصحافة والطباعة والنشـر، يترقبون منها إبداعا فكريا جديدا – كما عوّدتهـم دائما- يسلّط أنوار الحق على ظلمات الباطل، فتتلاشى خرافات الضلال وأساطيره، بأقلام جريئة لا تخـاف في الحقّ لومة لائم. تحرّك البرك الآسنة، وتـرجّ الأدمغة المتكلّسة، بسلاح العلـم، بالحجّة الدامغة والبراهـين المنطقية القويّة المستمدّة مـن كتاب الله الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت 42) ﴿إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر 9)

وهاهي اليوم بعد كتاب العصر "نظرية آذان الأنعام دراسة قرآنية علمية لأبحاث داروين في الخلق والتطـور" وكتاب القـرن "أمي كاملة عقل وديـن" للمرحوم الدكتور عماد حسن، وكتاب الموسم "وأنذر عشيرتك الأقربين" للباحث الأستاذ، ممـدوح كوشباي، و"سراق الله، الإسلام السياسي في المغرب، تأملات في النشأة والخطاب والأداء" للأستاذ الباحث إدريس هاني.

تقـدّم دار الوطـن لقرائها الكرام صرخة حق من جبـال الأطلس الكبير، تعبّر عـن موقف جيل جديد مـن المفكّرين والباحثين الذين عقـدوا العزم على نصرة ديـن الإسلام، دين الله، دين السلام، دين المحبـة والإخاء، وعلى تبرئة الرسول المصطفـى صلى الله عليه وآله وسلم من كـذب الأفّاكين وخفافيش فقه الظّلام، الذين يحرّفون الكلام عن مواضعه ليشتروا بآيات الله ثمنا قليلا.

إنــه المؤلّف الجديــد كتاب العقل «صحيــح البخاري» نهايــة أسطورة للباحث الأستــاذ رشيد أيلال الذي يقدم فيه المؤلّــف الأدلة والوثائق التي لا تقبل الشّك علــى أن (محمد بن إسماعيل البخاري) لا علاقة له بجل إن لم نقل بكلّ ما نُسب له في ما يسمى «صحيح البخاري» .

الكثــير من الأساطــير والحكايات الخرافية نسجت حول هــذا "الصحيح" غير صحيحــة، خاصة وأنــه لا يوجد إجماع حتى بــين السلفيــين أنفسهم على هذا الكتــاب (الصحيح)، وإذا كان الباحث لم يأت بشــيء من عنده، فإنه بذل جهدا مضنيــا في البحــث والتنقيب، الذي أخــذ منه سنوات من الوقــت، واستطاع أن يجمــع ما توصل إليه من مصــادر أهل السلف ما لم يسبقه إليه أحد، فخرج بهذا الكتاب الجامع عن كتاب:

الجامــع المسند الصحيــح المختصر من أمور رسول الله صلــى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الذي اشتهر ب: «صحيح البخاري»، ويعتبره كثير من علماء الأمة مــع الأســف «أصح كتاب بعد كتاب اللــه تعالى» وهو ما يفنــده الكاتب بالدليل والحجة القاطعة حيث لا يوجد إجماع على صحة كل ما دون في هذا «الصحيح»

إننــا في حاجــة ماسة لمثل هذه الدراسات التي تجلي الغبار عما علق في أذهان أبنــاء الأمة الإسلامية عبر قــرون من الزمن خلت، وما وصــل إلينا عبر مؤلفات ومصنفــات مجهولة المصدر أحيانا، ومجهولة النسب أيضا، وبهذا الوصف تعتبر مثــل هــذه المصنفات لقيطة، وقد آن الأوان لإعادة النظــر في محتواها، خاصة ما ينسب في صفحاتها إلى رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن هنــاك أحاديث وأقــوال يستحيل أن ينطق بها رســول الرحمة والهدى، أما شخصيــة الإمام البخاري – في حالة وجود شخصية بهذا الاسم – فقد أحيطت بهالــة من التعظيم والتقديســ لدرجة أنه يمنع عليك أن تفكــر حتى في نقدها أو الاقتراب منها، ولعل الكثيرين سوف يسارعون إلى ممارسة هواياتهم المفضلة في

السب والشتم واللعن، لكننا نطلب من هؤلاء أن يتحلوا بقليل من الصبر حتى إتمام قراءة هذا المؤلف ومن ثم الحكم عليه بما يستحق، إشادة أو ازدراء..

وأنا أدعو الباحثين المنقبين في بطون كتب التراث، إلى أن يقارنوا بين الديانة الزراديشتية التي كان مهدها بلاد فارس قبل مجيء الإسلام، وبين بعض ما ورد في كتاب "صحيح البخاري" سيما في مسألة «المعراج»، ليقفوا على تأثير الديانة بل الديانات والتقاليد الفارسية القديمة على هذا الكتاب وتشبعه أيضا ببعض العادات التي كانت معروفة لدى أهل فارس، سيما إيران التي أضحت في ما بعد شيعية صفوية.

ومن هنا أشك أن هذا البخاري وصحيحه إنما هو جزء من تشويه الفرس للإسلام وتراث المسلمين الديني، ومما نراه ضمن هذا التشويه المتعمد الذي انطلى على عامة المسلمين الشيعة، ما يمارس من طقوس غريبة عن الإسلام عموما ومذهب آل البيت خصوصا، مثل: التطبير خلال موسم عاشوراء، الذي يفضي إلى إحداث آلام خطيرة في جسد الانسان من ضرب بالسيوف على الرؤوس واللطم على الصدور، وكذلك وجوب الصلاة على التربة الحسينية إلخ.. ذلك من الخرافات والأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان. ولا هي من مذهب آل البيت الطاهر.

إنها دعوة صادقه وصادمة في نفس الوقت من أجل تطهير كتب التراث السنية والشيعية على السواء من الخرافات والترهات. والعودة إلى المنبع الإسلامي الصافي: القرآن الكريم، الذي حين عجزوا عن تحريفه راحوا يؤلفون ما أسموه بالأحاديث كذبا وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لنتأمل معا هذه الآيات:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ(38) ﴾ (سورة الأنعام)

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد 24)

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (سورة الإسراء 9)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت 42-41).

﴿..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة المائدة 3)

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8)﴾ (سورة الجاثية).

عبد النبي الشراط
مدير دار الوطن
الرباط في يوم الجمعة 10 مارس 2017

الفصل الأول: آفة تدوين الحديث

- » منع الرسول للصحابة من تدوين كلامه
- » أنصار الحديث يخالفون الحديث
- » عذر أقبح من زلة
- » السنة قاضية على الكتاب
- » السنة ناسخة للقرآن
- » حرب المرويات

منع الرسول للصحابة من تدوين كلامه:

لا يمكـن أن نناقش كتاب الجامع الصحيح قبـل أن نقف جميعا من خلال هذا الفصـل علـى ظروف تدوين الحديث بشـكل عام، ونشأة ما أطلـق عليه من بعد «علـم» الحديث، حيث يظن عوام الناس أن الحديث وحي كان مرادفا للقرآن من حيـث النـزول، وأن الرسول أمر بتدوينه إلى جانب القـرآن، غير أن الحقيقة غير ذلـك، فقد حكى العديد من رواة الحديث أنفسهم منع رسول الله صحابته الكرام مـن تدوين كلامه، ونحن بعجالة سنورد بعض الأحاديث التي يعتبرها المحدثون صحيحـة، والتي تمنع تدويـن الأحاديث، كما سنورد بعضـ الآثار عن صحابته الكرام والخلفاء الراشدين من بعده، تبرز كيف حافظوا على طاعة أمره صلى الله عليه وآله وسلم في منع كتابة الحديث.

فقـد روى أحمد ومسلم والترمـذي والنسائي والدارمي "شيـخ البخاري" من حديـث عن ابـي سعيد الخدري أن رسول الله قـال: "لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه".

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: "جهدنا بالنبي صلى الله عليـه وسلم أن يـأذن لنا في الكتابة فأبى" (4/2298) كتـاب الزهد والرقائق باب التثبـت في الحديـث وحكم كتابة العلـم، من طريق زيد بن أسلـم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به.

وأخـرج الدارمـي -وهـو شيـخ البخـاري- عـن أبـي سعيـد الخـدري بأنهـم استأذنـوا النبـي صلـى اللـه عليـه وسلـم في الكتابـة فلم يـأذن لهم. وقـد سار الخلفاء الراشدون على نفس النهـج في عدم كتابة الحديث، حيث ورد في تذكـرة الحفاظ للذهبي "من مراسيل ابن أبي مليكة" أن أبا بكر الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا

بيننـا وبينكم كتـاب الله» (تذكرة الحفّاظ 1: 2 3، حجّيّـة السنّة: 394. وفي رواية عـن طريق مالك بـن أنس أن عمر قال عندما عدل عن كتابة السنة: "لا كتاب مع كتاب الله")

وأخرج الحافظ بن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع بيان العلم والحافظ الذهبي في تذكـرة الحفـاظ عن قرظة بن كعب أنه قال: "لما سيرنـا عمر إلى العراق مشى معنا عمر إلى صرار، ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: أردت أن تشيعنا وتكرمنا. قـال: إن مع ذلك لحاجة، إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهـم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككـم قال قرظة: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وورد في طبقـات بن سعـد: "أن الأحاديث كثرت على عهـد عمر بن الخطاب فأنشـد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بهـا أمر بتحريقها"، الطبقات الكبرى لابن سعد رقم الحديث 5987

وروى الحافظ بن عبد البر والبيهقي في المدخل عن عروة أن عمر أراد أن يكتب السـنن فاستشار أصحاب النبي- كمـا عند البيهقي- فأشـاروا عليه أن يكتبها فطفـق عمر يستخير الله شهرا، ثم أصبح يوما وقـد عزم الله له، فقال إني كنت أريـد أن أكتـب السنن، وإني ذكرت قومـا كانوا قبلكم كتبوا كتبـا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا. وفي رواية البيهقي "لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا". المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي رقم الحديث 590.

وفعلا من هنا جاءت آفة الحديث وصدق تكهن عمر بن الخطاب، فكل الشيوخ والفقهـاء ومنذ أن بدأ عصر التدوين، إلى يـوم الناس هذا، انكبوا على الحديث وهجروا كتاب الله، لصالح مرويات ظنية الثبوت في غالبيتها.

وفي تاريـخ ابن عساكر ورد عن عثمان بن عفان أنه قال: "لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر" (تاريخ دمشق لابن عساكر

رقم الحديث 40116، مشيا على ما نهجه الخليفتان من قبله في عدم تدوين كلام المصطفى.)

هذا غيض من فيض الأحاديث والآثار التي تدل دلالة قطعية على منع الرسول لأصحابة من تدوين كلامه، بل إن المنع بلغ درجة التشديد، من خلال النصوص التي أوردناها، وكعادة كل روايات تاريخية خاضعة لأهواء البشر ومصالحهم، وأهدافهم الشخصية، تم إيجاد وصنع أحاديث أخرى تأذن بتدوين كلام الرسول، ورغم أن الاضطراب واضح والتناقض جلي بين النصوص الحديثية المشددة على منع كتابة كلام الرسول، وبين النصوص الحديثية المجيزة للكتابة، ورغم أن الكثير من المحدثين حاولوا جاهدين أن يبرروا هذا التناقض حينا، وأحيانا أخرى يعمدون إلى تضعيف بعض هاته الأحاديث المشددة على المنع، أو يحاولون اللجوء إلى النسخ مهربا، غير أن أحاديث منع التدوين والكتابة، تبقى هي الأقوى والأكثر حضورا، وهذا ما يفسر إعراض الخلفاء الراشدين ومعهم جمع غفير من الصحابة عن تدوين الحديث.

وهنا ارتأيت أن أنقل لكم ما أورده المفكر المصري محمود أبو رية رحمه الله في كتابه «أضواء على السنة المحمدية» نقلا عن الفقيه المحدث رشيد رضا رحمه الله صاحب المنار في الموازنة والمقارنة بين أحاديث منع كتابة الحديث، والأحاديث المجيزة له، قال رشيد رضا: «إن أصح ما ورد في المنع من كتابة الحديث ما رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وابن عبد البر في كتاب العلم وغيرهم عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: "لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"».

وإن أصح ما ورد في الإذن، حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما مرفوعا: "اكتبوا لأبي شاه" وهو لا يعارض حديث أبي سعيد وما في معناه على قاعدتنا التي مدارها على أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابة حديثه مراد به ألا تتخذ دينا عاما كالقرآن، وذلك أن ما أمر بكتابته لأبي شاه هو خطبة خطبها صلى الله

عليـه وآله وسلم يوم فتح مكة، موضوعها تحريم مكة ولقطة الحرم، وهذا من بيانه صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن الذي صرح به يوم الفتح، وصرح به في حجة الوداع وأمر بتبليغه، فهو خاص مستثنى من النهي العام. وقد صرح البخاري في بـاب اللقطة من صحيحه بأن أبا شاه اليمنـي طلب أن تكتب له الخطبة المذكورة، فأمر صلى الله عليه وآله وسلم بإجابة طلبه»انتهى.

إذن فحسـب تحليل الفقيه المحدث رشيد رضا، فإن المنع ينصب بالأساس على تدويـن كلام الرسول على أساس أنه دين، إذ لا وحي إلا القرآن، ولا كتاب أنزل علـى الناس باعتبـاره وحيا إلا كتب الله المنزلة على أنبيائـه والتي منها القرآن، بالإضافـة إلى أن بيان الرسول الذي ألقـاه بخصوص فتح مكة، هو بيان سياسي لقائد دولة وليس لرسول، فلا وجود للرسالة في خطبته إلا من حيث البيان.

إذن فقـد تحـوّل تدوين الحديـث إلى آفة، جعلت المسلمـين يبتعدون عن كتاب اللـه، وأصبح التشريع يؤخذ بالأساس من الحديـث بدل القرآن، فانشغل الناس بالحديـث وجمعه والاستنباط منه، في حين لم يعد للقرآن دور إلا في الاستشهاد للنصـ الحديثي، فغدت المرويـات البشرية الصرفة هي أسـاس التشريع، وهي الديـن، رغم أن هناك منع من طـرف الرسول واضح من تدويـن هاته المرويات، حيـث أن الله لم يتكفـل إلا بحفظ كتابه الموحى إلى عبـده ونبيه، فيسهل على ذوي النفوسـ الخبيثة أن تـزّور وتغير في الدين كيفما شاءت تحت مسمى السنة، أو الحديـث، وهذا سيحيلنا على أمر هام جـدا وهو: كيف يخالف أنصار الحديث، النصوص الحديثية التي أمامهم؟

أنصار الحديث يخالفون الحديث:

يصيبني العجب الممزوج بالحيرة، من العقلية التي يتمتع بها رواة الحديث ومدونوه ومحققوه والذين يطلق عليهم «محدثون»، كيف أنهم يجيزون لأنفسهم تدوين هاته الأحاديث، وينبرون للدفاع عنها، ويمحصون رجالها، ويدرسون أسانيدها، ويقعدون القواعد لمصطلح الحديث، ويكفرون من ينكرها، أو يفسقونه ويزندقونه في أفضل الظروف، وبعدها يطلعون بوجوههم الوقحة على الناس ليسردوا عليهم أحاديث وآثار في منع كتابة وتدوين الأحاديث، في «سكيزوفرينيا» غريبة جدا، تحط من قدر هؤلاء عند ذوي العقل الراجح، والفكر المستنير.

لكن الأمر ليس بهاته البساطة، فالمحدث مع الفقيه المستنبط للأحكام الشرعية من هاته الأحاديث، يحاول أن يبرر موقفه بعلل واهية، سنقف عليها بعد قليل عندما نناقش الأعذار والتبريرات التي يوردها هؤلاء في معرض ضحكهم على العقل الإنساني الرافض للتناقض.

والأخطر من ذلك أن هؤلاء الشيوخ لم يطرحوا على أنفسهم، ولو لحظة في خلوة مع الذات، لماذا تأخر تدوين السنة لحوالي مائة سنة على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي بهاته القيمة في التشريع؟ ليس باعتبارها مبينة ومفصلة لما في القرآن، بل باعتبارها قاضية وناسخة لما في كتاب الله عند التعارض، فهي في خطابهم الأصل الثاني من أصول التشريع بعد القرآن، لكن في الواقع العملي التطبيقي نجد أنها الأولى، وكتاب الله لديهم تابع لها خانع!.

ولم يكتف هؤلاء الشيوخ برواية وتدوين أحاديث منع الرسول كتابة الأحاديث، بل رووا أيضا أحاديث في فضل القرآن تجعله الأصل، وتبرز مكانته من الدين، وسنورد هنا مجموعة من الأحاديث التي رواها المحدثون أنفسهم في هذا الشأن.

روى ابن ماجة (215) وأحمد (11870) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى اللَّـه عَليه وسلم: (إن لِله أهلين من الناس) قالوا: يا رسول اللَّه،

مَنْ هُمْ؟ قَالَ:(هُمْ أَهْــلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ) وصححه الألباني في "صحيح ابن ماجة".

حديــث أبي أمامة الباهلي قال سمعــت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه). (صحيح مسلم:1343).

عــن عبــد الله بن عمــرو قال: قــال رسول الله صلــى الله عليه وسلــم: (يقال لصاحــب القرآن إقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها). (صحيح الجامع 8122).

حديــث جابــر رضي الله عنه كان رسول الله صلى اللــه عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد. (صحيح البخاري:1283).

حديــث أبــي هريرة عن النبــي صلى الله عليــه وسلم قال (مــا اجتمع قوم في بيــت من بيوت اللــه يتلون كتاب اللــه ويتدارسونه فيما بينهــم إلا نزلت عليهم السكينــة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده). (صحيح مسلم:2699).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنــة بعشر أمثالها لا أقــول (الم) حرف ولكن: ألف حــرف ولام حرف، وميم حرف). (صحيح الجامع: 6469).

قــال رسول اللــه صلى الله عليه وسلــم (إن من إجلال الله إكــرام ذي الشيبة المسلــم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط). (حسن) (صحيح الجامع:2199).

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول: يــا رب حله، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يــا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة).(حسن) (صحيح الجامع:8030).

قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين). (صحيح مسلم: 817). (يرفع بهذا الكتاب): أي بقراءته والعمل به (ويضع به): أي بالإعراض عنه وترك العمل بمقتضاه.

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). (صحيح البخاري: 4739)

قال طلحة بن مصرف: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قال: (أوصى بكتاب الله). (صحيح البخاري: 2548).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: قوله (كيف كتب على الناس الوصية) أو كيف (أمروا بالوصية) أي كيف يؤمر المسلمون بشيء ولا يفعله النبي صلى الله عليه وسلم.

حديث ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل قبراً ليلاً. فأسرج له سراج فأخذه من قبل القبلة وقال: (رحمك الله إن كنت لأواهاً تلاء للقرآن) وكبر عليه أربعاً. (قال الترمذي: حديث حسن)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر). (البخاري ومسلم)

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران). (البخاري ومسلم)

حديث أبي هريرة كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن). (البخاري ومسلم)

عـن عقبة بن عامـر الجهني قال: خرج علينا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ونحـن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغـدو إلى بطحان والعقيق فيأخذ ناقتين كوماويـن زهراوين بغـير إثم بالله ولا قطع (قطيعة) رحـم؟) قالوا: كلنا يا رسول الله، قال: (فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خيرٌ له من ناقتين وإن ثلاث فثلاث مثل أعدادهن من الإبل). (رواه مسلم: 803)

قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا قـرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله) وفي رواية (يا ويلي) (أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار). (صحيح مسلم:81)

إن الرسـول صلـى الله عليـه وسلم خرج علـى حلقة من أصحابـه فقال: (ما يجلسكـم؟) فقالوا: جلسنا نذكر اللـه تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن علينا بـه. فقال: (أتاني جبريل عليـه السلام فأخبرني أن اللـه تعالى يباهي بكم الملائكة). (صحيح مسلم:2701)

الغريـب أن نفس رواة هـذه الأحاديث هم الذين لا يقيمـون وزنا لكتاب الله، ويرفعـون الأحاديـث فوق كلام اللـه الذي لا يأتيه الباطل مـن بين يديه ولا من خلفه.

الأحاديث التي تم الإختلاف فيها اختلافا كبيرا، وتسربت إليها خرافات وطوام، ما زالت أمتنا تدفع ثمنها غاليا إلى يومنا هذا، وما «داعش» التي نبتت بين ظهرانينا إلا نتـاج هاته المرويات المنسوبة لرسول الله زورا وبهتانا، حيث تم سحب القرآن مـن الساحـة لصالح هاته المرويات، ولم يكفهم كتاب اللـه، يقول الله تعالى في محكـم كتابه ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت-أية:51)

عذر أقبح من زلة

حاولــت البحث عن الأسباب التي جعلت هؤلاء يدونون الأحاديث، ضدا على أمر الرسول الكريم، ويرفعونها إلى المكان العلي السني، فوق كل شيء، حتى فوق كلام الله، فوجدت لديهم أعذارا واهية أقل ما يقال عنها، أنها عذر أقبح من زلة، كما ستقفون معي خلال مناقشة أعذار هؤلاء.

أول عــذر يقدمه الشيوخ في مواجهة الأحاديث المانعة لكتابة الحديث، هي أنها منسوخة بالأحاديث المبيحة للكتابة، وهذا تفسير غريب من طرف هؤلاء الشيوخ، فهم يحاولون تفسير وإيجاد حلول لكل ورطة يقعون فيها، بتجزيئها عن السياق العام للأدلة الواردة في هذا الشأن، بحيت أنه لو كان هناك فعلا ناسخا ومنسوخا في هاتــه القضية، فــالأولى أن تنسخ أحاديث المنع أحاديــث الإباحة، باعتبار أن الخلفــاء الراشديــن ساروا على نهج منع كتابة الأحاديــث، فيكون الدليل هنا أن جمهــور الصحابة والخلفاء الراشدين لم ينته إلى علمهم أنه قبل وفاة الرسول تم نســخ حديث منع الكتابة، لصالح الإباحة، وإلا لجمعوا احاديث الرسول ودونوها في دواويــن وكتب، كما فعلوا بخصوص القرآن الكريم، لكنهم نهجوا عكس هذا وســاروا على نهج منــع تدوين الحديث، بل إن عمر بــن الخطاب قام بحرق نسخ الحديــث المكتوبة بعد جمعها، فكيف يكون حديث المنــع منسوخا بالاإباحة، رغم استمرار هؤلاء الخلفاء في منع كتابة الحديث؟!!

وإذا كان جواب أحد شيوخهم أن بعض الصحابة قام فعلا بكتابة حديث رسول اللــه، فنقــول له أثبت ذلك من خــلال تدوينة واحدة لأحد الصحابــة، إذ لو كان الصحابــة يعتبرون كلام رسول الله دينا لدونــوه، وإذا كانوا فعلا كتبوا أحاديث رسول الله، فأرونا ماذا كتبوا، وما دونوا؟

ومــن الأعذار الغريبة جدا، والخطيرة جدا، والتي يستدل بها هؤلاء لتفسير منع الرســول لكتابــة كلامه هي قولهم: "إن منع الحديث جــاء في صدر نزول الوحي

حتـى لا يختلط علـى الناس كلام الرسول بكلام الله فـلا يميزون هذا عن ذاك"، وهذا كلام خطير جدا، يلغي ضمنيا الإعجاز البلاغي لكلام الله، بمعنى أن العرب آنـذاك وهم جهابذة اللغة وسادتها، وأبناء بجدتها، يمكن أن لا يميزوا بين كلام الله المعجـز لكل البشر، وبـين كلام البشر، وهم الذين سُحـروا ببلاغته وبيانه، حتى وصفـوا رسول الله بالساحر، وحتى قال فيـه أفصح فصحاء العرب في الجاهلية قولتـه المشهورة التي حكاهـا ابن هشام في سيرته «واللـه إن لقوله لحلاوة، وإن أصلـه لعذق، وإن فرعه لجناة - قال ابن هشام: ويقال لغدق - وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل».

إن هـؤلاء الشيوخ الذين يبحثون عن أي دليـل كيفما كان، من أجل تبرير آفة تدويـن الحديـث، ليقعون في المحـذور والمحظور، فهم بذلك يتهمـون كتاب الله بمساواتـه لكلام البشر، وهذا انتقاص واضـح في حق كلام الله، رغم أننا هنا لا نطعـن في نياتهـم الحسنة، بل نعتبر تبريراتهم الواهيـة ضربا من العذر الذي هو أقبح من الزلة.

ومـن الأعذار التـي احتجوا بها أيضا: "أن المنع جـاء بخصوص كتابة الحديث مـع القرآن في نفس الصحيفة"، وهذا من العجيـب الغريب، لأن السؤال المتبادر إلى الذهـن فـور سماع هذا العذر، هو من أين جاء بـه قائلوه، في حين أن أبا بكر الصديـق وعمر بن الخطاب وغيرهم مـن الصحابة قد بينوا العلل الواضحة التي كانـت وراء منع كتابة الحديث، وهي أن يكـون كتاب آخر مع كتاب الله، أو حتى لا ينشغـل الناس عن كتاب الله، بكلام رسوله، في حين أن خُلق رسول الله كان هو القرآن كما في حديث أمنا عائشة، فكل شمائله وأخلاقه-صلى الله عليه وآله وسلم- كانت تطبيقـا عمليا للقرآن، بمعنى أنه كان بإمكان أي مطّلع على القرآن، أن يعرف شمائل المصطفى من خلال كلام الله.

السنة قاضية على القرآن:

من يقرأ هذا العنوان سيصاب بالدهشة في أول وهلة، حيث أن المنطق يقول: إذا كان القرآن هو أول أصل من أصول التشريع بالاتفاق، وهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من مخلفه، فكيف ساغ لهؤلاء القول بأن السنة قاضية على الكتاب؟!

وفي هذا روى الدارمي في سننه عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: «السنة قاضية على القرآن، وليس القرآن بقاض على السنة».

قال الزركشي في كتابه البحر المحيط: (مسألة [حاجة الكتاب إلى السنة] قال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب. قال أبو عمر: يريد أنها تقضي عليه، وتبين المراد منه، وقال يحيى بن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب).

إذن من خلال هذه النقول نجد أن هؤلاء الشيوخ اعتبروا المرويات المأثورة عن النبي، وهي في غالبها العام ظنية الثبوت، قاضية وحاكمة على القرآن القطعي الثبوت، وهذا كلام فيه خبء معناه ليست لنا عقول، فمن يتجرأ على هذا القول بهذا الشكل، وبدون أن يرف له جفن، سأشك في عقله إن لم أشك في إيمانه، لذلك فقد ورد في كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، أن الإمام أحمد بن حنبل لما سئل عن القول بأن السنة قاضية على الكتاب قال: «ما أجسر على هذا أن أقوله بل أقول أن السنة تفسر القرآن وتبينه».

ولا زال في عصرنا هذا من يرفع الحديث إلى مرتبة أعلى من القرآن، وإن كان يردد كالببغاء مقولة أن القرآن هو الأصل الأول للتشريع، لأنه عمليا يكذبها بجعله السنة قاضية على القرآن، بمعنى أنه إذا وجدت نصا في الحديث يتعارض جملة وتفصيلا مع القرآن فالحديث هنا قاض على القرآن، وهذا ما يفسر اتباع العديد من الشيوخ ما ورد في الأحاديث، ضاربين بعُرض الحائط كل الآيات

والأحكام الواضحة الواردة في القرآن، ويمكن أن نضرب العديد من الأمثلة لذلك.

"عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى رواه البخاري ومسلم".

هذا الحديث يخالف جملة وتفصيلا قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة أية 256)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (سورة الكهف الآية 29). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99).

لكن هؤلاء يضربون بهاته الآيات عرض الحائط ويقولون لك بكل وقاحة وجرأة على الله، السنة قاضية على الكتاب، ويبقى حكم الحديث هو النافذ، ويتجلى في قتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.... الحديث، أما أنا فأقول وقلبي مطمئن بأن هذا الكلام لم يفه به رسول الله الذي كان خلقه القرآن، والذي قال عنه الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:107)

عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن. ثم نسخن: بخمس معلومات. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن». (صحيح مسلم: كتاب الرضاع؛ باب التحريم بخمس رضعات).

فهـذا الحديـث المنسـوب إلى أمنا عائشـة يتهم القـرآن بالتحريـف والتزوير رغـم أن اللـه تعالى يقـول في محكم كتابـه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:10)، فهـي تقول حسب نص هذا الحديث ان رسول الله مات وآيـة التحريم بخمس رضعات مما يتلى من القرآن، وأي دارس يمكنه التأكد أنه لا توجـد آية قرآنية واحدة في كتاب الله بهذا المعنى، وبهاته الدلالة، لكن المرويات الغريبـة كهاته والقادحـة في صدقية القرآن لا مجـال لمناقشتها من طرف هؤلاء مـع كامـل الأسف، ويمكننا أن نأتـي بعشرات بل مئات الأحاديـث التي تعارض القـرآن جملة وتفصيلا، و تسيء أيضا إلى مقـام الألوهية والرسالة معا، والماتحة مـن مستنقع الخرافة، والمصادمـة للعلم والعقل، من كتب الحديث بما فيها صحيح البخاري، لكن اكتفينا بهذين المثالين ليعرف القارئ ماذا نقصد.

السنة ناسخة للقرآن:

بعد أن حكموا بأن السنة قاضية على الكتاب، بمعنى أنها مبينة ومفسرة وحاكمة، لم يجـدوا مخرجا لإزاحة التناقضات الواضحة للحديث في مواجهة القرآن، إلا أن يحكموا بـأن السنة ناسخة للقرآن، وهم بذلك عملوا أيضا على تكريس مبدأ السيـادة المطلقـة للمرويات على كتاب الله، فلم يعد لـه أي دور في حياة الناس إلا أن يتلى لطرد الشياطين، أو يسترقى به لدفع الأمراض، أو للقضاء المبرم على العـين والحسد، أي أنهم ربطوه بالخرافـة، وجعلوا منه وسيلة للاسترزاق، في حين أن كتاب الله جاء ليشكل نبراس حياتنا، وهدى سبيلنا، ومنجاة لنا من الضلال، وجامعا لنا من الفرقة.

ومـن هذا القبيل بوب الخطيب البغـدادي رحمه الله في كتابه «الكفاية في علم الروايـة» (ص/23) بقولـه: «باب ما جاء في التسوية بين حكـم كتاب الله تعالى، وحكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في وجوب العمل، ولزوم التكليف»

وأورد تحتـه حديث المقدام بن معد يكرب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال: "ألا إني أوتيت من القرآن ومثله معه.. الحديث". رواه الترمذي (2664) وقال: حسن غريب من هذا الوجه. وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة "2870.

وفي مناقشـة هذا الحديـث والتعقيب عليه للكاتب الأريـب محمود أبو رية في كتابـه أضواء على السنة المحمديـة ما يريح النفس ويرتاح إليه العقل، أنقله عنه رحمه الله.

«ألا وإني أوتيـت الكتاب ومثله معه» وفي روايـة: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معـه". وهذا الحديث من أغرب مـا قذفته الرواية في سيلها! لأن النبي إذا كان قد أوتـى مثـل "الكتاب" أو "مثل القرآن" فمعنى ذلك أنه قـد أوتي ذلك ليكونِ تماما علـى القـرآن وإكمالا له لبيان دينه وشريعته – وإذا كان الأمر كذلك فلمَ لَمْ يعن النبـي بكتابة هـذا المثل في حياته، كما عني بكتابة القرآن؟ ولم لم يجعلَ له كتّابا

يقيدونه عند نزولــه، كما جعل للقرآن كتابا؟ ولم اقتصر في النهي عن كتابة غير القــرآن وأغفل هذا المثل فقال: "لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن" و لم يقل وغير ما أوتيته معه وهو "مثلَه!!".

و هنا يجوز لسائل أن يسأل:

هــل يصــح أن يدع النبي نصف ما أوحاه الله إليه يغــدو بين الأذهان بغير قيد، يمسكه هذا وينساه ذاك، ويتزيد فيه ذلك! مما يصيب غير المدوّن في كتاب محفوظ؟ وهل يكــون الرسول بعمله هذا قد بلغ الرسالة علــى وجهها وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها، وأين كان هذا الحديث عندما قال النبي في مرضه الأخير الذي انقلب بعده إلى ربه، و بعد أن نزلت الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة-آيــة:3). إني والله ما تمسكــوا علي بشيء، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القران[1]، ثــم أين كان هــذا الحديث عندما قــال أبو بكــر للناس: بيننا وبينكــم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه!

ولم لم يشفــق عمر من ضيــاع هذا "المثل"، وهو بزعمهم نصــف ما أوحى الله بــه إلى النبي، فيذكره لأبي بكــر عندما فزع في أن يجمع القرآن ويكتبه بعد وقعة اليمامة؟!

ثــم أين كان هذا المثل عندمــا أجابت عائشة في خُلق النبــي، إذ كان عليها أن تقول كان خلقه القرآن ومثله معه؟ ولكنها اكتفت بقولها: كان خلقه القرآن!

وأيــن ذهبت عناية الصحابة بهذا "المثل" فلم يكتبوه كما كتبوا القرآن في زمن أبي بكر وعندما نسخ في عهد عثمان ووزعت نسخه على الأمصار؟

إلا إنهــم بإهمالهــم هــذا الأمر الخطير إنمــا يكونون قد تركــوا «نصف الوحي»

1- ص 322 ج 4 سيرة هشام.

بغـير تدوين، ويصبحون بذلك من الآثمين. انتهـى "من كتاب أضواء على السنة المحمدية".

ومهمـا بحثت عن حل لهذا الخبـل الذي يروونه وينسبونـه إلى الرسول، فلن يعتـدل لديك ميـزان، ولن يستقيـم لديك منطـق، سيما إذا علمـت أن الشيوخ المتقدمين اختلفوا اختلافا كبيرا في مسألة أن السنة تنسخ القرآن، لكن المتأخرين أو معظمهم يأخذون من هذا الاختلاف شماعة يهربون بها من كتاب الله، فيضعون فتـوى فقيه الذي يجب أن يكون في مكانـه النسبي في المكان المطلق، وهنا أنقل لكم ما جاء عن الشيخ محمد صالح المنجد المشرف العام على موقع إسلامكا على هذا الرابط https://islamqa.info/ar/138742

يقول: "وأما مسألة نسخ السنة لنصوص القرآن الكريم، فقد اختلف فيها العلماء على قولين:

القـول الأول: لا يجوز نسخ السنة الآحادية لنصوص القرآن الكريم: وهو قول جماهير الأصوليين.

بـل إن الشافعي في "الرسالة" (ص/109-106) وأحمد رحمهما الله اختارا عدم جواز نسخ السنة المتواترة للقرآن الكريم، واختاره أيضا ابن قدامة، وابن تيمية.

يمكـن مراجعة المسألة بتوسع في: "البحـر المحيط" للزركشي الشافعي (5/262-272)

القول الثاني: يجوز نسـخ السنة الآحادية لنصوص القرآن الكريم، وإليه ذهب بعضـ الأصوليين من الحنفية كمـا في "(3/62)، وهو اختيـار السبكي في "جمع الجوامـع" (ص/57) حيث قـال: "والنسخ بالقرآن لقرآن وسنـة، وبالسنة للقرآن، وقيل يمتنع بالآحاد، والحق لم يقع إلا بالمتواترة" انتهى.

وهو اختيار العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، حيث يقول:

«الـذي يظهـر لنا أنه الصـواب: هو أن أخبـار الآحاد الصحيحـة يجوز نسخ المتواتر بها إذا ثبت تأخرها عنه، وأنه لا معارضة بينهما، لأن المتواتر حق، والسنة

الواردة بعده إنما بينت شيئا جديدا لم يكن موجودا قبل، فلا معارضة بينهما البتة لاختلاف زمنهما.

فقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الآية 145 سور الأنعام)

يدل بدلالة المطابقة دلالة صريحة على إباحة لحوم الحمر الأهلية، لصراحة الحصر بالنفي والإثبات في الآية بذلك.

فإذا صرح النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يوم خيبر في حديث صحيح بأن لحوم الحمر الأهلية غير مباحة، فلا معارضة البتة بين ذلك الحديث الصحيح، وبين تلك الآية النازلة قبله بسنين، لأن الحديث دل على تحريم جديد، والآية ما نفت تجدد شيء في المستقبل كما هو واضح.

فالتحقيق - إن شاء الله - هو جواز نسخ المتواتر بالآحاد الصحيحة الثابت تأخرها عنه، وإن خالف فيه جمهور الأصوليين" انتهى. "أضواء البيان" (2/451.452)

هذا نموذج صارخ عن شيوخ اليوم الذين يميلون إلى إقصاء القرآن والتمكين للمرويات، وقولهم على الله ورسوله بهتانا عظيما، فحتى بعد سرده للاختلاف الكبير بين الفقهاء في هذا الشأن، إلا أنه أظهر ميوله للنسخ معتبرا إياه الرأي السديد بعد التحقيق طبعا، وأي تحقيق !!!

وهنا أتساءل والحرقة تعتصر قلبي وتغتصب عقلي اغتصابا، إذا كان كتاب الله الذي مصدره المطلق اللانهائي، صاحب العلم الكلي، يُنسخ وتُلغى أحكامه لصالح مرويات بشرية نسبية في كل شيء، حتى لو صحت نسبتها إلى الرسول الكريم، فما معنى نزول هذا الكتاب إلينا، وما الفائدة منه، وهو غير قائم بذاته ويحتاج إلى غيره، مما هو أقل منه منزلة بأشواط إن صحّ التعبير، وإلا فإن كلام الله لا يقارن بغيره، تعالى الله عما يصفون.

حرب المرويات:

بعد أن تمزقت أمة المسلمين مزعا متفرقة، شيعة وسنة، ومرجئة وخوارج، وقدرية وجبرية، وغيرها من الطوائف والمذاهب، حاولت كل طائفة أو مذهب، أن تجد لها موقعا في المرويات، يعضد بها كل متمذهب مذهبه أو طائفته، لما لم يجد ما يسعفه ويحقق أغراضه في كتاب الله، فكثرت الروايات والآثار المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم، التي ابتدعها واختلقها كل مذهب لتعزيز موقفه الديني أو السياسي، سيما مع بزوغ التعصب للعرقيات والأفكار والتوجهات السائدة آنذاك، لتشتعل بشكل خطير حرب المرويات المنسوبة زورا وبهتانا للرسول، وتنضاف إلى أطراف هاته الحرب ديانات أخرى كاليهودية والمسيحية والمجوسية، وكل هاته الملل والنحل والمذاهب والطوائف والعرقيات استغلت تفشي المرويات التي بلغت مئات الألوف من الأحاديث المتضاربة المتناقضة، وكلها منسوبة إلى الرسول الكريم ليتم تغييب القرآن تغييبا نهائيا، وتحل محله آفة تدوين الحديث.

فقد ألف ابن حجر الهيتمي رسالة سماها مبلغ الأرب في فخر العرب، ذكر فيها الأحاديث الواردة في فضل العرب والنهي عن بغضهم مما قد يكون قريبا مما ذكرت، وإليك بعض هذه الأحاديث:

روى الحاكم والبيهقي عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وصحبه وسلم: لما خلق الله الخلق اختار العرب، ثم اختار من العرب قريشا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم، فأنا خيرة من خيرة «سكت عنه الذهبي».

وأخرج الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الكبير والأوسط عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وخلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار إلى

خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم.

قال الهيثمي: وفيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به، وبقية رجاله وثقوا.

وقال الهيتمي في مبلـغ الأرب: حديث سنده لا بأس به، وإن تكلم الجمهور في غير واحد من رواتـه.

وأخرج الطـبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل، فقسم الناس قسمين، فقسم العـرب قسما، وقسم العجم قسما، وكانت خـيرة الله في العرب، ثم قسم العرب قسمين، فقسم اليمن قسما، وقسم مضر قسما، وقسم قريشا قسما، وكانت خيرة الله في قريش، ثم أخرجني من خير ما أنا منه. قال الهيتمي في مبلغ الأرب: سنده حسن

وروى مسلم وغـيره عن واثلة بن الأسقع يقول سمعـت رسول الله صلى الله عليه وسلـم يقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.

وأخرج الترمـذي والحاكم وغيرهما عن سلمان قال: قـال لي رسول الله صلى اللـه عليه وسلم: يا سلمـان؛ لا تبغضني فتفارق دينك. قلت: يا رسول الله كيف أبغضـك وبك هدانا اللـه! قال: تبغض العـرب فتبغضني قال: هذا حديث حسن غريب وقال الحاكم: هـذا حديث صحيح الإسنـاد ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: قابوس بن أبي ظبيان تكلم فيه وأخرج الحاكم والطبراني عن أنس رضي اللـه عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم: حب قريش إيمان وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني.

فهاتـه الأحاديـث تتعارض شكلا ومضمونا وبشكل واضـح ومستفز مع قوله تعالى في سـورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (13)

لكــن مع من نتحدث ومن نحاور؟ أمع أناســ يعتبرون تلك الروايات التاريخية والتي لا يمكن أن تتجــاوز كونها تراثا، «يعتبرونها» قاضية على القرآن وناسخة له، لاغية لأحكامه وناقضة لها، ألا ساء ما يزرون.

ومن المرويات أيضا بشأن تقسيم المجتمع إلى فئات ورتب وتخصصات بشكل غريــب ما روته هاتــه الأحاديث الواضحــة الوضع، وأنها تخــدم مصلحة فريق ضد آخر، فقــد أخرج الإمام احمد بن حنبل في المسند والطبراني في الكبير عن عتبــة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة» (قال الهيتمي رجاله ثقاة).

وأخــرج الترمذي عن أبــي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الملك في قريش والقضاء في الأنصار والآذان في الحبشة».

وفي البخــاري عن عائشة رضــي الله عنها قالت: رأيت النبــي صل الله عليه وسلــم يسترني بثوبه وأنــا أنظر إلى الحبشــة وهم يلعبــون في المسجد فزجرهم عمــر فقال النبي صلى اللــه عليه وسلم «دعوهم أمناً بني أرفِدة»، يعني من الأمن (أخرجه البخاري كتاب العيدين).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صل الله عليه وسلم المدينــة لعبت الحبشة بحرابهــم فرحا بذلك (حديث صحيــح أخرجه أبو داوود).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن حبشيا دفن بالمدينة فقال رسول الله صل الله عليه وسلم «دفن في الطينة التي خلق منها»

وهــا أنتم هؤلاء قد لاحظتم كيف تمت صناعــة أحاديث، ليتم تقسيم الأدوار بين العرقيات والفئات المكونة للمجتمع المسلم باسم الرسول، بشكل غريب ومضحك، لا ينطلي إلا على السذج، أو على من وضع غشاوة على عينيه وعقله معا.

أما عند الشيعة فنجد مرويات تبعث على الدهشة والعجب، حيث نجد في تاريخ مدينــة دمشق ج1 ص131 رقم 180 روى بن عساكر بإسناده عن يحيى بن عبدالله

بــن الحسن عن أبيه عن جعفر ابن محمّد عــن أبيهما عن جدهما قال رسول الله صلّــى الله عليه وآله وسلّم: «إن في الفردوس لعينــاً أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله منها، وخلق منها شيعتنا، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منا ولا من شيعتنا، وهي الميثاق الذي أخذ الله عزّوجل عليه ولاية علي بن أبي طالب»

وروى الكنجــي بإسناده عن عبد الرحمن بن عــوف أنه قال: «ألا تسألوني قبل أن تشوب الأحاديث الأباطيل قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنا الشجــرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحســين ثمرها وشيعتنا ورقها، والشجرة أصلها في جنة عدن، والأصل والفرع واللقاح والورق في الجنة، أخرجه محدث دمشق في مناقبه بطرق شتى.

إن هاتــين الروايتــين هما نموذج بسيــط فقط من فيض الخرافــات لدى إخواننا الشيعــة، والــذي تقابله أحاديث أخــرى لدى السنة تجعل الدّيــن التمسك بسنة الرســول وسنة الخلفــاء، وتقدس الصحابة وتجعلهم فــوق كل انتقاص أو انتقاد، ومنــه ما جــاء في صحيح البخــاري عن العرباض بــن ساريــة ، قال: صلى لنا رســول اللــه صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثــم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلــت منها القلوب وذرفــت منها العيون، فقلنــا: يا رسول اللــه كأنها موعظة مودع فأوصنا، قــال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن أمّر عليكم عبدٌ حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشديــن المهديين عضوا عليهــا بالنواجذ، وإياكم ومحدثــات الأمور، فإن كل بدعــة ضلالة". هذا الحديث يدعــو إلى جانب أن هناك سنة لرســول الله واجبة الاتبــاع، بأن هناك أيضــا للخلفاء الراشدين سنة يجــب اتباعها والعض عليها بالنواجــذ، وبالتــالي فهنا يتم رفعهــم إلى مقام النبوة بشكل كبــير، تنطوي عليه طيات الحديث «سنتي وسنة الخلفاء الراشدين....» ثم يستخلص منه أيضا طاعة الحاكــم طاعة عمياء مطلقة، ورفض معارضته وعصيانــه لأي سبب» وفيه أيضا

التعريضــ بالحبشة وذوي البشــرة السمراء أو السوداء كمــا في حديث آخر في صحيــح البخاري» قال رســول الله صلى الله عليه وسلم اسمعــوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة».

عــن عبد الله بن مغفل المزني ــرضي الله عنهــ قــال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) رواه أحمــد 5/54 والترمذي (3862) والبيهقي في الشعــب 2/191 وقال الترمذي: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه) ا.هـ.

ويمكــن أن نمضــي في هذا بــدون نهاية، فكل فئــة من المجتمع المكــون للدولة الإسلامية آنذاك حاولت أن تجد لها مكانا يبوئها ما تصبو إليه من خلال اختلاق روايــات وأحاديث وآثار، ولم تقف عند هذا الحد بل حاولت كل فئة أن تجد للفئة المناوئة لها من الأحاديث والآثار ما تذمها به، وتكفرها به وتدخلها به إلى جهنم وبئس القرار.

الفصل الثاني: آفة علم الحديث

- » الحديث في القرآن
- » ليس علما
- » أكذوبة «علم» الرجال
- » رواية الحديث بالمعنى
- » جناية الحديث

الحديث في القرآن:

يُعرف «علماء» الحديث مصطلح حديث بأنه: "ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل، أو تقرير، أو وصف خَلْقي أو خُلُقي".

والحديث بهذا المعنى خاص بالمرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، على ما ذهب إليه كثير من المحدِّثين وجَروا عليه في كتبهم، غير أن البعض من هؤلاء المحدثين من يُدخِل في تعريف الحديث أقوالَ الصحابة والتابعين وأفعالهم!!!، ويشهد لهذا صنيعَ جمهور المحدِّثين؛ فقد جمعوا في كتبهم بين أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، ولك أن تتعجب من هذا، ويحق لك أن تطرح السؤال المجهري الذي بدون طرحه لن تتضح الرؤى والتصورات: إذا كان الحديث الذي يخرج من فم الرسول وأفعاله التي يقوم بها وتقريراته أيضا، دينا باعتباره الأسوة الحسنة لنا، فما علاقة الصحابة بذلك وما علاقة التابعين؟!!! سوى أن تكون معادلة تقديس هؤلاء واعتبار أقوالهم وأفعالهم دينا يجب اتباعه، وسنّة يستنّ بها، إلى جانب سنّة رسول الله، فنكون إزاء أنبياء آخرين غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، صنعوا الدّين بشكله الحالي، وهم فئة الصحابة على مختلف طبقاتهم وأنواعهم وتصنيفاتهم وعلمهم وجهلهم ونفاقهم وصدقهم وفسقهم وإيمانهم وإلخ...

لكن يبقى السؤال الذي يفرض نفسه وبإلحاح هو: ما هو تأصيل هاته الكلمة؟ سيما إذا علمنا أن معنى الحديث في اللغة كما في لسان العرب لابن منظور هو: "الجديد من الأشياء، نقيض القديم، ويُطلَق على الكلام، قليله وكثيره لأنه يحدث ويتجدَّد شيئًا فشيئًا، وجمعه أحاديث".

أما إذا رجعنا إلى كلمة «حديث» فنجدها بالمعنى اللّغوي في القرآن، كهاته الآيات:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا

وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّم﴾ (النساء: الآية 140).

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء42).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الآنعام: 68)

لكـن في معظم آيات القرآن جاءت لفظة حديث بمعنى كلام الله، وجاءت وصفا أيضا لكتابه المنزل على نبيه، و من مثل هاته الآيات:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (الجاثية:6)

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء:87)

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف:111)

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف:6)

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ (النجم 60)

﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (81) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة 82)

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر23)

إلى غير ذلك من الآيات، التي لها دلالة واضحة على أن الحديث هو مطلق كلام الله المنزل على أنبيائه، وأنه كتاب الله الموحى أيضا إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لكن علماء الحديث ومن سار على دربهم لا يعرفون للحديث معنى إلا كلام الرسول والصحابة والتابعين، وأحوالهم وأخبارهم وأيامهم وسننهم، حتى أنك إذا أطلقت كلمة حديث فإنه بالبداهة أصبح المقصود بها هو سنة الرسول والصحابة والتابعين، أي مختلف أفعال وأقوال وتقريرات الرسول والصحابة والتابعين، وأيضا ما يتعلق بأوصافه وسيرته، قبل أو بعد النبوة، في حين أن الله نعت كتابه القرآن بالحديث، فلم يتورع هؤلاء على توقير كلمة الحديث التي تم إعطاؤها معنى من لدن الله سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى معناها اللغوي، وهو كلام الله.

فيكون معنى الحديث في كتاب الله غير معناه عند المحدثين والفقهاء والشيوخ، في حين أن الأصل المتعارف عليه هو أن القرآن يعتبر الأصل الديني الأول عندنا، وأن معاني الاصطلاحات الدينية يجب أن تؤخذ عن القرآن، لكن واقع الحال ينبئ بغير ما يدعي هؤلاء الشيوخ، فكيف جاز لهم أن يصفوا كلام رسول الله بالحديث، كاصطلاح خاص به لا بغيره، في حين أن الله في كتابه يعطي المعنى الاصطلاحي الحقيقي لكلمة «الحديث» وهو كلام الله.

ومن هنا يبرز لكل ذي لبّ حكيم، أن فقه هؤلاء وفهمهم لا علاقة له بالقرآن الكريم، وأن دينهم لا يأخذونه إلا من روايات تاريخية لا قدسية لها، حتى صدق فيهم قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: 30).

قال ابن القيم في كتابه "الفوائد": "وهجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه

والإيمــان به والإصغاء إليه. والثاني: هجــر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به. والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقــاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلتــه لفظية لا تحصل العلم. والرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه".

ليس علما:

لا يمكــن أن يتنــازل المشتغل بالحديث عن وصف «عــالم» لأنه يظن ظنا جازما، بــأن مــا يشتغل به يعتبر علمــا، كالفيزيــاء والكيمياء والفلك والطــب والزراعة والجيولوجيا، وغيرها من العلوم المعروفة.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور عماد حسن رحمه الله، في مقالة له نشرها على صفحته الفيسبوكية بعنوان خرافة علم الرجال ما يلي: "في العصر الحديث حيث تراكمت المعرفــة الإنسانية بمقدار كاف لتصنيف العلوم المختلفة فإن اللفظ يطلق على مجــال من مجالات المعرفــة الإنّسانية الذي استوفــى شروطا محددة حتى يطلق عليه لفظ «عــلم»..... من أهم هذه الشروط:

أولا: وحــدة الموضــوع في العلم المعني مثــلا علم الكيمياء هــو العلم المختص بالتفاعــلات بين ذرات العناصر المختلفة، وعلم الإحياء هو العلم المختص بطبيعة المخلوقــات الحية، وعلــم الفلك يختص بطبيعة أجرام السمــاء، وعلم الجيولوجيا يختصــص بطبيعة الأرض وهكذا. وفي هذا السيــاق، فلا يمكن تسمية علم الإحياء بإسم علم الرياضيات المعني بالأرقام والحساب، لأنه هنا يحدث لبس في استبدال الأسمــاء التي تم التعارف عليها وأصبحت حكــر لكل علم، ولا يمكن وصف علم الجيولوجيــا بعلم الاجتماع، لأنه لا علاقــة له بالاجتماع، ولأنه فيه سرقة اسم له مدلــول متفق عليه سابقا وهكذا فالمجال المعرفي ليكون علما لابد أن يحمل اِسما يميزه ويخصه ويعكس خصوصياته" انتهى.

ولفظــة الحديث لها معاني متعددة، منهــا ما أسلفنا في الآيات السابقة أنها تدل علــى كلام اللــه، فهل المشتغلون بالحديث يشتغلون علــى كلام الله أم على كلام الرسول وأفعاله وأقواله، أم على أفعال وأقوال الصحابة والتابعين، أم ماذا؟ ناهيك عــن الاختلاف الكبير في قواعد هذا الذي يروق لشيوخه أن يطلقوا عليه «علما» مع العلم أنه حتى كلمة قواعد هاته تبدو بعيدة كل البعد عن شتم هذا واتهام ذاك

ومدح هــذا وذم ذاك، ووصف هذا بالمجهول والآخر بالمشهور والمعروف، وتكذيب هــذا وتصديــق ذاك، وهلمّ جرّا، فنحــن في النهاية نجد أنفسنــا في دوامة كبيرة عنوانها «التجريح والتعديل» تختلف فيها الآراء، وتتحكم فيها الأهواء.

ثم يضيف الدكتور عماد حسن في نفس المصدر بقوله: «ثانيا: لا بد للمنهج الذي يقوم عليه العلم المعني أن يكون قابلا للاختبار في مصداقيته: فعلم الكيمياء مثلا يقوم على إجراء تفاعلات بين عناصر مختلفة في ظروف محددة لتنتج ناتجا محددا أي تجربــة كيميائية لتكون علمية يجب أن تكون قابلة للاختبار في الهند والصين كمــا هي قابلة للاختبار في السودان وكينيا في أي زمن من الأزمان. مثلا: التحام ذرتــي هيدورجين مع ذرة أكسوجين ينتج عنه جزيء الماء. هذه العملية الكيميائية يجــب أن يكون متاحا للجميع إجراؤها حتى تكتسب المصداقية العلمية وإلا فإن أي ادعــاء بإنتاج منتوج نتيجة تفاعل كيمائي حدث مرة واحدة وفشل الناس في اختبار المنهج الذي قام عليه يعتبر خبطا عشوائيا ولا يستوفي الشرط العلمي.... وهنــا تندرج حركات السحرة والحواة البهلوانية التي تقوم على الخداع ولا يمكن اختبار منهجها، في هذا السياق فإن ظاهرة تناقل الأقوال بين مسلسل من الأفراد بينهــم عقود من الزمن تمتد في المسلسل الواحد (سنــد الحديث) إلى تسع أجيال في غالــب الروايات ليســ إلا خرافة وأكذوبة، لأن علــم النفس وعلم الاجتماع الحديثــين أثبتا أن هذه الظاهرة ليست من طبيعة البشــر ولا يمكن حدوثها أبدا... يكفيــك فقط أن تهمس في أذن تلميذ في بداية الفصل بجملة طويلة وتطلب منه أن يهمســ بهــا في أذن جاره وتنظر كيف تتغير الألفــاظ والمحتوى حينما تصل الجملة للتلميذ الأخير في الفصل...

فــإذا كان الأمر مستحيــلا في نفس الفصل تحت سقف واحــد وفي بيئة وزمن واحــد فمــن الخرافة تصديق أن فلانــا روى عن فلان وقــال أن فلانا قال له عن فــلان ووووووووو إلى نسبة القول للنبي عبر عدد مــن القرون... مع العلم أن ما يزعمــه كهنــة علم الرجال من حفظ روايات النبي قــد تم في ظروف كان التباعد

الجغـرافي والزماني والبيئة الاجتماعية والمتغـيرات السياسية من أعقد ما عرفته الإنسانيـة، ويستحيل معه حدوث هذه الظاهـرة، ولا ننسى أن نأخذ في الاعتبار الخاصيـة العربية سالفة الذكر من عشـق المدح والهجاء التي ميزت ذلك المجتمع والتـي قام عليها جرح أو تعديل الرواة حسب الأهواء... فظاهرة تناقل الروايات كما هي ليست إلا أكبر أكذوبة في تاريخ الأديان في العالم بينما ادعاء مصداقية الجـرح والتعديل للرواة أصلا كان من خصائص العرب الذميمة في التهويل في مدح من يحبونه وذم من يختلفون معه، مما يجعل الأمر مستحيلا أن يكون الجرح والتعديل يعكس حقيقة الـرواة كما يتوهم أهل الحديث اليوم، وإنما يعكس فقط تقلب الأهواء في مدح وذم الناس لبعضها البعض سابقا وحاليا». انتهى

وهذا ما يفسر اختلاف المحدثين في الرجال، فهذا موثق من طرف فلان ومجروح في نظـر علاّن، وهكذا... وهذا ما يفسر أيضا الاختلاف الكبير للحديث من طرق عدة، حيثَ يختلف اللفظ من راو إلى آخر.

ثم يضيف الدكتور عماد حسن في نفس مقالته « ثالثا: يجب أن تكون التجربة قابلة لإعادة الإنتاج، هنا تكون المقصلة لأن الادعاء بأن هناك أجيال تناقلت أقوال النبي ظاهرة لم تحدث في أي مجتمع آخر بل ولم تتكرر حتى في المجتمع المسلم... يكفينـا أن نشـير إلى أن أحـداث رابعة الأخيرة التي وقعت علـى مسمع ومرأى العـالم، في زمن تقلصت فيه المسافات بين الناسـ إلى الصِّفر بوسائل الاتصال الحديثـة وتقلّص فيـه البعد الزماني أيضـا إلى الصّفر نتيجـة حفظ السجلاَت المصورة والمسموعة، إلا أن الجميع اليوم لا يعرف بالضبط ماذا حدث في رابعة في تلك الأيام، لأن كل منبر إعلامي روى الحدث بالصوت والصورة من وجهة نظره، ومـا أكثر تضارب وجهات النظر تلك... لو كانت إمكانية التناقل الدقيق للأخبار حقيقـة لكنا قد علمنا حقيقة واحدة وشاهدنا حدثا واحدا، لكن الأهواء المختلفة سجلـت وصورت الحدث كيف تشاء فأصبـح لدينا من المتناقضات ما لا يصدق عـن حدث عاصرناه، فكيـف نصدق أن البيئة العربية التـي اقتتل فيها أصحاب

النبــي فورا بعــد موته وذابت فيها فجأة حضارات فارســ والروم ومصر واليمن في زمــن كان نقل الخبر فيه بين الكوفة والمدينة يستغرق أسابيع؟ كيف بنا نصدق أنه وفي ذلك الظرف وتلك البيئة تم تناقل أخبار النبي عبر مسلسل رجال اختلف الناس في تجريحهم وتعديلهــم وعبر عدد من القرون إلى زمن التدوين. الظاهرة كانت أكذوبة تم توريثها وتقديسها وترهيب الناس من نقدها لكنها لم تحدث ولا تحدث اليوم ولا يمكن حدوثها في المجتمع الإنساني.» انتهى.

لــكل ما سبق لا يمكننا بأي حــال من الأحوال اعتبار خرافــة «الحديث» علما، لأنها لا تملك مــن العلم شيئا، ومنهجها منهج أهــواء، وأسلوبها انتقائي مزاجي، يخضــع لأقوال الرجال، والتي بمقتضاهــا يتم الحكم على رجال آخرين بالصلاح أو بالطلاح.

أكذوبة «علم» الرجال:

لا يمكــن أن نتحدث عما يطلــق عليه اسم «علم» الحديــث، دون أن نتطرق إلى إسنــاد الحديــث، ولا يمكن أن نناقشــ الإسناد دون أن نقف علــى ما يطلق عليه أيضــا «علم الرجــال» أو «علم طبقــات الرجال» الذي يعتبر أحــد فروع «علم» الرجــال، وقد أحببت أن أصدّر مناقشتــي لهاته القضية بنقل عن الدكتور أحمد صبحــي منصور مــن مقال له نشر سنة 2005 على موقع الحــوار المتمدن أي قبل 11 سنــة، بعنوان «الإسناد في الحديث» يقــول أحمد صبحي منصور: "فى عصر الخليفة المأمون كان الشاعــر العتابى يسير فى شوارع بغداد، فدخل السوق وهو يــأكل الطعام، وكان ذلك يخالف المروءة أو "الإتيكيت" لدى أرباب الطبقة العليا، ولذلك احتــج عليه صديقه قائلا «أتأكل الطعام فى السوق ويراك الناس؟» فقال لــه العتابى ساخرا: "وهل أولئك ناس؟ إنهم بقر"، فاحتج صديق العتابى وزمجر، فقــال لــه العتابى: "سأريك إن كانوا ناسا أم بقرا" ثــم صعد إلى الربوة ونادى فى النــاســ: "ياقوم هلمــوا أحدثكم عن رسول الله (صلى اللــه عليه وسلم)، فتدافع إليــه الناس واجتمعوا حوله، وأقبل يحدثهم يقول: روى فلان عن فلان عن فلان أن رســول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: وظل يخرج من حديث إلى آخر وقد تعلقــت به العقــول والقلوب والعيون، وسيطر على المستمعــين، إذا حرك يده يمينا تحركــت رؤوسهم يمينــا، وإذا أومأ برأسه يسارا التفتوا يســارا، إلى أن قال لهم... وروى غير واحد (أى أكثر من واحد) أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إذا بلغ لسان أحدكــم أرنبة أنفه دخل الجنــة) وسكت... فإذا بكل واحد مــن المستمعين يخرج لسانــه يحاول أن يصل بــه إلى أنفه، وأصبح منظرهم جميعــا مضحكا، فالتفت العتابى إلى صديقه ساخرا وقال: ألم أقل لك إنهم بقر؟» انتهى.

إن نسبــة حديث للرسول صلــى الله عليه وسلم قائمــة بالأساس على الشك الكبير، لذلك فور أن يقول لك قائل حديثا ينسبه للرسول فانك ستسأله مباشرة

عــن إسناد الحديث «العنعنة» ومن هنــا تم اختراع الإسناد المتشكل من مجموعة من الــرواة يسمونهم رجال الحديث، لينشأ بعد ذلك مــا تم الاصطلاح عليه بعلم الرجــال الــذي هــو في تعريفهم «علــم يبحث فيه عــن جرح الــرواة وتعديلهم بألفــاظ مخصوصــة وعن مراتب تلــك الألفاظ، ويطلق عليــه أيضا "علم رجال الحديث" ويسمــى أيضا "علم الجرح والتعديل" هو أحد فــروع "علم الحديث"، يبحث فيه عن أحوال رواة الحديث من حيث اتصافهم بشرائط قبول رواياتهم أو عدمه. وقيل في تعريفه أيضا: هو علم وضع لتشخيص رواة الحديث، ذاتا ووصفا، ومدحا وقدحا».

يقــول الدكتور أحمد صبحي منصور في نفس المصدر السابق: "ولذلك اختلف علمــاء الجرح والتعديــل فى مدح راو أو تجريحه، وفى إثبــات حديث ما أو نفيه، فالإمــام مسلم فــى صحيحه لم يكتف بما قالــه البخارى أستــاذه ولم يأخذ بكل أحاديثه ولم يترك ما تركه البخارى من أحاديث، فجاء صحيح مسلم مختلفا عن صحيــح البخارى، ثم جاء الحاكم فاستدرك على البخارى ومسلم، وقبلهم جميعا كان أحمــد بن حنبل مختلفا فى مسنده، ثم جــاء المتأخرون أكثر اختلافا. ولأنها قضيــة علمية عندهم تقوم على الاختلاف فى وجهات النظر، فإن أحدا لم يحكم بتكفير أحد... إذ هى أمور ظنية بحثية إنسانية وليست أمور العقيدة والدين».

فلنفرضــ جدلا أن مسلــم روى في صحيحه حديثا عن سلسلة من الرواة تبلغ ستــة أجيال مثلا، فسيكــون بالبداهة آخرهم هو من رآه الشيخ مسلم مباشرة، أما الخمســة الآخرين فلم يرهم ولم يلتق بهم، فكيف يمكن عقلا وعلما وبداهة إثبات أنهم فعلا رووا عن رسول الله هذا الحديث الذي ادعى مسلم أنه نقله عن شيخه، فحســن الظن بالشخص والرأي في الشخص بأنه صادق في نقله، لا يضمن أنه صــادق فعلا وأنه تقي حقا، لأن البشــر لا يمكنهم الشق على قلوب الناس لمعرفة حقائقها، فالتقوى والصلاح من البواطن التي لا يعلمها إلا الله، وحتى إذا أمكن للــراوي الحكم نسبيا على شيخه الذي عاشره وأخذ عنه فكيف يمكنه الحكم على

أشخاص لم يرهم ولم يلتق بهم، وبهذا أصبح فعلا «علم الرجال» أكذوبة وخرافة، لا علاقة لها بالمنطق والعقل، وبالمنهج العلمي الصائب الراجح.

ثم إن «علم» الرجال انصب على دراسة رجال الحديث دون النظر في المتن -وهو الأهم- فبدأوا يجرحون على هواهم، متأثرين بالعصبية المذهبية، وبالشائعات أحيانا، حتى أن الحافظ الذهبي اتهم الشيخ البخاري بالتدليس حيث قال في سير أعلام النبلاء «ترجمة الذهلي» ج12 / 275 عند تعداد الرواة عن الذهلي ما نصه: (روى عنه خلائق، منهم:... ومحمد بن إسماعيل البخاري، ويُدلِّسُهُ كثيراً!!!، لا يقول: محمد بن يحيى!! بل يقول محمد فقط!! أو محمد بن خالد!! أو محمد بن عبدالله، يَنسبهُ إلى الجدّ، ويُعَمِّي اسمه، لمكانِ الواقع بينهما!!! غفر الله لهما) انتهى بعينه.

بل أن بعضهم اتهم البخاري في عقيدته ونسب إليه قولا يفيد أن القرآن مخلوق بلفظه، ونجد أنّ رجالا وثقهم البخاري ضعّفهم آخرون، ورجالا ضعفهم البخاري وثقهم آخرون، وأيضا تعديل وتجريح الرجال خضع للأهواء المذهبية، فرجال السنة الموثقون لديهم يضعفهم الشيعة، ورواة الشيعة الموثقون لديهم يضعفهم السنة وهكذا، لنخلص في النهاية إلى أن علم الرجال أكذوبة تاريخية تم التهويل بشأنها من أجل نسبة أحاديث للرسول هو بريء من أغلبها.

إن علم الرجال يعني ببساطة أن المحدثين يستدلون على الحقيقة بالرجال، ويهتمون بمن قال أكثر مما قال، وهنا يحق لنا أن نسأل كل ذي عقل حصيف، هل كان الصحابة كلهم عدول، وكلهم أتقياء، وكلهم على مرتبة واحدة من العلم والإيمان، أم هم في الحقيقة أصناف وأنواع، يجب أخذ الحيطة والحذر عند الأخذ منهم وعنهم؟

مجرد طرح هذا السؤال يساوي حملة مسعرة، أسلحتها قنابل التكفير، وصواريخ التفسيق، وقذائف الزندقة، لا يمنحك المقلد فرصة لتشرح موقفك وتقدم أدلتك، لأنه لم يُربَّ على النقاش والمحاججة والمحاورة، بل بُرمج على القذف والسبّ

ويــرى في ذلك قربى يتقرب بهــا إلى الله، وعبادة يتعبد بها لله،... ومتى كان لعن الناس وإهانتهم وتلب أعراضهم من القربات؟ !!

ولمن يقدس الصحابة ما عليه إلا قراءة القرآن، سيما سورة التوبة التي يسميها البعض بالفاضحة، فقد ورد فيها كثيرا من الانتقاد لهم، وأظهرت حقائق العديد منهم، بل يمكنك أيها المقدّس المقلّد أن ترجع إلى الأحاديث التي تُسميها صحيحة لتقــف على رأي الصحابــة في بعضهم البعض، لتصدم من حجــم السهام التي وجهها هؤلاء لبعضهم البعض.

وهنــا أنقل لكم ما أورده الكاتب زكريا أوزو في كتابه «جناية البخاري» ص20، نقلا من تاريخ الذهبي وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، حول رأي الخليفة عمر بن الخطاب في الصحابي أبي هريرة، يقول: «وحين توفي النبى ولاه الخليفة عمر (عام 20 هـ) على البحرين بعد وفاة العلاء بن الحضرمى وسرعان ما عزله وولى مكانه عثمان بن أبى العاص الثقفى، أما السبب فى ذلك فكان عندما أجاب الخليفة عمر بأنه-أبو هريرة- يملك عشرين ألفا من بيت مال البحرين حصل عليها من التجارة (بقولــه كنت أتجر) وكان رد الخليفة عمر: «عــدوا لله والإسلام، عدوا لله ولكتابه، سرقــت مــال الله، حين استعملتك علــى البحرين وأنت بلا نعلــين ما رجعت بك أميمة (أمه) إلا لرعاية الحمير» وضربه بالدرة حتى أدماه. وقد منعه تماما عن رواية الحديث النبوى بقوله: (لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القرود أو بأرض دوس). ويؤكــد أبو هريرة ذلك فيقــول: «ما كنت أستطيع أن أقول قــال رسول الله حتى قبض عمر» أو: لو كنت أحدث فى زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربنى بمخفقته». انتهى.

ولك أن تعجب من رأي الصحابة «العدول كلهم» في بعضهم البعض، حيث نمنع نحــن من قول أبسط من هــذا وأقله عن بعضهم، لكن من يستعمل عقله ولو لمرة واحدة ليقف على هاته الأكذوبة المسماة «علم الرجال» ؟...من؟.

رواية الحديث بالمعنى

يظن معظم الناس أن الأحاديث التي ترد في كتب الحديث عن رسول الله، أنها واردة عنه باللفظ والمعنى كما قالها الرسول، في حين أن معظمها وارد بالمعنى، أي كمـا فهمه رواة الحديث، وليس بلفظه كما قاله الرسول، وفي هذا قال ابن رجب: «اختلاف ألفاظ الرواية يـدل على أنهم كانوا يروون الحديث بالمعنى ولا يراعون اللفظ إذ المعنى واحد». من كلام المازري في المعلم (2/145).

قـال المعلمي: (الخـلاف بالرواية مما لا يغـير المعنى، كالتقـديم والتأخير وإبدال كلمة بأخـرى مرادفة لها وجعل الضمائر التي للمخاطـب للمتكلم. وغيره فهذا مـن الرواية بالمعنى. وكانت شائعـة بينهم فلا تضر) عمارة القبور (175) بتصرف. وانظر تهذيب الآثار (1/426-عمر) للطبري.

وهـذا النص يفيد أن الرواية بالمعنى كانت سائـدة ومعروفة لدى رواة الحديث بشـكل عادي جدا ومألوف، ويرون أن الرواية بالمعنى لا تضر، وسنقف بعد قليل على هذا الأمر لنرى كيف تضر الرواية بالمعنى.

وقـد أورد أبو رّية في كتابه أضواء على السنة المحمدية مجموعة من الأحاديث التي اختلف الصحابة بشأن دلالتها وروايتها، انقلها لك أيها القرئ الكريم لتقف على بعض هاته الحقائق المغيبة من طرف العديد من الشيوخ.

«وأخـرج مسلم عنه»يقصد بن سيرين»: لقد أتـى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد حديث، فلما وقعت الفتنة سئل عن إسناد الحديث.. وفي سنن الترمذي عنـه: كانـوا في الزمن الأول لا يسألـون عن الإسناد! فلما وقعـت الفتنة، سألوا عـن الإسناد، إن الرجل ليحدثني فما أتهمه ولكـن أتهم من هو فوقه. وقد روى التابعـون عن "تابعـي التابعين". ومن روايـة التابعين عن تابعـي التابعين.. رواية الزهـري، ويحيى بـن سعيد الأنصاري عـن مالك وهو تلميذهمـا ومن الطريف للفطن كما قال السيوطي في ألفيته - أن يروي الصحابي عن تابعي، عن صحابي

آخــر حديثا، ومن ذلك حديث السائب بن يزيــد الصحابي عن عبد الرحمن بن عبد القاري التابعي عن عمر بن الخطاب عن النبي (صلى الله عليه وسلم "من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه في الليل" رواه مسلم في كتابه، ومن ذلك حديث "لا يستوي القاعدون". وقد جمع الحافظ العراقي من ذلك عشرين حديثا.

نقد الصحابة بعضهم لبعض:

لم يقــف الأمــر بالصحابــة عند تشديدهــم في قبول الأخبار مــن إخوانهم في الصّحبــة كمــا أسلفنا، ولكنه تجــاوز ذلك إلى أن ينقد بعضهــم بعضا. ولقد كان عمــر وعلي وعثمان وعائشة وابــن عباس وغيرهم من الصحابة يتصفحون على إخوانهــم في الصحبة، ويشكّون في بعض مــا يروونه عن الرسول ويردّونه على أصحابــه. عن محمود بن الربيع - وكان ممن عقل عن رسول الله وهو صغير - أنه سمــع عتبان بن مالك الأنصاري وكان ممن شهد بدرا، أن رسول الله قال: إن الله حــرم النار على من قال: لا إله إلا الله يبغي بها وجه الله - وكان الرسول في دار عتبــان فحدثها قوما فيهم أبو أيوب صاحب رسول الله - فأنكرها على أبو أيوب وقال: والله ما أظن رسول الله قد قال ما قلت! وقد استدلت المرجئة بهذا الحديث ونحوه على مذهبهم. وردت عائشة حديث عمر وابن عمر: "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليــه"، فقالت: إنكم لتحدثون عن غير كاذبين ولكن السمع يخطئ والله ما حــدّث رسول الله أن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه! وقالت: حسبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الزمر: 7) وفي روايــة أنها لما سمعت أن ابن عمر يحدث بهذا الحديث قالت: وهل إنما قال: إنه ليعذب بخطيئته وذنبه، وإن أهله ليبكون عليه "وفي روايــة ثالثة: إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ وقالت مثل قوله (ابن عمر) إن رســول الله قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال: إنهم ليسمعون

ما أقول. وقالت: إنما قال: إنهم الآن يعلمون أن ما كنت أقوله لهم حق، ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾(سورة النمل: أية 80)، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (22 فاطر) حين تبوءوا مقاعدهم من النار... والحديثان في البخاري ومسلم وغيرهما. وردت عائشة كذلك حديث رؤية النبي لربّه ليلة الإسراء الذي رواه الشيخان عن عامر بن مسروق، الذي قال لعائشة: يا أمتاه. هل رأى محمدٌ ربَّه؟ فقالت: لقد قف شعـري مما قلت! أين أنـت من ثلاث من حدثكم فقد كذب: من حدثك أن محمدا رأى ربّـه فقد كذب، ثم قـرأت: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾(الأنعام الآية 103) ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الشورىالآية 51) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾(لقمان الآيـة 34)، ومن حدثك أنه كتم شيئا فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾(المائدة الآية 67)

ويضيف أبو ريّة في نفس المصدر "عد نهي النبي عن كتابته" "أي الحديث" يحسب الذين لا خبرة لهم بالعلم، ولا علم عندهم بالخبرة، أن أحاديث الرسول التي يقرؤونها في الكتب، أو يسمعونها ممن يتحدثون بها، قد جاءت صحيحة المبنى محكمة التأليف، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونة كما نطق النبي بها، بلا تحريف فيها ولا تبديل. وكذلك يحسبون أن الصحابة ومن جاء من بعدهم، ممن حملوا عنهم أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى زمن التدوين، قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها، وأدوها على وجهها كما تلقوها، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل، ومما وقر في أذهان الناس أن هؤلاء الرواة قد كانوا جميعا صنفا خاصا بين بني آدم في جودة الحفظ، وكمال الضبط وقوة الذاكرة، وأن أذهانهم قد فطرت على صورة خاصة غير ما فطرت عليه أذهان البشر جميعا، فكل ما يسمعونه ينقش على ألواحها، فلا تفلت منه كلمة، ولا يشذ

عنه حرف. ولقد كان ولا جرم لهذا الفهم أثر بالغ في أفكار شيوخ الدين - إلا من عصم ربك - فاعتقدوا أن هذه الأحاديث في منزلة آيات الكتاب العزيز، من وجوب التسليم بها، وفرض الإذعان لأحكامها، بحيث يأثم أو يرتد أو يفسق من يخالفها، ويستتاب من أنكرها أو شك فيها. من أجل ذلك رأينا أن نشبع القول في هذا الأمر، ليعلم الناس وجه الحق فيه، ويدركوا أن الأحاديث التي جاءتهم عن رسول الله صلوات الله عليه قد رويت عنه بمعناها، لما لم يستطيعوا أن يأتوا بها على حقيقة مبناها، لنسيان أصلها أو لمضي الزمن عليها في أذهانهم عندما رووها، وأن كل راو قد روى ما بقي في ذهنه من هذا المعنى بعد أن عجزت ذاكرته عن ضبط ألفاظه. ولم يكونوا قد عنوا في أول الأمر بتدوينه، وعلى أن الأمر قد جرى على رواية الحديث بالمعنى، حتى لم يختلف في ذلك أحد من العارفين، فقد وقع الاختلاف بعد ذلك بين العلماء في أمر هذه الرواية، فمنهم من منعها ومنهم من أجازها، ولأن هذا الأمر مما يجب بيانه لأهميته رأينا أن نذكر هنا طرفا من أدلة هؤلاء وهؤلاء، ولم نجد أحدا عرض بتحقيق شامل لهذا الأمر مثل العلامة الشيخ طاهر الجزائري في كتابه النفيس "توجيه النظر" وهاك ما قاله: رواية الحديث بالمعنى واختلاف العلماء في ذلك "اختلف العلماء في رواية الحديث بالمعنى. فذهب قوم إلى عدم جواز ذلك مطلقا منهم ابن سيرين وثعلب وأبو بكر الرازي، ويروى ذلك عن ابن عمر. وذهب الأكثرون إلى جواز ذلك -إذا كان الراوي عارفا بدقائق الألفاظ بصيرا بمقدار التفاوت بينها، خبيرا بما يحيل معانيها فإذا أبدل اللفظ الذي بلغه بلفظ آخر مقامه بحيث يكون معناه مطابقا لمعنى اللفظ الذي بلغه جاز ذلك. وقد تعرض لهذه المسألة علماء الأصول -ولما كانت من المسائل المهمة جدا فقد أحببت أن أروي من عباراتهم هنا ما يكون فيه الكفاية: قال أبو إسحاق الشيرازي في اللمع: والاختيار في الرواية أن يروى الخبر بلفظه، لقوله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمع"

«وقال وكيع عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال: إذا أصبت المعنى أجزأك،

وقــال: إن لم يكن المعنى واسعا فقد هلــك الناس، وإنما تفاضل أهل العلم بالحفظ والإتقــان والتثبت عند السماع - مع أنه لم يسلم من الخطأ والغلط كبير أحد من الأئمــة. وقال سفيان الثــوري إن قلت إني أحدثكم كمــا سمعت فلا تصدقوني فإنمــا هــو المعنى، وقيل له: يا أبــا عبد الله، حدثنا كما سمعت. قــال: والله ما إليه سبيــل، وما هو إلا المعاني. ومن قوله: لو أردنــا أن نحدثكم بالحديث كما سمعناه مــا حدثناكم بحديث واحــد! وقد قال الثقات مــن العلمــاء: إن الأولى هو إيراد الحديــث بألفاظــه دون التصرف فيــه. ولكن أنى ذلك وقد جــرى الأمر على غير الأولى! قال القاضي عياضــ: «ينبغي سد باب الرواية بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن أنه يحسن، كما وقع لكثير من الرواية قديما وحديثا والله الموفق! وممــا ذكره المحققون، أن الرواية بالمعنــى لا تكون فيما يتعبد فيه باللفظ كالتكبير والتشهــدات. على أن التشهدات قد وردت بألفــاظ مختلفة وإليك أكثرها. صيغ التشهدات تشهد بن مسعود: في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: علمني رســول اللــه التشهد وكفي بكفه كمــا يعلمني السورة من القــرآن: التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله - وكذلــك رواه أصحاب الســنن-. وفي رواية: "ولقنيه كلمة كلمة" وفي رواية: إذا قلــت هذا، أو قضيت هــذا فقد قضيت صلاتك - وقد اختــاره أبو حنيفة وأحمد وأصحــاب الحديث وأكثر العلماء تشهد ابن عباس: روى مسلم وأصحاب السنن عــن ابن عباســ وكذلك روى الشافعي في الأم قــال: كان رسول الله يعلمنا كما يعلمنــا السورة من القرآن فيقول، قولوا: التحيــات المباركات الصلوات الطيبات للــه، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاتــه السلام علينا وعلى عباد الله الصالحــين. أشهــد أن لا إله إلا الله وأشهــد أن محمدا رسول اللــه. تشهد عمر بــن الخطــاب: روى مالك في الموطأ عن ابن شهاب عــن عروة ابن الزبير عن عبد الرحمــن بن عبد القاري أنه سمع عمر بن الخطــاب وهو على المنبر يقول، قولوا:

التحيات الزاكيــات لله، الطيبات الصلوات لله. ورواية السرخسي في المبسوط: التحيــات الناميات الزاكيات المباركات الطيبات لله. قــال مالك: أفضل التشهد تشهد عمر بن الخطاب، لأن عمر قاله على المنبر بمحضر من الصحابة فلم ينكروه عليــه إجماعــا، ورواه أبو داود وابــن مردويه مرفوعا. تشهد أبــي سعيد الخدري: التحيات الصلوات الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينــا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. قال أبو سعيــد: وكنا لا نكتب إلا القرآن والتشهد! تشهد جابر: وفي حديث جابــر المرفوع عند النسائي وابــن ماجة والترمذي في العلــل بلفظ: كان رسول اللــه يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن «باسم الله وبالله التحيات إلخ وصححــه الحاكم. تشهد عائشة: روى مالك في الموطأ عن عائشة زوج النبي أنها كانــت تقول إذا تشهدت: التحيــات الطيبات الزاكيات للــه. فتسقط (لله) عقب التحيات والصلوات».

ومــن الأمثلة التي أوردها أبو ريّة في نفســ المصدر «روى مسلم عن طلحة بن عبيــد الله: جاء رجل إلى رسول الله من أهل نجد ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول اللــه: خمس صلــوات في اليوم والليلة. فقال: هل عليّ غيرهــن؟ فقال: لا، إلا أن تطــوع، وصيام شهر رمضان، فقال: هل علــي غيره؟ فقال: لا إلا أن تطوع. وذكر لــه رســول الله الزكاة. فقال، هل عليّ غيرها؟ فقــال: لا، إلا أن تطوع، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله أفلح إن صدق وفي رواية أخرى أفلح وأبيه إن صدق، وفي رواية ثالثة دخل الجنة وأبيه إن صــدق. وعن أبي هريرة في حديــث جبريل. قال رسول الله: سلوني فهابوه فجاء رجــل فجلس عند ركبتيــه وقال: يا رسول الله ما الإســلام؟ قال: لا تشرك بالله شيئــا. وتقيم الصلاة، وتؤتــي الزكاة، وتصوم رمضان. قــال: صدقت، ثم قال: يا رســول الله ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله، وتؤمن

بالغيــب، وتؤمن بالقدر كله قال: صدقت، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال أن تخشــى الله كأنك تراه، فإنــك إن لم تكن تراه فإنه يراك إلخ. وقد تكلمنا عن هذا الحديــث في كتابنا "شيخ المضيرة" فيرجع إليــه ويقرأ ما قاله الدكتور طه حسين فيه. وعن أبي أيوب قال: جاء رجل إلى النبي فقال: دُلَّني على عمل أعمله يدنيني مــن الجنــة ويباعدني من النار. قال: تعبــد الله لا تشرك به شيئــا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك. قال رسول الله: إن تمسّك بما أمر به دخل الجنة.

وعن الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان عن جابر قال: قال النعمان بن توقل: يا رسول الله بمثله، وزادا فيه، ولم أزد على ذلك شيئا. حديث زوجتكها بما معك.

جــاءت إمرأة إلى النبي وأرادت أن تهب نفسها له، فتقدم رجل فقال: يا رسول الله: أنكحنيها؟ ولم يكن معه من المهر غير بعض القرآن، فقال له النبي: أنكحتكها بما معك من القرآن، وفي رواية: " قد زوجتكها بما معك من القرآن" وفي رواية ثالثة: "زوجتكهــا على ما معك" وفي رواية رابعــة: "قد ملكتكها بما معك"، وفي رواية خامسة: "قد ملكتكهــا بما معك من القرآن" وفي رواية سادسة: "أنكحتكها على أن تقرئهــا وتعلمها"، وفي رواية سابعة: "أمكناكها". وفي رواية ثامنة: "خذها بما معــك" فهذه اختلافات ثمانية -في لفظة واحدة. قال ابــن دقيق العيد: هذه لفظة واحــدة في قصة واحدة واختلف فيها مع اتحاد مخرج الحديث! وقال العلائي: من المعلــوم أن النبي لم يقل هذه الألفاظ كلها تلك الساعة فلم يبق إلا أن يكون قال لفظة منها، وعبر عنه بقية الرواة بالمعنى، فمن قال بأن النكاح ينعقد بلفظ التملك ثم احتج بمجيئه في هذا الحديث، إذا عورض ببقية الألفاظ لم ينتهض احتجاجه! فــإن جزم بأنه هو الذي تلفظ به النبــي -ومن قال غيره ذكره بالمعنى! - قلبه عليه مخالفه وادعى ضد دعواه، فلم يبق إلا الترجيح بأمر خارجي. وهذا الحديث ومثله كان مما دعا سيبويه وغيره إلى عدم جعلهم الحديث من شواهدهم في إثبات اللغة والنحو كما ستراه في محله من هذا الكتاب"انتهى.

إن روايــة الحديــث بالمعنى لتفيد بمــا لا يدع مجالا للشــك أن الصحابي يروي

فهمــه لكلام الرسول وينسبه للرسول، والتابعي يــروي فهمه لما فهمه الصحابي مــن كلام الرسول ومن روى عــن التابعي فهو يروي فهمه أيضا عن فهم التابعي لفهــم الصحابي عن رسول اللــه، وهكذا تتسع حلقات فهم مــن فهم عمّن فهم عمّــن فهم عمّن فهم عمّن فهم عن رســول الله، حسب اتساع سلسلة الرواة في سنــد الحديث، ليبرز السؤال مرة أخرى هل نحن أمــام كلام للرسول مباشرة، أم نحن أمام فهم الرواة عن بعضهم البعض إلى رسول الله؟ مع التنبيه على اختلاف القدرات العقلية والفكريــة والاستيعابية لدى كل واحد من الرواة، فليسوا على قــدم المساواة في هــذا إن قمنا بغض الطرف عن مستوى الــورع لدى كل واحد منهــم، ليكون الجــواب الذي يفرض نفسه، أننا إزاء فهــم لمعنى كلام رسول الله، ولهــذا وجدنا الاضطــراب في رواية العديد من الأحاديــث، إذن نحن لسنا أمام حديث لرســول الله بل في مواجهة أحاديث منسوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

جناية الحديث

إن أعظم جناية جناها الحديث، هي التسبب في هجر كتاب الله ليحل محلّه، على مستوى التشريع، وعلى مستوى العقيدة، وعلى مستوى العبادات، حتى أصبح لدينا دين آخر مأخوذ من الحديث لا علاقة له بالقرآن، بل إن الحديث اتهم القرآن بالنقص والزيادة والتحريف غير ما مرة في مرويات تعج بها كتب الحديث، فكانت الجناية العظمى التي أورثنا إياها الحديث، هو تغييب كتاب الله من المشهد الديني تغييبا يكاد يكون تاما، إلا من بعض المظاهر والطقوس الشكلية، والمرتبطة أساسا بالخرافات.

وهنا ارتأيت أن أقدم إليك –أختي القارئة أخي القارئ–نماذج مما جناه الحديث على القرآن وعلى أمة الإسلام، وعلى البشرية جمعاء.

ففي صحيح مسلم نجد باب التحريم بخمس رضعات 1452، حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن.

وهنا يبرز السؤال المحوري، إذا كان هذا صحيحا فأين هي هاته الآية التي ينسب إلى أمنا عائشة أنها قالت بها، وإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم مات وهي تقرأ من القرآن، أليس هذا اتهام صريح ولا لبس فيه لكتاب الله ووصمه بالتحريف والنقصان، لكننا لازلنا في عصرنا هذا نجد من لا يملك الجرأة للقول بجراءة وشجاعة أن هذا افتراء بين على أمنا عائشة وافتراء على رسول الله، وكذب وبهتان على كتاب الله الذي تكفل الله بحفظه من كل تحريف أو زيادة أو نقصان.

وفي صحيح مسلم أيضا الجزء 2 الصفحة 726 حديث 1740 رقم الحديث نجد: حدثني سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن داود عن أبي حرب بن أبي

الأســود عن أبيه قال بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرأوا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها لو كان لابــن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وكنــا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحــات فأنسيتها غير أني حفظت منها يا أيها الذين آمنــوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة.

وقريب من هذا نجده في صحيح البخاري أيضا كتاب الرقاق حديث رقم 5957، حدثني محمد أخبرنا مخلد أخبرنا ابن جريج قال سمعت عطاء يقول سمعت ابن عباســ يقول سمعت رسول الله صلــى الله عليه وسلم يقول لو أن لابن آدم مثل واد مالا لأحب أن له إليه مثله ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تــاب قال ابن عباس فلا أدري من القــرآن هو أم لا قال وسمعت ابن الزبير يقول ذلك على المنبر.

وأعجــب! كيف لابــن عباس حبر هاته الأمة أن لا يميز بــين كلام الله المنزل من لدنه وبين كلام البشر؟، بل إن في رواية مسلم أن هناك سورة طويلة عريضة لكن الصحابــي نسيها، وتضاهي في طولها سورة بــراءة، أليس هذا ادعاء صريح من الصحيحين بأن القرآن نقصت منه سورة، تعالى الله عما يصفون وجل كتابه عما يفترون.

أخــرج البخاري ومسلم بإسنادهما عن ابن عباس، قال: خطب عمر بن الخطاب خطبتــه بعــد مرجعه من آخر حجة حجهــا، قال فيها: إن اللــه بعث محمداً (ص) بالحــق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليــه الله آية الرجم. فقرأناها وعقلناها ووعيناهــا فلذا رجم رســول الله (ص) ورجمنــا بعده. فأخشــى إن طال بالناس الزمــان أن يقول قائل: والله مانجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة

أنزلهـا اللـه. (البخاري ج8 ص208 بـاب رجم الحبلى حديث رقـم 6328 ومسلم ج4صـ167 وج5ص116) كذلك نسب إلى عمر: إنا كنا نقـرأ فيما نقرأ من كتاب اللــه أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم. أو أن كفراً بكم أن ترغبوا عـن آبائكم. البخاري ج8ص208 حديث رقم 6328 عن عمر قال: (لولا أن يقـول الناس أن عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي) (البخاري ج4 ص152و135 باب الشهادة عنـد الحاكم في ولآية القضاء) ولعل القارئ سيصدم مـن هذا الذي سردنـاه الآن نقلا من الصحيحين وسيصـدم أيضا من الأسلوب الركيـك لما يوصف بأنها كانت آية من كتاب الله، آيـة رجم الشيخ والشيخة إذا زنيا، وسيشبعنا بعض المقلدة بكلام كبير متعرج عن نسخ التلاوة الذي جاءت به مخيلتهم لتمرير وتبرير هذا الهراء.

وفي نفس السياق نجد:

حدثنـا موسـى عن أبي عوانة عن مغيرة عن إبراهيم عـن علقمة: دخلت الشام فصليـت ركعتين فقلت اللهم يسر لي جليسا فرأيـت شيخا مقبلا فلما دنا قلت: أرجـو أن يكـون استجاب قال من أين أنت قلت من أهـل الكوفة قال أفلم يكن فيكـم صاحب النعلين والوساد والمطهرة أولم يكن فيكم الذي أجير من الشيطان أولم يكـن فيكم صاحب السر الـذي لا يعلمه غيره، كيف قرأ ابن أم عبد والليل، فقـرأت والليل إذا يغشى والنهـار إذا تجلى والذكر والأنثى، قـال: أقرأنيهاالنبي صلـى الله عليه وسلـم فاهُ إلى في فما زال هؤلاء حتـى كادوا يردوني. البخاري حديث رقم 3477 وانظر نحوه رقم 4562.

أين ذهبت "وما خلق" فشتان بين والذكر والأنثى وبين وما خلق الذكر والأنثى تعالى الله عما يفترون.

وقريـب من هذا مـا نسـب لأم المؤمنين عائشـة "في فتح البـاري لابن حجر العسقـلاني أنـه روى مسلم عن عائشـة أنها أملت في مصحفهـا (حافظوا على الصلـوات والصـلاة الوسطى-وصـلاة العصر-قالت: سمعتها مـن رسول الله

(صــ)). (فتح الباري في شــرح البخاري ج 8 ص 158) وعند البخاري أيضا "في كتــاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن وكذلك بــاب من لا يرى بأساً أن يقول ســورة كذا وكــذا وأخرج مسلم في كتاب صلاة المسافريــن وَقصَرِها، باب الأمر بتعهــد القرآن وكراهة قــول نسيت آية كذا.. عن عائشة قالــتَ: سمع رسول الله (صــ) رجلاً يقرأ في ســورة بالليل، فقال: يرحمه الله لقــد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا.

ولعــل القارئ الحصيف والعاقل الأريب من خلال هذا الأسلوب المبهم من كذا وكــذا إلى كذا وكذا، ليصل إلى أن هذا مجرد افتراء على نبي الرحمة، الذي كلف بتبليــغ الوحي للناســ كل الناس، فكيف لهذا الرسول الكــريم أن ينسى آية من كتاب ربــه، فيتذكرها من شخص آخــر من أفراد أمته، غريــب أمر هؤلاء الذين يقبلون مثل هذا الكلام على نبيهم، مخافة أن يكذبوا كتابا لا نعرف من ألفه أصلا، ولم تثبــت نسبتــه إلى البخاري أصــلا كما سنقف بعد قليل مــن خلال الفصول القادمة من هذا الكتاب.

إننــا نجد أنفسنا مضطرين لرفض هــذا الغثاء، كما نجد أنفسنا مضطرين أيضا للصــبر على ما ينعتنا به هــؤلاء الذين لم ينقص إيمانهم، بقــدر ما نقص علمهم وعقلهــم عن العقل عــن الله والفهم عن رسوله الكــريم الأكرم، فكل التأويلات التي تمسحت بالنسخ مهربا لتبرير ما جاء في الصحاح باءت بالفشل أمام الحقيقة الصلبــة التــي لا تقبل الجدل، وهي أن الأحاديث لا تقبل هــذا التأويل، ما نسب لأم المؤمنين عائشة في آيــة الرضعات المحرمات بصريح القول تفيد بأن الرسول مــات وهي مما يتلــى من كتاب الله حتى أكلتها الداجــن وهي تحت سريرها، وما نســب لعمر بن الخطاب أيضا من آية الشيــخ والشيخة حتى أنه كاد أن يضيفها إلى القــرآن لكن خوفه من الناس حــال دون ذلك، إننا بقبولنا لهذا الذي نتحدث عنه لنشجع الملحدين على تحدينا، وننفر الناس أيضا من ديننا فهلموا يا أحباب الرســول الأكرم إلى هبة إيمانية إحسانيــة، مبناها ومعناها ينطلق من القرآن الذي

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وحكمتها العقل الطاهر النقي المتشبع ببهاء القرآن ومنطقه الجلي الذي قال عنه العباقرة والفلاسفة والباحثون بأن عقلانيته صلدة كالصخر، هلموا إذن، فلا مجال للرجوع، هلموا إذن فلا مجال للتراخي، هلموا إذن لننبذ عنا أساطير الماضي إلى عقلانية الحاضر.

ومما جناه الحديث على أمتنا هو أنه جعلها أمة متخلفة تؤمن بالخرافة وتناهض العلم، وتنبذ العقل، ومن النماذج الحديثية التي نمثل بها على مصائب كتب الحديث وما تزخر بها من تفاهات وخرافات وأساطيرما يلي:

من الغرائب المضحكة في صحيح البخاري هذا الحديث الذي ينسب فيه إلى نبي الرحمة أنه أمر بقتل الوزغ «أبو بريص» عند المشارقة أو «تقليت» عند المغاربة، وهو نوع من السحالي تعيش في سقوف المنازل القديمة أو المهجورة، لأنها حسب صحيح البخاري كانت تنفخ النار على سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأزكى التسليم، هل يمكن تصديق هذا الهراء؟ 3359 - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّه بْنُ مُوسَى، أو ابْنُ سَلاَمٍ عَنْهُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَبْد الحَميد بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ سَعيد بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أُمِّ شَرِيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، «أَمَرَ بِقَتْلِ الوَزَغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْه السَّلاَمُ».

وورد في صحيح البخاري باب: ما يتقى من شؤم المرأة، 5093 عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «الشُّؤْمُ فِي المَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالفَرَسِ» فهل يعقل أن يقول رسولنا الكريم ذلك وهو يتلو قوله تعالى «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أيمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ إلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» (النحل الآية 59) وهل يشبّه رسولنا المرأة بالفرس والدار، أي بالحيوان وبالجماد ألا ساء ما يحكم به صحيح البخاري في هذا، ألا ساء وحاشا رسولنا أن يقول ذلك وهو الذي يقول: «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم» فهل يكون الرسول لئيما وهو الكريم؟!!!

في صحيــح البخــاري يؤكد المؤلف أن الله كتب علــى جميع البشر حظهم من الزنــا، أي أن البشــر مسير لا مخــير، وبالتالي فمبدأ الاختيــار الواضح في قوله تعــالى: ﴿وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة﴾ (البلد الآيــات 11-10) أصبح لا معنى له، والأخطر أيضا هنا أنه لم يعد أي معنى لقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾، كيــف ينهانا الله عن شــيء قد كتبه علينا!!! بل نستنتج من خلال هذا الحديث أن جميــع الرسل لديهم حظهم مــن الزنا باعتبارهم من بنــي آدم، بمن فيهم رسولنا الكــريم، وأيضا الصحابة الكرام والسلف الصالح، الكل له حظه من الزنا، فنحن زناة من نسل زناة، هذا هو الحديث في أصح الكتب كما يتبجحون:روى البخاري (6243) عــن أبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّـمَ قال: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفرْجُ يُصَدِّقُ ذَلكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ).

وكُتــبٌ لم تقف عند هذا الحدّ بل عمدتَ إلى الإساءة لنبينا في غير ما مرة كمثل هــذا الحديــث في صحيح البخاري يتهــم الرسول فيه أنه يدخــل على أم حرام زوج عبــادة بــن الصامت في غيبة مــن زوجها طبعا ويأكل عندهــا وينام عندها وتفلــي رأسه، إذن فالرسول يختلي بامــرأة في غيبة زوجها، وينام عندها ويأكل، وتفلــي رأسه من القمل، أطهــر الناس وأكمل الناس فيه قمــل -حاشاه-، لكن كالعــادة سينبري عباد البشر إلى الدفاع عن هــذا التلفيق للرسول وسيشبعوننا سبــا وشتما، نقول لهم سبابكم وشتمكم يعود عليكم ونحن بالمرصاد للدفاع عن رسولنا الأعظم ضد روايات تسيء إليه وتنتقص من نبوته وأخلاقه وإليكم نص الحديــث كما عند البخــاري:(6600) حدثنا عبد الله بن يوســف أخبرنا مالك عن إسحــاق بن عبد الله بن أبــي طلحة أنه سمع أنس بن مالــك يقول: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامــت فدخل عليها يوما فأطعمته وجعلــت تفلي رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت ما يضحكك يا رسول الله

قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة، شك إسحاق، قالت: فقلت يا رسول الله أدع اللـه أن يجعلني منهم فدعا لها رسول اللـه صلى الله عليه وسلم، ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت ما يضحكك يا رسول الله قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله كما قال في الأولى قالت: فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الأولين فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت".

ومن الغرائب المضحكة والأساطير الغريبة المغرقة في الخرافة والمؤسسة للجهل المطبق ما ورد في صحيح البخاري منسوبًا للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه اعتبر الفأر أمة فقدت من بني إسرائيل!!! خرافة من خرافات صحيح البخاري المضحكة سيدافع عنها الجهلاء بشكل غريب فقط لأنها وردت في هذا الكتاب الذي يعج بالخرافات والإساءات لمقام النبوة ومقام الألوهية بشكل غريب وإليكم نص الحديث: (3129) حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب عن خالد عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت وإني لا أراها إلا الفأر إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت فحدثت كعبا فقال أنت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله قلت نعم قال لي مرارا فقلت أفأقرأ التوراة».

ومن المضحكات ما ورد في صحيح البخاري من أن قردة قد زنت فرجمها قردة ورجمها التابعي عمرو بن ميمون «وهناك من يعتقد أنه صحابي» معهم. ما هذا الذي يوجد في أصح كتاب بعد كتاب الله، فقد ورد في الحديث رقم (3849) عن عمرو بن ميمون قال: (رَأيتُ في الْجَاهليَّة قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرَدَةٌ، قَدْ زَنَتْ، فَرَجَمُوهَا، فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ). مع الإِشَارةَ إِلَىَ أَن هذا الحديث في البَخاري ضعفه الألباني وغيره، لمن يعتقدون أن كل ما في صحيح البخاري صحيح.

حديث آخر حديث غريب في صحيح البخاري يفنده العلم الحديث بطريقة

جلية وقاطعة وواضحة، وهو حديث غروب الشمس الوارد في كتاب تفسير القرآن من صحيح البخاري (4524)، جاء فيه: «حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس. قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش. فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾(يس الآية 38) هذا الحديث يبرز أن الشمس عندما تغرب فإنها تذهب لتسجد تحت عرش الرحمن، وهذا واضح من خلال الحديث وهو يتناقض مع العلم الذي يثبت أن غروب الشمس على بعض المناطق، يعني إشراقها على مناطق أخرى، حيث أن الغروب والشروق ناتج عن دوران الأرض حول نفسها وليس عن حركة الشمس، لكن ما زالت بعض الأفهام تقدس البخاري وتفضل أن تنسب هذه الخرافة للرسول على أن تنسب الخطأ لمؤلف الصحيح.

ومن الأحاديث المنتقصة من قدر النبي في صحيح البخاري حديث يقول إن رسول الله كان يمارس الجنس مع نسائه الإحدى عشر خلال ساعة زمنية، سبحان الله، هل كان الراوي متتبعا متجسسا على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة؟، وهل كان رسول الله آلة جنسية وحاشاه؟، اقرأوا نص الحديث كما في صحيح البخاري كتاب الغسل (265). حدثنا محمد بن بشار، قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال قلت لأنس أوكان يطيقه؟ قال كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين وقال سعيد عن قتادة إن أنسا حدثهم تسع نسوة»

من بلاغات صحيح البخاري في أول كتاب منه يتهم الرسول بمحاولة الانتحار -حاشاه صلى الله عليه وسلم-وإليكم نص ما ورد بصحيح البخاري بكتاب التعبير باب أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة بالحديث رقم

(6581) حتـى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال. لكن ما زال البعض يعتقد أن كل ما في صحيح البخاري صحيح، أفلا تعقلون؟!!!!

حديـث في صحيـح البخاري أتحـدى أن يفهمـه أيـا كان، أو يستطيع شرحه اعتمادا على نصه فقط، حتى أبلغ الناس وأفقه الناس لن يستطيع فهمه، وهو كما أوضحـت في صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن ورقم الحديث (4693). حدثنا علـي بن عبد الله، حدثنـا سفيان، حدثنا عبدة بن أبي لبابـة عن زر بن حبيش، وحدثنـا عاصـم عن زر قال: سألت أبي بن كعب، قلت يـا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعـود يقول كذا وكذا، فقال إني سألـت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي. قيل لي فقلت: قال فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم !!!

كمـا لا يجب أن ننسـى أيضا أن كتب الحديث تخبرنا كمـا ورد في سير أعلام النبلاء للذهبي والمنتظم لابن الجوزي أن الصحابة أهملوا دفن الرسول ثلاثة أيام حتى انتفخ بطنه: «كانوا مشغولين بشيء أهم وهو الحصول على كرسي الحكم»

بـل إن الفقهاء والمحدثـين خالفوا القرآن وخالفوا العلـم وقالوا بأن مدة الحمل يمكن أن تصل إلى خمس سنوات، !!!! هذا طبعا استنادا إلى المرويات.

النقـول الأخيرة التي أوردتها نقلا من صحيـح البخاري، تجعلنا نطرح السؤال حـول من ألف هذا الكتاب؟ وما علاقـة الشيخ محمد بن اسماعيل البخاري بهذا الكتاب؟ هذا ما سنكتشفه جميعا من خلال باقي فصول كتابنا هذا.

الفصل الثالث : أسطورة البخاري

- » لماذا البخاري؟
- » سيرة الأحلام
- » الأسطورة
- » أسطورة الحفظ الأسطوري
- » أسطورة صحيح البخاري

لماذا البخاري؟

بعد أن بينا في عجالة خلال الفصلين السابقين المشاكل المتعلقة بتدوين الأحاديث، وكيف كان الصحابة يتورّعون عن كتابتها ويمتنعون عن تدوينها، وكيف سار الخلفاء الراشدون على نفس النهج المأمور به من طرف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف اضطربت الروايات بخصوص تدوين الأحاديث من عدم تدوينها، وما هو الرأي الراجح والمرجوح في الموضوع، ثم تطرقنا إلى الظروف التي واكبت تدوين الحديث وشجعت عليه، ونبهنا إلى الآفة التي تسبب فيها تدوين الحديث، لنخلص بعد ذلك إلى مناقشة ما يسمى بعلم الحديث، وما جناه على الإسلام وأمة الإسلام، وكيف تم سحب القرآن من معترك الحياة لتحل محله المرويات، لنشرع في هذا الفصل الذي سنتطرق فيه إلى أسطورة البخاري، حيث سنقف على مجموعة من الخرافات المتعلقة بشخصية محمد بن إسماعيل البخاري، وسيقف القارئ من أول وهلة عليها ليكتشف بدون عناء، أنها أساطير ألصقت بهاته الشخصية، فكانت بمثابة سياج كهربائي وضع حولها، حتى لا يتجرأ أحد على انتقادها، أو حتى على التفكير من الاقتراب منها بالتمحيص العقلي، الذي يميز الخبيث من الطيب.

ولعل أول سؤال سنجابه به ونحن نناقش شخصية البخاري والكتاب المنسوب إليه الشهير بالجامع الصحيح أو صحيح البخاري، هو لماذا البخاري؟ لتنتصب محاكم التفتيش لتفتش وتحاكم النوايا، كما جرت العادة بذلك، وهي الطريقة التي يجابه بها دعاة تقديس الشيوخ، كل من يحاول استعمال فكره، وعقله، ويسائل النصوص الموروثة محاولا تمحيصها.

لكن رغم ذلك سنحاول إشفاء غليل هؤلاء بمجاراتهم، للجواب على سؤالهم المشكك المعاند، لنقول لهم: «إن بحثنا في شخصية البخاري الموروثة والكتاب المنسوب إليه، لمن باب اهتمامنا بنقد الموروث الديني، الذي ورثناه عن آبائنا

وأجدادنا من غير مشــورة منّا، نحاول جهدنا أن نتعرف عليه، لنقف على شذراته اللماعة الصالحة لعصرنا ومصرنا للانتفاع بها، وتمييز غثه من سمينه، ومعقولاته من خرافاته، وحقائقه من أساطيره.

ولعــل الشخصية الدينيــة الأكثر تأثيرا في التاريــخ الإسلامي هي شخصية «محمــد بن إسماعيل البخاري» لما حملته مــن ملامح جعلت البعض يغالي فيها ليرفعها إلى مقام الأنبياء أو أكثر، وكذا الكتاب المنسوب إليه «صحيح البخاري» الــذي تم رفعه إلى مستوى أن يقارن بكتاب الله لذلك ولهاته الاعتبارات أرى أن هاتــه الشخصية لم تعد ملك نفسها، بــل أصبحت ملكًا لكل الباحثين والمهتمين، لينبشوا فيها، ويقفوا حولَ حقيقة ما يثار حولها، وما مدى صدقية ومصداقية ما أثــر عنها من آثار، وما روي عنها من أخبار، لذلك نرى أنه من حقنا أن نستدعي هاته الشخصية إلى عصرنا ليس لأننا نريد ذلك، بل لأنها تم فرضها علينا فرضا من الشيــوخ عبر العصور، حتى حملــت لقب «أمير المؤمنــين في الحديث»، وأنا أتعجــب من هاتــه الألقاب لأتساءل: ومتــى كانت للحديث إمــارة ليكون عليها أمير، لكن كعادة كل مــن يعمد إلى صناعة الأبطال الورقيين على طريقة الإعلام المعاصــر، فيمكنــه أن يسبغ على من يريد ما يريد، مــا دام الأمر مجرد كلام، وما دام الإغــراق في المديح صفة عربية بامتياز، حتــى أن الخلفاء من الدول المتعاقبة على مدار التاريخ، كانوا يفتحون بلاطهم للمدّاحين من الشعراء يتفنّنون في بديع القــول، وجميل الوصف، وبهي المديــح، لينالوا حظوة لدى الخليفــة، أو ينفحهم بأكياس الذهب والفضة، ويتبارون في ذلك ويتنافسون حتى رفعوا ممدوحيهم إلى مقــام أعلى من مقام النبوة، فقط من أجــل الحصول على رضى الممدوح، أو على دراهمه!

ومــن ذلك ما جاء في كتاب العمــدة، الجزء الثاني صفحة (139) من حبّ الخلفاء للمديــح ومبالغة الشعراء في رفع الممدوحين إلى مكانــة الألوهية أحيانا «اجتمع الشعــراء ببــاب المعتصم، فبعث إليهم: مَن كان منكــم يُحسن أن يقول مثل قول

«النُميري» في أميرالمؤمنين الرشيد:

إنّ المكارمَ والمَـــعروفَ أوديَـــة		أحلّك الله منهـــا حيث تَجتَمعُ
إذا رفعتَ أمراً فـــالله رافـــعُـــه		ومَن وَضَعت منَ الأقوام مُتَّضعُ
مَن لم يكن بأمين الله مُعتصـماً		فلَيسَ بالصَّلواَت الخَمس يَنتفَعُ
إن أخلَفَ الغَيثُ لَم تُخلف أنـامُله		أوضــــاق أمــرُ ذَكَرناه فَيـتّسَعُ

فَليَدخُل. فقال «محمد بن وهب»: فينا مَن يقول خيراً منه، وأنشدَ:

ثَلاثَةٌ تُشرقُ الدُّ نيا ببَهجتهم		شَمسُ الضُّحى وأبو إسحاق والقَمَرُ
تحكي أفاعيلَه في كلّ نائـــلة		الغَيـــثُ واللَّيثُ والصَّمصامة الذَكَر

فأمر بإدخاله وأحسنَ صلته».

وإذا اطلعنـــا عما كتب فَي الشيـــخ البخاري نجده في الغالب العام قريب من هذا المديـــح المغالي الـــذي اشتهر به العرب على مر العصـــور، فإما أن يمدح المرء حتى يصل إلى عنان السماء، أو يهجى فينزل به الهجاء إلى الدركات السلفى، وهذا ما تأسس عليه «علم الرجال» المتأرجح بين ذم ومدح لا ثالث لهما.

لذلك يكون من حقنا أن لا تحجبنا نغمات المديح عن معرفة الحقيقة البعيدة عن كل تزويق وتنميق، ومحاباة ومغالاة، في شخص هو في النهاية بشر وليس ملاكا معصوما عن الخطأ.

إنّ من الطوام الكبرى التي جعلت أمة بكاملها تقع في المحظور هو قلبها الحقائق، وتقديسها للماضي ورجاله، حتى سارت الركبان بمقولة ردّدت على الألسن بدون وعـــي من قائليهـــا، ولا تمحيص «الخير في اتباع من سلـــف والشر في ابتداع من خلـــف»، وبذلك أصبحت أمة المليار تسير إلى الوراء، بدل أن تسير إلى الأمام، فلا فهم إلا فهم السلف، ولا علم إلا علمهم، حتى غدا سؤال «هل لك سلف في هذا؟» من الأسئلة الملجمة لحرية الرأي، وحرية الفكر، التي هي أساس كل تقدم.

فيكفـــي أن تقـــرأ لابن كثير في كتـــاب البداية والنهاية هـــذا النص في الشيخ البخاري، الذي سننقله في هذا الكتاب لتعرف كيف تنطلق الألسنة بالمديح المغالي

في الأشخاص لترفعهم من منزلة البشر إلى منزلة الأسطورة والخرافة: «هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم أبو عبدالله البخاري الحافظ إمام أهل الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أضرابه وأقرانـه وكتابه الصحيـح يستسقى بقراءتـه الغمام وأجمع العلمـاء على قبوله وصحـة ما فيه وكذلك سائر أهل الإسلام» "كتـاب البداية والنهاية"(11/28-31) للإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله).

ولهذا أفردنـا هذا الفصل للوقوف على حقيقة الشيـخ البخاري لنرى كيف تم تسييـج حياته بسياج الأوهام والخرافات غلوا في شخصه وفي الكتاب المنسوب إليـه، بدون تـرك مجال لإعمال العقل والمنطق، وجاء مـن بعد هؤلاء خلف اتبعوا مـا قاله السلـف بدون النظر فيـه بميزان العقـل أيضا فشاعـت الخرافة وتمكنت واستحكمـت في العقول، حتى بـات لديهم أهون ألف مـرة أن ينسب الخطأ إلى الحبيب المصطفى من أن ينسب إلى البخاري، وسنرى ذلك جليا في الكم الهائل مـن الشتائـم التي يواجه بها مـن ينتقد صحيح البخاري دفاعـا عن سول الله، ليثبتـوا أن الإسـاءات في حق نبينا داخـل هذا الكتاب صحيحـة وفعلا قام بها الرسول، والبخاري لا يخطئ «جل من لا يخطئ».

لهاته الأسباب كان البخاري.

سيرة الأحلام:

إن الدارس لسيرة البخاري كما تناقلتها كتب التاريخ وتراجم الرجال، سيجدها تركّز على مجموعة من الأحلام لإبراز فضله واستثنائيته بشكل غريب، والأغرب منه أن من يورد هاته الأخبار التي لا تتجاوز كونها أضغاث أحلام، يوردها على أنها الحقيقة التي لا حقيقة بعدها.

ولعل القارئ سيصاب بالدهشة لما سنقف عليه من تقديس للشيخ البخاري، المعتمد على أحلام، والتي من المفروض إلا يبنى عليها شيء أبدا، لكن الشيوخ بنوا معتقدهم في البخاري وكتاب الجامع الصحيح على هاته الخرافات كما سنرى.

تبدأ أول الخرافات والأوهام الملتصقة بسيرة الشيخ محمد بن اسماعيل البخاري، عندما كان طفلا صغيرا، وفقد بصره وروى المؤرخون أن بصره فقد وهو صغير فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام فقال لها: «يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو لكثرة دعائك» فأصبح وقد رد الله عليه بصره! طبقات الحنابلة -ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد (طبعة دار المعرفة: ج1 ص274) وكنوز الذهب في تاريخ حلب -سبط ابن العجمي، أبو ذر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل (طبعة دار القلم: ج2 ص81).

إن أول ما يلاحظ في هاته القصة هو أن الإمام البخاري بلغت أهميته الكبرى، أن أوحى الله إلى أمه عبر نبي الله إبراهيم في المنام، بأن ابنها قد رُدَّ إليه بصره، في رواية بسبب بكائها وفي رواية أخرى بسبب دعائها، وكأن أم البخاري كانت نبية يوحى إليها!!

ثم لماذا أوحى الله إلى أم البخاري أن ابنها رجع إليه بصره عن طريق هذا الحلم؟ ألم يكن بإمكانها معرفة أن ابنها محمد رجع إليه بصره بمجرد أن يفتح هو عينيه فيلاحظ ذلك ويخبر أمه؟!! لماذا هاته المسرحية برمتها؟ فالمعروف أن أي شخص رجع إليه بصره يمكن أن يعرف الأمر بسهولة ويخبر من كانوا حوله، ثم لماذا

إبراهيم عليه السلام بالضبط هو من حمل رسالة الإخبار لأم البخاري؟ أَلأَنّه أبو الأنبيــاء؟ ليتم إيهام الناس بــأن البخاري كان له اتصال بالنبوة؟ فقد كان بإمكان الــراوي أن يقول إنها رأت النبي، ثم من أخبرهــا أن من رأته في المنام-إذا كانت فعلا قد رأت-هو سيدنا إبراهيم الخليل؟

ثم ما هذا الاضطراب في الروايات؟ مرة يقول لها من رأته في المنام على أساس أنــه نبي الله إبراهيم عليه السلام أن ابنها قــد رد إليه بصره بسبب بكائها، ومرة بسبــب دعائها، وشتان بين السببــين، لكن الخرافة واضحة مــن خلال الروايتين اللتــين تم اختلاقهمــا فقط لإظهــار أن هناك رعايــة غيبية، كانــت ترعى الطفل البخاري لتجعل منه أسطورة فيما بعد، وليس هناك من وسيلة لإضفاء ذلك البعد الأسطــوري على البخــاري إلا الرؤى والأحلام، التي تمحــورت عليها سيرة هذا الرجــل، فالمعلوم المقطوع به أن شواهد التاريخ يجب أن تكون مبنية على حقائق لا خرافــات، فكيف يمكن التحقق من صدق هاتــه الرواية تاريخيا؟ ما من سبيل، لأنــه لا يمكــن أن تفتش في أحلام الناس، لذلك يكون أمــر تصديق هاته الخرافة أيضــا مبني على انعدام الدليــل، وبالتالي يكون قبولهــا وتصديقها مجرد وهم، ولا يمكــن بأي حال من الأحوال الاستشهاد بنص كهــذا على أساس أنه حقيقة تاريخية.

والغريب أن سيرة الإمام البخاري كان حضور الأحلام فيها بشكل كبير ومطّرد، وكل هاتــه الأحــلام تصب في إطار إبــراز البخاري على أنــه شخص أسطوري وخــرافي وله اتصال بالغيب يؤيــده، وتقدم هاته الأحلام للناس على أساس أنها حقائق تاريخية مع كامل الأسف، بل تجد من يصدقها ويطبل لها، ويستشهد بها في مواطن الدفاع عن شخص البخاري.

وفي نفســ سيــاق صناعــة الأسطورة أورد جــلال الدين السيوطــي في كتابه تدريــب الراوي الجــزء الأول الصفحة رقــم 92 في معرض حديثــه عن أسباب تدويــن البخاري للجامع الصحيح ما نصه: «(الثانية) (من مسائل الصحيح (أول

مصنــف في الصحيح المجرد صحيــح) الإمام محمد بــن إسماعيل (البخاري) ، والسبــب في ذلك ما رواه عنــه إبراهيم بن معقل النسفي قــال: كنا عند إسحاق بــن راهويه فقــال: لو جمعتــم كتابا مختصــرا لصحيــح سنة النبــي صلى الله عليــه وآلــه وسلم قال: فوقع ذلــك في قلبي، فأخذت في جمــع الجامع الصحيح. وعنــه أيضا قال: رأيت رسول الله صلى اللــه عليه وسلم وكأنني واقف بين يديه وبيــدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح. قال: وألفته في بضع عشرة سنة».

إذن لازالــت حلقات الأحلام تتواصل فبعد أن رأت أم البخاري إبراهيم الخليل يخبرهــا بأن ابنها رد إليه بصــره، لتستيقظ صباحا فتجد ابنهــا فعلا قد رد إليه بصره، بسبب بكائها حسب رواية وبسبب دعائها حسب رواية أخرى، نجد هاته المرة البخاري نفسه ينسب إليه المؤرخون أنه رأى حلما، مفاده أنه يذب عن وجه الرسول بواسطة مروحة، فيخبره معبر الرؤى أنه يذب عن النبي الكذب!! فكانت هاته القصة المتعلقة بحلم أيضا هي السبب في تأليف البخاري للجامع الصحيح، فلو لم يحلم البخــاري بنفسه يذب «الذباب»-لأنه لا يذب عن الوجه إلا الذباب والحشــرات الطائرة مثل البعوض- عن وجه الرســول –حسب هاته الرواية- لما كنا الآن «ننعم» بالإسلام، ولضاع الإسلام، لأنه في نظرهم لا إسلام بدون صحيح البخاري، في حين أن الرواية الأخرى تخبرنا أن سبب تأليف البخاري لهذا الكتاب هو ما دار في مجلس إسحاق بن راهويه، الذي طلب من رواد مجلسه أن يجمعوا كتابا مختصرا لصحيــح سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك السبب في أن البخاري ألف الجامع الصحيح.

ولا نعلــم نحن أي الروايتين نصدق، وكلتاهما منسوبــة للشيخ البخاري، لكن العديد من شيوخنا اليوم يميلون إلى رواية الأحلام، لأنها تتفق كثيرا مع شخصية العديــد منهم والتــي تميل إلى الأحلام والرؤى والخرافــات بشكل غريب، ولأنها أيضــا تتفق مــع الشخصية الأسطوريــة للشيخ البخاري، فلن تتــم حلقة «أمير

المؤمنــين في الحديــث» إن لم تبدأ بحلم له علاقة بالبخــاري وأمه، برسالة من أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، لها عنه عندما كان هو صبيا، ويتوسط عقد الأحلام حلــم ذب الذباب عن وجه النبي، والطريف في القصة، أن الذباب هو رمز الكذب على رسول الله، وقد نسي "علماء" الجرح والتعديل، أن يضيفوا اسم الذباب إلى مصطلح الحديــث ومصطلح تجريح الرجال، فبدل أن يقال هذا رجل كذاب، كان عليهــم أن يقولوا هذا رجل ذبــاب، تطبيقا لحلم البخاري، وتعبير معبر الرؤى بأنه يذب عن رسول الله الكذب «الذباب».

الأحــلام المؤسسة لأسطورة البخاري لم تقــف عند هذا الحد، بل تعدته إلى من يــدورون في فلــك الشيخ البخاري، ومــن كيس هاته الخرافات مــا أورده الشيخ محمد صادق النجمي -أضواء على الصحيحين -رقم الصفحة: (78) نقلا عن أبي زيــد المروزي أنه قال: كنت نائماً بين الركن والمقــام فرأيت النبي (ص) في المنام، فقــال لي: يا أبا زيد، إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رســول الله (صــ) وما كتابك؟، قال: جامع محمد بــن إسماعيل البخاري»، راجع أيضا مقدمة كتاب الفتح لابن حجر العسقلاني الفصل الأول.

إذن مسلسل الأحلام هذا كل حلقاته تدور حول أساطير تتجه لتعطي مصداقية أيضــا للبخــاري وللصحيح المنسوب إليــه، وهاته المرة من شخصــ لم يشاهد البخاري ولم يعاصره بل هو تلميذ تلميذه «المروزي»، الذي تقول الرواية أنه رأى رســول الله في النــوم يسأله منكرا عليه دراسة كتــاب الشافعي، ويطلب منه أن يعمد إلى دراسة كتاب الرسول الكريم الذي ليس إلا كتاب البخاري، وفي الوقت الذي كان الكل ينتظر أن يتحدث الرسول في الحلم عن القرآن لأنه الكتاب الذي جاء به الرسول من لدن الله وحيا منزلا عليه من العلي القدير، لكننا نجد الرسول -في الحلم طبعــا- يخبرنا عن المفاجأة الكبرى وهي أن كتاب الرسول هو الجامع الصحيح لمحمد بن اسماعيل البخاري، وتنتهي حلقتنا هذه من مسلسل الأحلام المؤسسة لأسطورة البخاري أو لسيرة البخاري.

إن وقاحة الراوي وصلت به إلى أن ينسب عبر خرافة حلم، لكتاب مجهول المؤلف أصلا -كما سنقف على ذلك من خلال الفصلين القادمين- بأنه كتاب لرسول الله، وبالتالي يكتمل السياج الكهربائي حول البخاري والصحيح المنسوب إليه، فكل تكذيب لصحيح البخاري أو لبعض مروياته، سيُعدّ تكذيبا مباشرا للرسول الكريم، أو ليس الكتاب هو كتاب الرسول حقا؟!، بنص الشهادة المأخوذة من رسول الله نفسه في حلم رآه شخص لم يولد إلا بعد وفاة الرسول بحوالي ثلاثمائة سنة، لكنها الخرافة تفعل فعلها عندما تجد من يصدقها، وكتب التاريخ تعج بمثل هاته الخرافات المأخوذة عن ادعاء بحلم، ومع ذلك يتبجح متبجح ليعتبر هذا علما!! ويحمل أسلحة التكفير ليوجهها لكل من أراد إعمال العقل واستعماله، ولمن أراد أن يمارس إنسانيته التي لا قيمة لها بدون استعمال العقل، النعمة الربانية التي حباها الله لنا، والتي هي مناط التكليف في الإنسان، والتي حث الله على استعمالها في محكم كتابه مرات ومرات وذم الذين لا يستعملون عقولهم وشبههم بالأنعام بل أضل.

«إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون» (سورة الأنفال، الآية 22)

حلقات مسلسل الأحلام المؤسسة لأسطورة البخاري نجدها أيضا في كتاب مقدمة فتح الباري والتي عنونها صاحب الكتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني ب «هدي الساري» حيث يروي هذا الأثر في الفصل الأول من المقدمة: «قال سمعت الفربري يقول سمعت محمد بن أبي حاتم البخاري الوراق يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم كأنه يمشي ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع».

حلم آخر يزيد «الفولتات» الكهربائية في هذا السياج الذي يحيط بالبخاري وبالكتاب المنسوب إليه وكلها أحلام تبرز أن البخاري كان على خطى الرسول، لتؤكد أن كل ما تم تدوينه في كتاب «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور

رســول الله صلى الله عليه وسلّم وسننــه وأيامه» -وهو الإسم الحقيقي لصحيح البخاري-صحيح ولا يتسرب إليه الشك، بشهادة ماذا أو من؟ هل بشهادة الأحلام التي رآها هؤلاء الأشخاص، أو التي ادعى هؤلاء أنهم رأوها، أو التي نسب لهؤلاء الأشخاص أنهم رأوها في نومهم؟، أم بشهادة رسول الله، الذي رأى أنه لم يكمل الرسالــة ولم يؤد الأمانة –حاشاه-فأرسل رسائله عــبر الأحلام إلى أمته، ليؤكد على أن صحيح البخاري يذب عن رسول الله الكذب، وأنه على خطاه يسير حذو القــدة بالقدة، وأن صحيح البخاري هو الكتــاب الوحيد للرسول صلى الله عليه وسلم؟. هذا الكلام على غرابته، وعلى حماقته، فإنه الكلام المستخلص من رواية هاته الروايات الخرافية في كتب الحديث عن البخاري مع كامل الأسف.

إن مــن يقف على هاته الخرافات لأول مرة سيندهش من هول المفاجأة، فالكثير مــن الناس الذين يسمعون عن شخصية البخاري، يظنون أن الأدلة المقدمة على علمــه وصلاحه ونبوغه، هي أدلة علمية، وحقائق مؤيدة بالشواهد التاريخية، ولم يكونــوا يعلمون أنها مجــرد أضغاث أحلام تم تضخيمها أو تم اختلاقها. فإذا كان المقــرر لدى الفقهاء أن الــرؤى لا يبتنى عليها تشريع، فــإن المحدثين بنوا عليها معتقدات، واعتبروها من حقائق التاريخ رغم أنفه، واعتبروها من العلم رغم أنفه أيضا.

حلــم اتباع البخاري لخطــوات الرسول بعد خروجه من قــبره، لم تكن «رؤيا» خاصــة بمحمد بن أبي حــاتم البخاري الوراق، بل هي «رؤيــا» رآها أيضا نجم بن فضيــل حسب ما رواه الفربــري أيضا، ونقله ابن حجــر العسقلاني في الفصل الأول مــن مقدمــة كتاب فتــح الباري، فنفس الــراوي يروي نفــس القصة عن شخصين مختلفين، محورها أنهما رأيا البخاري في المنام يتبع خطوات الرسول.

فمحاولة الاستدلال على أن البخاري كان شخصا ملتزما باتباع الرسول اتباعا تامــا، وما رواه عن الرسول صحيح تماما، بدأت بخرافة الأحلام والرؤى، ووجدت من يصدق هذا العبث، المستهزئ بالعقول مع كامل أسفنا الشديد.

وقــد أسهم في تقبل هاته الرؤى والأحلام أحاديث رويت في صحيح البخاري أيضــا لاستكمال حلقــات الاستحــكام والتحكم في العقول، لتتقبــل مثل هاته الخرافــات ومنها حديث جاء فيه "إذا اقتربَ الزمــانُ لم تَكَدْ رُؤيا المؤمن تكذبُ، ورؤيا المؤمن جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جزءاً من النبوةِ" متفق عليه (البخاري / 2263) من حديث أبى هريرة.

بل إن الرؤيا دليل على صدق رائيها، وبالتالي فقد تم صنع أحاديث في صحيح البخاري أيضا تسير على نفســ المنوال، وعلى خطى التحكم والاستحكام التي أشرنا إليها، مثل حديث جاء فيه: «أصْدَقُكُمْ رُؤيا: أصْدَقُكُمْ حديثاً» (متفق عليه) (البخاري / 2263) من حديث أبى هريرة.

بــل في صحيح البخــاري أن النبوة لم تنته تماما كما يقول القــرآن، بل بقي من النبــوة شيء آخر وهو الــرؤى، وللاستدلال على ذلك تم وضع حديث كهذا الذي ينسب للرسول فيه أنه قال: «لم يبقَ منَ النُّبُوَّة إلا المُبَشِّراتُ» قالوا: وما المبشراتُ؟ قال: «الرؤيا الصالحةُ» « أخرجه الإمام البخاري) (6990) من حديث أبى هريرة.

فرغــم بعض الأصوات التي حاولــت تنبيه الناس إلى أن الــرؤى والأحلام لا يحتــج بها ولا تصلح للمحاججة، كمثل قول العلّامة المُعلِّمي اليماني -رحمه الله تعــالى: «اتفق أهل العلم على أنّ الرؤيا لا تصلح للحجة، وإنما هي تبشير وتنبيه، وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حُجّــة شرعية صحيحة» «التنكيل» (2/242). رغــم كل ذلك إلا أن عبّاد الأشخاص، يقدمون هاته الأحلام التي أوردناها ضمن شخصية محمد بــن اسماعيل البخاري، وكأنها حقيقــة تاريخية لا غبار عليها، لكن من يتعظ؟!

الأسطورة

كانـت بداية الأسطورة مع سلسلة من الأحلام والـرؤى والمنامات التي طبعت سيرة البخاري، ممـا جعل هاته السيرة تعتمد على الخرافة وتصبح بذلك أسطورة مـن الأساطير التي تكون اليـق بحكايات الجدات للأطفال، بـدل أن تدرس في المعاهـد والجامعات، على أساس أنها جزء مـن تاريخ أعلامنا وشيوخنا، وبالتالي تاريخنا.

إن النسيـج الذي نسجت منه سـيرة الإمام البخاري كان عبـارة عن أساطير، شجعها الغلو في شخصية البخاري وفي الصحيح المنسوب إليه، وسنعطي أمثلة كثـيرة في هذا الباب على تحويل شخصية الشيـخ البخاري من شخصية عادية إلى شخصيـة أسطورية، لا يمكـن أن يصدق العقل بوجودهـا، إلا في الأفلام أو الأحلام.

ومن مظاهر تقديس الشيخ البخاري تقديسا غريبا مؤسسا على هاته الأساطير مـا سأنقله لكم خلال هذا الفصل، وستتعجب أيها القارئ من كلام هؤلاء الذين يقدمون على أنهم شيوخ وفقهاء ومحدثون وعلماء، وكيف غالوا في شخصية هذا الرجل إلى درجة التقديس وجعله فوق قياس البشر.

من هؤلاء الدكتور أحمد عمر هاشم، وهو رئيس سابق لجامعة الأزهر بالقاهرة، وجـدت له تصريحا علـى قناة أزهـري الفضائيـة، ببرنامج «اسألـوا» جعلني أستغـرب من المنطق الذي يحكم هؤلاء، فوجـدت أن لا منطق يحكمهم، إنما هي الخرافة التـي عششت في الأنفس وسيطرت على العقـول فانظروا إلى قول هذا الدكتـور المتخصص في «علم» الحديث فقـد قال: «لا يصح لمن يحاول النيل من الإمـام البخاري أن يقيسه بالمقياس البشري، لأن لله أنبياء لهم معجزات وأولياء لهم كرامات وصفوة لله، ألا ترى أن البخاري لما كف بصره وهو طفل وظلت أمه تبكـي وتدعو الله حتى رأت في المنـام إبراهيم خليل الله عليه السلام في الرؤية

يقول يا أمة الله لقد رد الله نور عين ابنك إليه، فرأت أن الله قد أعاد عليه بصره. حفظـه لآلاف الأحاديث وهو طفل، وحفظه لآلاف الأحاديث وامتحان أهل بغداد لـه، هذا الحفظ لا يكون أمرا طبيعيا بل هو هبة مـن الله ليصون حديث رسوله» انتهى كلام الدكتور أحمد عمر هاشم.

إن الدكتـور من خلال كلامه يدعونا إلى إيقاف عقولنـا البشرية طبعا، بدعوته أن لا نستعمـل القياس البشري، إذا أردنا الحديث عـن البخاري ومناقشته، لأن البخـاري هو من أولياء الله وصفوة الله، بمعنى أن الأولياء والصفوة لا يخضعون في سيرتهم للمنطق البشري كالأنبياء، وهنا يحق لنا أن نسأل الدكتور: إذن لأي منطـق يخضعون؟ وبمـاذا يمكن أن نمحص سيرتهـم؟ لنستخلص الجواب من هذا النصـ الذي نقلناه عنه مـن تصريح له على قناة أزهـري الفضائية، بقوله: «ألا تـرى أن البخاري لما كف بصره وهو طفل وظلت أمه تبكي وتدعو الله حتى رأت في المنـام إبراهيم خليل الله عليه السـلام في الرؤية يقول يا أمة الله لقد رد الله نور عين ابنك إليه، فرأت أن الله قد أعاد عليه بصره».

إذن المنطق الذي يدعونا إليه الدكتور الرئيس السابق لجامعة الأزهر، هو منطق الرؤى والأحلام، يعني أن نأخذ سيرته من هاته الأحلام التي اتفق أهل العلم كما روى لنا ذلك المعلمي بأنها غير صالحة للاحتجاج بها، لكن الدكتور ينافح ويدافع عن تقديسه للبخاري باعتباره فوق قياس البشر، بما يطلق عليه رؤيا.

والأخطـر من هذا كله أن هـذا الشيخ الأزهري المتخصصـ في علم الحديث، يحكـم بطريقـة جازمة بأن البخاري ولي الله ومن صفـوة خلق الله، وكأن الأمر يقيني لا يقبل الشك، مع العلم أنه لا يمكن الحكم على شخص بأنه من أولياء الله وأصفيائه، لأننا لا نعلـم الغيب ولا نستطيع الشق عن قلوب الناس، رغم حسن ظننـا بهم، لكن الدكتور لا يتحرج من الأمر مـادام الحديث عن شخصية الشيخ محمـد بن اسماعيل البخاري، عجيبة أخرى مـن عجائب هذا التصريح. وهو ما يناقضـ كلام الله في مثل هاتين الآيتين على الأقل: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم

﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ (سورة النجم الآية 32)، ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ (سورة البقرة الآية 220).

ويستدل الدكتور على أن البخاري لا يمكن إخضاعه للقياس البشري أيضا بحديثه عن الحفظ الأسطوري الذي تميز به البخاري حيث كان يحفظ آلاف الأحاديث وهو طفل صغير، وامتحان أهل بغداد له، معللا هاته الهبة الإلهية التي وهبها الله للبخاري بقوله «ليصون الله حديث رسوله».

إن الكلام بهاته الوثوقية عن الله، فيها من المجازفة الشيء الكثير، لأتساءل ومعي عديد من الناس عمّن أخبر الدكتور أن الله وهب هاته الهبات غير المعقولة للبخاري ليصون كلام رسوله؟ من أخبر الدكتور بذلك ليكون مقتنعا بهذا الأمر كي يقنعنا معه؟ غير أن الحقيقة التي لاريب فيها أن لا دليل على هذا الكلام سوى التقديس الأسطوري للأشخاص، وتحويلهم إلى أصنام بشرية، حيث أنه من المحرمات التي حرمها الله في كتابه، أن نقول عنه ما لا نعلم حينما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 33)

لكن هؤلاء الشيوخ لا يتورّعون عن أن ينسبوا لله ما لم يقله، ويقولون على الله ما لا يعلمون مادام الهدف رفع الشيخ البخاري إلى أعلى عليين.

أما في كتاب أضواء على الصحيحين للشيخ محمد صادق النجمي فقد جاء ما يلي: "المغالاة في الصحيحين: قال علماء (العامة) في الصحيحين وفي تصحيحهم وتوثيقهم لجميع أحاديثهما وتعديل مؤلفيهما من المدائح والإطراء كثيرا، وأطنبوا في ذلك حتى بلغ بهم مبلغ الغلو والإفراط فيهما، وكان نصيب البخاري من هذه المدائح والإطراءات أكثر من مسلم. فتارة تراهم يبعثون سلام وتحية النبي (صلى الله عليه وآله) إلى البخاري وتارة

أخـــرى يقصّـــون الرؤى والأحلام في شـــأن صحيحه وينسبون إليـــه وإلى مسلم وصحيحيهما شتى الكرامات الفاضلة حتى بلغ الأمر بهم أن قالوا: إن رسول الله أيد صحة كتابيهما وأمضاهما" انتهى.

والشيـــخ مُحقّ في هـــذا ولتأكيد كلامه أورد مجموعة مـــن الأقوال المأخوذة من كتـــب التراث الدينـــي الإسلامي والتي جعلـــت من البخاري أسطـــورة ما بعدها أسطورة، ومـــن النقول التي جاء بها الشيخ محمد صادق النجمي نقلا عن كتاب الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين: الحديث الثالث والثلاثون. استقصاء الأفهام 2: 868. «إن الشيـــخ التنوسي لمـــا زار قبر النبي (صلى الله عليه وآله) سأل رسول اللـــه (صلى الله عليه وآله): هل مـــا ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم من الحديث صحيح ويجوز لي أن أحدث ذلك عنك؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): نعم، إنهما جميعا صحيحان وحدث عني ما ورد فيهما»

وفي نفس المصدر القصة ذاتها بشيء من التفصيل "وينقل عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن شارح مختصر الخليل أنه قال: كنت مع شيخي الشيخ عبد المعطي التنوسي (التونســـي) في زيارة لمرقد رسول الله (صلى اللـــه عليه وآله) إذ شاهدت شيخي خلافـــا لما اعتاده يمشي خطوة إلى الأمام ثم يتوقف هنيئة، ويكرر ذلك حتى وصل إلى قـــبر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ووقف أمام القبر وتكلم بكلام لم أفهم ما قالـــه. وعندما رجعنا سألته عن قضيـــة المشي والمكث والمحادثة غير المعتادة قال: كنـــت أستأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالدخول والزيارة حتى أذن، فلما دنوت منه قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهل كل ما ورد في صحيح البخاري صحيح؟ قال: نعم. قلت: أحدث عنك كل ما ورد فيه من الأحاديث؟ قال: نعم، حدث عني". انتهى.

إن الخرافة واضحة في هاته النقول بشكل يستفز عقل القارئ ووجدانه وإيمانه، لكـــن منطق لا تناقش الأمـــور بقياسٍ بشري، يجعل النـــاس يقبلون هذا الهراء، ويعتبرونـــه حجة ما بعدها حجة، ودَلِيلًا يُفحِم المعارض لأوهامهم، حيث يعتبرون

أن الرسول قدّم شهادته في صحيح البخاري من قبره، وأتعجب كيف أمكن لهؤلاء الشيوخ أن يرووا هاته الأساطير للناس ويستخفوا بعقول الناس، أتعجب!!

وقد قال محمد فريد وجدي في كتاب دائرة معارف القرن العشرين: وغلا بعضهم فرأى أن يستأجر رجالا يقرأون الأحاديث النبوية في كتاب الإمام البخاري استجلابا للبركات السماوية -تماما كالقرآن -دائرة معارف القرن العشرين 482:3.

أما في كتاب قواعد التحديث للقاسمي أيضا قوله: "صحيح البخاري عدل القرآن، إذ لو قرئ هذا الكتاب بدار في زمن شاع فيه الوباء والطاعون لكان أهله في مأمن من المرض، ولو اختتم أحد هذا الكتاب لنال ما نواه، ومن قرأه في واقعة أو مصيبة لم يخرج حتى ينجو منها، ولو حمله أحد معه في سفر البحر لنجا هو والمركب من الغرق".

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى مقارنة كتاب صحيح البخاري البشري المصدر بكتاب الله الإلهي المصدر، حيث ورد في كتاب الصواعق المحرقة قول ابن حجر المكي: «الصحيحان هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتد به» وجاء في تطهير الجنان المطبوع بهامش الصواعق: 20 ذكر البخاري فقط.

وقال القسطلاني في كتابه إرشاد الساري: قال الذهبي: وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله عز وجل "29:2"

إن تقديس البخاري والجامع الصحيح المنسوب إليه، بلغ بالشيوخ إلى حد أن أفتوا فتاوى غريبة، لا تعتمد على أساس عقلي ولا شرعي، ومن ذلك ما نقله الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في «صيانة صحيح مسلم» (ص/86) بسنده إلى إمام الحرمين الجويني أنه قال: "لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمته الطلاق، ولا حنثته، لإجماع علماء المسلمين على صحتهما"

إذن فكتاب صحيح البخاري كامل لا خطأ فيه ولو بالظن أو الوهم أو النسيان أو السهو، والكامل لا يصدر إلا عن الكامل، وبالتالي فالشيخ البخاري هو

إنســان كامل، ولا يجري عليه الخطأ الذي جرى على آدم وعلى أنبياء الله ومنهم نبينا محمد صلــى الله عليه وسلم، فالبخاري أكمل من الجميع وينازع الله صفة الكمال، حتى قورن الجامع الصحيح المنسوب إليه بكتاب الله القرآن!

هاتــه هي الحقيقة المرة التي تنطوي عليها بطــون كتب التراث الديني مع كامل الأســف، ويمنع الناســ من مناقشة هاتــه الخرافات والأوهام، تحــت تهديد سيف الإجماع تــارة، وسيف الأحلام تارة أخرى، لتستحكــم الحلقات المسيجة لذلكم السياج الأسطوري الذي يلف شخصية البخاري.

إن الهيبــة التي تلف القارئ المتعطش للحقيقة عندما يرى حكاية الإجماع من شيــوخ أعلام من مثل ما جاء في «تهذيب الأسماء واللغات» (1/73) قول النووي: «أجمعــت الأمة على صحة هذين الكتابــين ووجوب العمل بأحاديثهما" فهو كما تــرى أيهــا القارئ لم يكتف بروايــة الإجماع على صحــة الصحيحين، بل روى الإجماع على وجوب العمــل بهما، وهنا يحق لنا أن نتساءل عن السبب الكامن وراء كل هذا؟ ولماذا أصبح من الواجب العمل بهما؟ ما الذي يؤيد طرح النووي؟ أهي الأساطير المؤسسة لهذا والتي تعج بها سيرة الشيخ البخاري؟ أم ماذا؟!

أمــا ابن حجر في مقدمة الفتح فيقــول معللا سبب كون صحيح البخاري أصح الكتب ما يلي:

«لا ريب في تقديم البخاري ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفــة الصحيح والمعلل، فإنهم لا يختلفون في أن علي بن المديني كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وعنه أخذ البخاري ذلك، حتى كان يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني. ومع ذلك فكان علي بن المديني إذا بلغه ذلك عن البخاري يقول: دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه. وكان محمد بن يحيى الذهلــي أعلم أهل عصــره بعلل حديث الزهري وقد استفــاد منه ذلك الشيخان جميعــا، وروى الفربري عن البخاري قال: ما أدخلت في الصحيح حديثا إلا بعد أن استخــرت الله تعــالى وتيقنت صحته. وقال مكي بن عبــد الله سمعت مسلم

بــن الحجاج يقول: عرضت كتابي هــذا على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أن له علــة تركته. فإذا عرف وتقــرر أنهما لا يخرجان من الحديــث إلا ما لا علة له، أو لــه علة إلا أنها غير مؤثرة عندهمــا، فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهمــا، ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما، فيندفع الاعتراض من حيث الجملة» هدي الساري ص345.

وبلمحة سريعة على هذا النص نجد أن ابن حجر ينافح ويدافع ضد الاعتراض علــى صحيح البخاري بالظن وباستنتاجات ظنية غير قطعية، يرى هو أنها دليل، حتى أنه استشهد بالقول المنسوب للشيخ البخاري بأنه كان يستخير الله ويصلي قبل أن يكتب حديثا في الصحيح، وأيضا يستشهد بقول المديني شيخ البخاري "دعــوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه" وهذا القــول وإن كان ورد من ابن حجر في سيــاق المــدح إلا أن المتمعن فيه يجده ذما صريحا للبخــاري، واتهاما من شيخه بأنه كان لا يرى إلا نفسه، لكن العقول تطمس في مثل هاته المناسبات لترى الذم مدحا، على رغم أنــف اللغة، وعلى رغم أنف العقل، لتبرز مرة أخرى المقولة التي تقول: «لا يجب أن يجابــه البخاري بالقياس البشري»، فقد تم رفعه فوق البشر، بــل فوق حتى الأنبيــاء والرسل، إذ نحن إزاء أسطــورة متشابكة لا منطق لها أو فيها، أو حتى يجاورها، أو ينتسب إليها.

وسأورد هنا حزمة من الشهادات التي رفعت البخاري والصحيح المنسوب إليه إلى عنان السماء وجعلته وكتابه طودا لا يقاوم، ولا يطاول، سأوردها دفعة واحدة كمــا جاءت في مقدمة الفتح عند ابن حجــر العسقلاني، ولا أريد الإقتطاع منها، وإن كان فيهــا ما تم إدراجه سابقا في هذا الكتاب لأختم بها هذا الباب يقول ابن حجــر: «فأولهم مشايخه قال سليمان بن حرب ونظر إليه يوما فقال هذا يكون له صيــت وكذا قال أحمــد بن حفص نحوه وقــال البخاري كنــت إذا دخلت على سليمــان بــن حرب يقول بــين لنا غلط شعبــة وقال محمد بن أبــي حاتم سمعت البخــاري يقــول كان إسماعيل بن أبــي أويس إذا انتخبت مــن كتابه نسخ تلك

الأحاديــث لنفسه وقال هذه الأحاديث انتخبها محمــد بن إسماعيل من حديثي قــال وسمعته يقول اجتمع أصحاب الحديث فسألــوني أن أكلم لهم إسماعيل بن أبي أويس ليزيدهم في القراءة ففعلت فدعا الجارية فأمرها أن تخرج صرة دنانير وقال يا أبا عبد الله فرقها عليهم قلت إنما أرادوا الحديث قال أجبتك إلى ما طلبوا مــن الزيــادة غير أني أحب أن يضم هذا إلى ذاك قال وقال لي بن أبي أويس أنظر في كتبــي وجميــع ما أملك لك وأنــا شاكر لك أبدا ما دمت حيــا وقال حاشد بن إسماعيــل قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري محمد بن إسماعيل أفقه عندنــا وأبصــر بالحديث من أحمد بن حنبل فقال له رجــل من جلسائه جاوزت الحــد فقــال له أبو مصعب لــو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهــه ووجه محمد بن إسماعيــل لقلت كلاهما واحــد في الحديث والفقه قلت عــبر بقوله ونظرت إلى وجهــه عن التأمل في معارفه وقال عبدان بن عثمان المروزي ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا وأشار إلى محمد بن إسماعيل وقال محمد بن قتيبة البخاري كنت عنــد أبي عاصم النبيــل فرأيت عنده غلاما فقلت له من أين قال من بخارى قلت بن من قال ابن إسماعيل فقلت أنت من قرابتي فقال لي رجل بحضرة أبي عاصم هــذا الغلام يناطح الكباش يعنــي يقاوم الشيوخ وقال قتيبة بــن سعيد جالست الفقهــاء والزهــاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمــد بن إسماعيل وهو في زمانــه كعمر في الصحابــة وعن قتيبة أيضا قال لو كان محمــد بن إسماعيل في الصحابــة لكان آية وقــال محمد بن يوسف الهمداني كنا عنــد قتيبة فجاء رجل شعــراني يقال له أبو يعقوب فسأله عن محمد بن إسماعيل فقال يا هؤلاء نظرت في الحديــث ونظرت في الرأي وجالست الفقهاء والزهــاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل قال وسئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمد بن إسماعيــل فقال قتيبة للسائل هذا أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلي بــن المديني قد ساقهم الله إليــك وأشار إلى البخاري وقــال أبو عمرو الكرماني حكيت لمهيار بالبصرة عن قتيبة بن سعيد أنه قال لقد رحل إلي من شرق الأرض

ومــن غربها فما رحــل إلي مثل محمد بن إسماعيل فقال مهيــار صدق قتيبة أنا رأيتــه مع يحيى بن معين وهمــا جميعا يختلفان إلى محمد بــن إسماعيل فرأيت يحيــى منقادا لــه في المعرفة وقــال إبراهيم بن محمد بن ســلام كان الرتوت من أصحــاب الحديث مثل سعيد بن أبي مريم وحجاج بــن منهال وإسماعيل بن أبي أويــس والحميــدي ونعيم بن حمــاد والعدني يعني محمد بن يحيــى بن أبي عمر والخلال يعني الحسين بن علي الحلواني ومحمد بن ميمون هو الخياط وإبراهيم بن المنذر وأبي كريب محمد بن العلاء وأبي سعيد عبد الله بن سعيد الأشج وإبراهيم بن موسى هو الفراء وأمثالهم يقضون لمحمد بن إسماعيل على أنفسهم في النظر والمعرفــة قلت الرتوت بالراء المهملة والتاء المثناة من فوق وبعد الواو مثناة أخرى هــم الرؤساء قاله بن الأعرابي وغيره وقــال أحمد بن حنبل ما أخرجت خراسان مثــل محمد بن إسماعيل رواهــا الخطيب بسند صحيح عن عبد الله بن أحمد بن حنبــل عن أبيه ولما سأله ابنه عبــد الله عن الحفاظ فقال شبان من خراسان فعده فيهم فبدأ به وقال يعقوب بن إبراهيم الدورقي ونعيم بن حماد الخزاعي محمد بن إسماعيــل البخاري فقيــه هذه الأمة وقال بندار محمد بن بشار هو أفقه خلق الله في زماننــا وقال الفربــري سمعت محمد بــن أبي حاتم يقول سمعــت حاشد بن إسماعيــل يقول كنت بالبصــرة فسمعت بقدوم محمد بن إسماعيل فلما قدم قال محمد بن بشار قدم اليوم سيد الفقهاء وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي سمعت بندارا سنة ثمان وعشرين يقول ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل وقال بندار أنــا أفتخر به منذ سنين وقال موسى بن قريش قــال عبد الله بن يوسف التنيسي للبخاري يا أبا عبد الله أنظر في كتبي وأخبرني بما فيها من السقط فقال نعم وقال البخــاري دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة يعني أول سنة حج فإذا بينــه وبين آخر اختلاف في حديث فلما بصر بي قال جاء من يفصل بيننا فعرضا علي الخصومة فقضيت للحميدي وكان الحق معه وقال البخاري قال لي محمد بن ســلام البيكندي أنظر في كتبي فما وجــدت فيها من خطأ فاضرب عليه فقال له

بعض أصحابه من هذا الفتى فقال هذا الذي ليس مثله وكان محمد بن سلام المذكور يقول كلما دخل علي محمد بن إسماعيل تحيرت ولا أزال خائفا منه يعني يخشى أن يخطئ بحضرته وقال سليم بن مجاهد كنت عند محمد بن سلام فقال لي لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث وقال حاشد بن إسماعيل رأيت إسحاق بن راهويه جالسا على المنبر والبخاري جالس معه وإسحاق يحدث فمر بحديث فأنكره محمد فرجع إسحاق إلى قوله وقال يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث وفقهه وقال البخاري أخذ إسحاق بن راهويه كتاب التاريخ الذي صنفته فأدخله على عبد الله بن طاهر الأمير فقال أيها الأمير ألا أريك سحرا وقال أبو بكر المديني كنا يوما عند إسحاق بن راهويه ومحمد بن إسماعيل حاضر فمر إسحاق بحديث ودون صحابيه عطاء الكنجاراني فقال له إسحاق يا أبا عبد الله أيش هي كنجاران قال قرية باليمن كان معاوية بعث هذا الرجل الصحابي إلى اليمن فسمع منه عطاء هذا حديثين فقال له إسحاق يا أبا عبد الله كأنك شهدت القوم وقال البخاري كنت عند إسحاق بن راهويه فسئل عمن طلق ناسيا فسكت طويلا مفكرا فقلت أنا قال النبي صلى الله عليه و سلم إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم وإنما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث العمل والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتقد بقلبه فقال لي إسحاق قوني قواك الله وأفتي به وقال أبو الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري حدثني فتح بن نوح النيسابوري قال أتيت علي بن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالسا عن يمينه وكان إذا حدث التفت إليه مهابة له وقال البخاري ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني وربما كنت أغرب عليه قال حامد بن أحمد فذكر هذا الكلام لعلي بن المديني فقال لي دع قوله هو ما رأى مثل نفسه وقال البخاري أيضا كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه إلى أن قال لي يوما يا أبا عبد الله كل

من أثنيت عليه فهو عندنا الرضى وقال البخاري ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفلاس بحديث فقلت لا أعرفه فسروا بذلك وصاروا إلى عمرو بن علي فقالوا له ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديث فلم يعرفه فقال عمرو بن علي حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث وقال أبو عمرو الكرماني سمعت عمرو بن علي الفلاس يقول صديقي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ليس بخراسان مثله وقال رجاء بن رجاء الحافظ فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء وقال أيضا هو آية من آيات الله تمشي على ظهر الأرض وقال الحسين بن حريث لا أعلم أني رأيت مثل محمد بن إسماعيل كأنه لم يخلق إلا للحديث وقال أحمد بن الضوء سمعت أبا بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل وكان أبو بكر بن أبي شيبة يسميه البازل يعني الكامل وقال أبو عيسى الترمذي كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير فقال له لما قام يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة قال أبو عيسى فاستجاب الله تعالى فيه وقال أبو عبد الله الفربري رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخاري وسمعته يقول أنا من تلامذته قلت عبد الله بن منير من شيوخ البخاري قد حدث عنه في الجامع الصحيح وقال لم أر مثله وكانت وفاته سنة مات أحمد بن حنبل وقال محمد بن أبي حاتم الوراق سمعت يحيى بن جعفر البيكندي يقول لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم وقال أيضا سمعته يقول له لولا أنت ما استطبت العيش ببخارى وقال عبد الله بن محمد المسندي محمد بن إسماعيل إمام فمن لم يجعله إماما فاتهمه وقال أيضا حفاظ زماننا ثلاثة فبدأ بالبخاري وقال علي بن حجر أخرجت خراسان ثلاثة البخاري فبدأ به قال وهو أبصرهم وأعلمهم بالحديث وأفقههم قال ولا أعلم أحدا مثله وقال أحمد بن إسحاق السرماري من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل وقال حاشد رأيت عمرو بن زرارة ومحمد

بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألانه عن علل الحديث فلما قاما قالا لمن حضر المجلس لا تخدعوا عن أبي عبد الله فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر قال وكنا يوما عند إسحاق بن راهويه وعمرو بن زرارة وهو يستملي على أبي عبد الله وأصحاب الحديث يكتبون عنه وإسحاق يقول هو أبصر مني وكان أبو عبد الله إذ ذاك شابا وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي أخبرني عبد الله بن محمد الفرهياني قال حضرت مجلس بن أشكاب فجاءه رجل ذكر اسمه من الحفاظ فقال ما لنا بمحمد بن إسماعيل من طاقة فقام بن أشكاب وترك المجلس غضبا من التكلم في حق محمد بن إسماعيل وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر لما مات أحمد بن حرب النيسابوري ركب إسحاق بن راهويه ومحمد بن إسماعيل يشيعان جنازته وكنت أسمع أهل المعرفة ينظرون ويقولون محمد أفقه من إسحاق ذكر (طرف من ثناء أقرانه وطائفة من أتباعه عليه تنبيها بالبعض على الكل) قال أبو حاتم الرازي لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه وقال محمد بن حريث سألت أبا زرعة عن أبي لهيعة فقال لي تركه أبو عبد الله يعني البخاري وقال الحسين بن محمد بن عبيد المعروف بالعجلي ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل ومسلم حافظ ولكنه لم يبلغ مبلغ محمد بن إسماعيل قال العجلي ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعان إليه وكان أمة من الأمم دينا فاضلا يحسن كل شيء وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلي بكذا وكذا وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل وقال أيضا هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلبا وسئل الدارمي عن حديث وقيل له إن البخاري صححه فقال محمد بن إسماعيل أبصر مني وهو أكيس خلق الله عقل عن الله. ما أمر به ونهى عنه من كتابه وعلى لسان نبيه إذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر في أمثاله وعرف حلاله من حرامه وقال أبوالطيب حاتم بن منصور كان محمد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره ونفاذه في العلم وقال

أبو سهل محمود بن النضر الفقيه دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم وقال أبو سهل أيضا سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون حاجتنا في الدنيا النظر إلى محمد بن إسماعيل وقال صالح بن محمد جزرة ما رأيت خراسانيا أفهم من محمد بن إسماعيل وقال أيضا كان أحفظهم للحديث قال وكنت أستملي له ببغداد فبلغ من حضر المجلس عشرين ألفا وسئل الحافظ أبو العباس الفضل بن العباس المعروف بفضلك الرازي أيما أحفظ محمد بن إسماعيل أو أبو زرعة فقال لم أكن التقيت مع محمد بن إسماعيل فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد قال فرجعت معه مرحلة وجهدت كل الجهد على أن آتي بحديث لا يعرفه فما أمكنني وها أنا ذا أغرب على أبي زرعة عدد شعر رأسه وقال محمد بن عبد الرحمن الدغولي كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاري كتابا فيه المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل وقال أبو عيسى الترمذي لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخاري وقال له مسلم أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك وقال أحمد بن سيار في تاريخ مر ومحمد بن إسماعيل البخاري طلب العلم وجالس الناس ورحل في الحديث ومهر فيه وأبصر وكان حسن المعرفة حسن الحفظ وكان يتفقه وقال أبو أحمد بن عدي كان يحيى بن محمد بن صاعد إذا ذكر البخاري قال ذاك الكبش النطاح وقال أبو عمرو الخفاف حدثنا التقي النقي العالم الذي لم أر مثله محمد بن إسماعيل قال وهو أعلم بالحديث من أحمد وإسحاق وغيرهما بعشرين درجة ومن قال فيه شيئا فعليه مني ألف لعنة وقال أيضا لو دخل من هذا الباب وأنا أحدث لملئت منه رعبا وقال عبد الله بن حماد الابلي لوددت أني كنت شعرة في جسد محمد بن إسماعيل وقال سليم بن مجاهد ما رأيت منذ ستين سنة أحدا أفقه ولا أورع من محمد بن إسماعيل وقال موسى بن هارون الحمال الحافظ

البغـدادي عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن يصيبوا آخر مثل محمد بن إسماعيـل لما قـدروا عليه وقال عبـد الله بن محمد بن سعيد بـن جعفر سمعت العلمـاء بمصر يقولون مـا في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح ثـم قال عبد الله وأنا أقـول قولهم وقال الحافظ أبو العباسـ أحمد بن محمد بن سعيـد بن عقدة لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد بـن إسماعيل وقال الحاكم أبو أحمد في الكنى كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه ولو قلت أني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة لفعلت ولـو فتحت باب ثناء الأئمـة عليه ممن تأخر عن عصره لفنـى القرطاس ونفدت الأنفاسـ فذاك بحر لا ساحل لـه وإنما ذكرت كلام بن عقـدة وأبي أحمد عنوانا لذلك وبعد ما تقدم من ثناء كبار مشايخه عليه لا يحتاج إلى حكاية من تأخر لأن أولئـك إنمـا أثنوا بما شاهـدوا ووصفوا ما علمـوا بخلاف من بعدهم فـإن ثناءهم ووصفهـم مبني على الاعتماد على ما نقل إليهـم وبين المقامين فرق ظاهر وليس العيـان كالخبر» انتهى بنصه من مقدمة الفتح عن الموسوعة الشاملة من الصفحة 482 إلى ص 485 الجزء1.

اعتـذر للقارئ الكريم عن هـذا النقل المطول من مقدمة كتاب الفتح لابن حجر العسقـلاني، كان الهدف من ورائـه أن يقف القارئ على حجـم التقديس الذي لقيه البخاري من الشيوخ المسلمين، حتى لا نتهم بأننا نلقي الكلام على عواهنه، ليقـف كل من يقرأ هـذا الغلو على من يلقي حقا الكلام علـى عواهنه، وللأسف الشديـد هذا ما يدرس الآن في الجامعـات الاسلامية على طول العالم الاسلامي علـى أساس أنه جـزء من تاريخ أعلامنا وشيوخنا، حتـى أني أجزم أنه لو عاش البخاري إلى عصرنا وقرأ هذا الكم الهائل من النقول الموغلة في الغلو والتقديس لشخصه لتبرأ منها إلى الله.

وليسـ كتاب فتح الباري وحده مـن يمتلئ بمثل هذا التقديسـ، بل هناك كتب كثـيرة سارت على نفس المنهج والنهـج في تقديس هذا الرجل، ورفع الصحيح

المنسـوب إليه إلى مستوى التقديس، وسأختم لكـم هذه الفقرة بنقل من البداية والنهاية لابن كثير يسير في ذات الاتجاه ويعززه.

وشرطـه في "صحيحه" هـذا أعز من شرط كل كتاب صنف في "الصحيح"، لا يوازيه فيه غيره، لا "صحيح مسلم" ولا غيره. وما أحسن ما قال بعض الفصحاء من الشعراء:

صحيح البخاري لو أنصـفوه	لما خـط إلا بمـــاء الذهب
هو الفرق بين الـهدى والعمى	هو السد بين الفتى والـعطب
أسانيد مثل نجـــوم السماء	أمام متون كمثل الشـــهب
بها قام ميزان دين الـــرسول	ودان به العجـــم بعد العرب
حجـاب من النار لا شـك فيه	تميز بين الرضـــا والغضب
وستر رقيـــق إلى المصطفى	ونص مبين لكـــشف الريب
فيا عالما أجمـــع الـــعالمون	على فضل رتبـته في الرتب
سبقت الأئمــة في ما جمعت	وفزت على زعمهم بالقصب
نفيت الضعـــيف من الناقلين	ومن كان متهمـــا بالكذب
وأبـــرزت في حـسن ترتيبه	وتبويبه عجبـــا للعجـــب
فأعطاك مولاك ما تـــشتـهيه	وأجزل حـظك فـــيما وهب»

فانظروا بعد هذا الكلام ماذا بقي لكتاب الله من التقديس؟ !

أسطورة الحفظ الأسطوري

في نفســ سباق وسياق ولحاق سيرة الإمــام البخاري المحفوفة بالأساطير، نجد أن الرواة كي يكملوا تلك الحلقات الخرافية أضافوا إليها أيضا أسطورة الحفظ، أو الحفظ الأسطوري، حتى أن أحدهم كتب مقالة في مجلة العربي الجزائرية عنونها ب: «البخاري بطل العالم في الذاكرة» مؤكدا تفوقه على أهم الشخصيات العالمية في عصرنــا وفي كل العصور، على صعيد الحفظ والتذكر، حيث اعتبر أن ذاكرته أســرع من ذاكرة الكمبيوتــرات العملاقة، وسنورد هنا مظاهــر لأسطورة الحفظ الأسطوري للبخاري، كما نقلتها إلينا كتب التراث.

فقــد جاء عــن حفظــه الأسطــوري في البداية والنهايــة لابن كثير مــا نصه: «ولد البخــاري - رحمه اللــه- في ليلة الجمعة الثالث عشر مــن شوال سنة أربع وتسعــين ومائة، ومــات أبوه وهو صغــير، فنشأ في حجر أمــه، فألهمه الله حفظ الحديــث وهو في المكتب، وقرأ الكتب المشهورة وهــو ابن ست عشرة سنة حتى قيــل: إنــه كان يحفظ وهو صبــي سبعين ألف حديث سردا. وحــج وعمره ثماني عشــرة سنة، فأقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم ارتحــل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنه الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ، وروى عنه خلائق وأمم».

ولك أن تتصور الكــم الهائل من الأحاديث «السبعون ألفا» التي كان يحفظها البخــاري بتراجمها وأسانيدها وما قيــل في رجال هاته الأحاديث فردا فردا، من جرح أو تعديل، ودرجة كل حديث من حيث الصحة أوالضعف، إلى غير ذلك مما يرتبــط بها وهو ما زال صبيا في سن اللعــب، فعلى هذا يجب أن يكون البخاري قــد بــدأ حفظ الأحاديث قبــل أن يولد، حتى لو لم نأخذ بعــين الاعتبار سنوات تعلمه اللغة و"علومها"، والفقه و"علومه"، والحديث و"علومه"، ولم نأخذ بالاعتبار سنوات رضاعه، ثم تعلمه الحبو فالمشي فالهرولة، ثم سنوات تعلمه النطق فالكلام،

ثـم سنوات لعبه مع الأطفال، فبالرغم من عدم أخذنا في الاعتبار بكل هذا، فإنه رغم ذلك، ستبقى مسألة حفظ البخاري خرافة كخرافات أخرى نقلت إلينا بدون تمحيص من ناقليها عبر كتب التراث المليئة بهذا الخبل «التاريخي» والذي يرمي بالأساس إلى خلـق شخصية أسطورية عصية على النقد، أو الطعن، لهذا نسب إليها ما لا يقبله عقل ولا منطق.

وورد عنـه في كتاب معرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بـن عبد الرحمن (طبعة دار الكتب العلمية: ج1 صـ37) أنه "كان يحفظ مئة ألف حديث صحيـح، ومئتي ألف حديث غير صحيح"، وفي كتـاب "الإمام البخاري وكتابـه الجامع الصحيـح" لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العبـاد البدر (طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنـورة: ج1 ص33) أنه كان يأخـذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة.

إذن مـن الطبيعي أن تكون هاته النتيجـة هي المحصلة الطبيعية لصبي في سن اللعب كان يحفظ سبعين ألف حديث، فمن الطبيعي أن يغدو حافظا لثلاثمائة ألف حديـث وهو شاب منتصب العود قويـه، وكي يتم إخفاء الحقيقة أكثر، لأن العقل سيتسـاءل عن الزمن الذي استغرقه هـذا الرجل في حفظ ثلاثمائة ألف حديث، تم إحـداث الرواية الثانية التي تقول أن محمـد البخاري كان يحفظ الكتاب من قراءتـه الأولى، فيكفيـه أن يمر مر الكـرام على الصفحة مـن الكتاب لتنطبع في ذاكرة البخاري الحديدية بل الأسطوريـة، لينهي الكتاب وكل مقتضياته العامة، مطبوعة ومحفوظة على القرص الصلب لدماغ البخاري، حتى أن الرواة رووا عنه أنـه كان يصحح لشيوخه أخطاءهم في الحديث، لنتسـاءل نحن بدورنا عما كان هؤلاء الشيوخ يعلمونه للبخاري، وهو كان يصحح أخطاءهم ويحتكمون إليه عند اختلافهـم، ويرضون بحكمه؟ إن هذا لأمر عجـاب! ومنه ما جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (طبعة دار

الغرب الإسلامي: ج2 ص322) أنه شهد له شيوخه بذلك من صغره وكانوا يأخذون منه ويستفيدون، قال محمد بن أبي حاتم: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام: انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عليه، كي لا أرويه، ففعلت ذلك».

وقد جاء بنفس السياق في كتاب البداية والنهاية لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (طبعة دار هجر: ج14 ص531) أن «محمد بن يحيى الذهلي أحد أبرز شيوخه يسأله عن الأسامي والكنى والعلل، والبخاري يمر فيه كالسهم، كأنه يقرأ قل هو الله أحد».

وقد جاء في كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (طبعة المطبعة الكبرى الأميرية، مصر:ج1 ص34) أنه «قد رُزق قوة الحفظ من صغره فكان وهو صبي لا يزال في مقتبل العمر يحفظ سبعين ألف حديث ويعرف تاريخ رواته وأخبارهم، قال سليمان بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيًا يحفظ سبعين ألف حديث. قال فخرجت في طلبه فلقيته، فقلت: أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم وأكثر، ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا من عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثًا من حديث الصحابة والتابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظًا عن كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم.»

بل إن الرواة تفننوا أيما تفنن في احتقار الشيوخ والحفاظ أمامه، وتفننوا في إبراز تفوقه عليهم كما جاء في كتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي (طبعة دار الغرب الإسلامي: ج6 ص140) أنه «كان معروفاً بذلك "أي بالحفظ" بين أقرانه من طلبة العلم حتى كانوا يجلسون إليه ويسألونه عن الحديث، قال محمد بن أبي حاتم: سمعت إبراهيم الخواص مستملي صدقة يقول: رأيت أبا زرعة كالصبي

جالسا بين يدي محمد بن إسماعيل يسأله عن علل الحديث.»

وورد أيضا في كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، قال أبو بكر المديني: كنا يوما بنيسابور عند إسحاق بن راهويه، ومحمد بن إسماعيل حاضر في المجلس، فمر إسحاق بحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكان دون صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخاراني فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله أيش كيخاران؟ قال: قرية باليمن كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فسمع منه عطاء حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، كأنك قد شهدت القوم!»

قصص قوة الحفظ عند البخاري تناسلت كتناسل الفطر بشكل غريب لم يكلف المحدثين على غير عادتهم، تمحيصها والنظر في أسانيدها لأن أنفسهم وقلوبهم تميل إلى جعل البخاري أسطورة حقيقية ومن ذلك أيضا ما ورواه الخطيب البغدادي في نفس المرجع السابق بسنده عن حاشد بن إسماعيل قال: «كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا، نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشرة يوما: إنكما قد أكثرتما علي وألحتما، فاعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد».

ومن الروايات الشهيرة التي تؤكد الأسطورة وترفعها إلى عنان السماء وتعزز السياج الكهربائي الذي يجعل منها شخصية فوق كل انتقاد، أو مناقشة، أو حتى محط تساؤل، ما جاء في شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (طبعة دار ابن كثير:ج1 ص24): "روى أبو أحمد بن عدي الجرجاني قال: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث

فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل منهم عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة وسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري لا أعرفه فسأل عن آخر فقال البخاري لا أعرفه ثم سأل عن آخر فقال لا أعرفه فما زال يلقي بمثله واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهمنا ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فسأل عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم انتدب الثالث إليه والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على لا أعرفه فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال أما حديثك الأول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل الآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها فأقر له الناس بالحفظ والعلم وأذعنوا له بالفضل».

الغريب أن العديد من المحدثين المتشددين في الرواية يرددون هاته الرواية كأنها من المسلمات التي لاتقبل الجدل، أو أنها من أكبر اليقينيات التاريخية، ولم يقفوا وقفة بسيطة لتمحيصها والنظر في أسانيدها على عادتهم في تمحيص الرجال بالقيل والقال، وهنا ارتأيت أن أقف وقفة عند هاته الرواية لأنقل لكم ما

قــال عنها المحص حيث ورد في موقع الالوكة تعليق على القصة من طرف أحد المعلقين عليها بقوله «أما تخريج القصة، فقد قام به الأخ الفاضل علي أحمد عبد الباقي، أمّا الحكم عليهــا فقد حكم عليها المشاركون الأفاضل بحسن الظن وهو لا يغني من الحق شيئا. وذلك لعدة أسباب:

الأول: أن المشايــخ الذيــن سمع منهم مبهمون ومجهولــون، وهذه الجهالة تحول دون صحة القصة.

الثــاني: أن ابن عدي لم ينقــل مشاهداتهم أو حضورهــم للحادثة، إنما سمعهم يحكون، وهل شاهدوها أو حضروها ؟؟؟ أو سمعوا من غيرهم ؟؟

الثالــث: أن ابن عدي قد أدرك جمعاً من تلاميذ البخاري، فلماذا لم يسند عنهم مثل هذه القصة العظيمة والتي تظهر فضل البخاري وحفظه؟.

الرابـع: أن ابن عدي -رحمه الله-قد يكون بينه وبــين البخاري في هذه القصة أكــثر من رجل، كمــا وقع في قصة امتحانه فإن بينه وبــين البخاري ثلاثة رجال، وكما وقع في قصة [شمخضة] فإن بينه وبين البخاري أربعة رجال.

الخامس: أنــه فعل لايجوز كما قال العراقي وغيره، وأنه من كان يفعله من أهل الحديث كانوا ينكرون عليه، كما في قصة شعبة وغيره.

فهل يعقل هذا الجمع العظيم ليس فيهم من ينكر هذا الفعل ؟؟

وبذلــك يتضح أن قول السخــاوي، ليس بصحيح ولا مقبــول، فإنه قد تسامح -رحمه الله- على عادته في تصحيح الأحاديث والأخبار.

أمّا الحلبي فإنه لم يصنع شيئا، فقد ذكر أن بعض طلبة العلم أعلّها، وأن السخاوي أمرّها، ولم يحكم عليها بشئ، وتركها عائمة.

وقــد ذكرها الشيــخ الفاضل بكر أبو زيد -ألبسه اللــه لباس العافية والصحة وأطــال عمره ونفع بعلمه- في (التأصيل) (1/87) تحــت عنوان (ومن القضايا التي اشتهرت ولم تثبت).

وهو كما قال حفظه الله.

وقد قيل:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وقد قال عنها الشيخ بكر أبو زيد في (التأصيل) (ص79) قال –حفظه الله–: (وهي مع شهرتها، وتناقل الناس لها: مخرجها عن ابن عدي –صاحب الكامل– يقول: سمعت عدة مشايخ يحكون.. إلخ. وعن طريق الخطيب في تاريخ بغداد (2/20 – 21) وقد أبهم ابن عدي تسمية مشايخه فهم مجهولون، فينظر إن كان فيهم عدولا يعتبر بهم، فالقصة مغموزة سندًا، وإلا فهي على ما تنوقل، وقد جرى القلبُ للامتحان مع آخرين كما في النكت (2/866 – 872). انتهى كلام الشيخ.

الغريب العجيب، بل الأغرب الأعجب، في هاته القصة الخرافية التي تقول أن البخاري حفظ ما سمعه مقلوبا من الممتحنين له، على ترتيبه في نفس المجلس بدون تكرار، وكأنه كان يسجل على شريط أحداث ما وقع، فهؤلاء الذين رووا هذا الكذب، سرح بهم الخيال إلى أقصى مدى، فقط كي يعززوا الأسطورة، ويؤكدوا الخرافة، فاخترقوا كل حدود العقل والمنطق، وفيه أيضا أن هؤلاء المحدثين كانوا يشكون في البخاري ويتهمونه، أي أنه ليس ثقة لديهم فاختبروه، بهذا التصرف منهم.

بل إن من أسسوا لهاته الأسطورة، أسطورة الحفظ الأسطوري لم يكفهم أن البخاري نجح في اجتياز هذا الاختبار الخرافي، واستطاع أن يتفوق على ممتحنيه الذين قاموا بقلب مائة حديث وألحقوا متن كل حديث بإسناد الآخر، وقام البخاري بدوره بمراجعة هاته الأحاديث المائة وتصحيحها، وتم كل هذا في نفس الجلسة، لم تكفهم هاته الخرافة فقاموا برواية قصة أخرى شبيهة بهاته لكنها أكثر تعقيدا، وهي الرواية التي وردت في كتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي (طبعة دار الغرب الإسلامي:ج6 ص140) أن» محمد بن أبي حاتم قال: سمعت سليم بن مجاهد يقول: سمعت أبا الأزهر يقول: كان بسمرقند أربع مائة ممن يطلبون

الحديـث، فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العـراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن».

لم يكـف الرواة قصة امتحان بغداد ليصنعوا قصة الأربعمائة في سمرقند زيادة في الاحتياط، وزيادة في تقوية السياج الكهربائي حول هاته الشخصية، ودعونا نفترض أن كل واحد مـن الأربعمائة قام بسرد عشرة أحاديـث، إذن فسيصبح العـدد أربعة آلاف حديث، لكن هاتـه المرة ذكر الراوي أسانيد كل بلد على حدة، وإلحاقه بأحاديث أخرى لبلدان أخرى، كل هذا والبخاري لم يخطئ، «جل من لا يخطئ» وجل من لا ينسى.

النبي محمد ينسى والبخاري لا ينسى:

لكن مـا يجعلني أصدم من هؤلاء أيضا أنهم يعتقـدون أن أكمل البشر، النبي الكـريم محمـد بن عبد اللـه صلى الله عليـه وسلم كان ينسـى، لكن محمد بن اسماعيـل البخاري كان لا ينسى، ومن ذلك مـا ورد في صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا «حدثنا أحمد ابن أبي رجاء حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا»

إن شيوخنـا وفقهاءنا مع كامل الأسـف يعتبرون البخاري أقوى من رسولنا في الحفـظ بأشواط، فحتـى قول الله سبحانه وتعالى في حـق نبيه في سورة القيامة

﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ(18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ(19)﴾

فاللـه يوضح لنبيه بـأن لا يحمل هما في حفظ كتابه المنزل عليه، وأن لا يحرك

لسانــه ليعجل به، لأنه اللــه تكفل بجمعه في صدر نبيه، لكــن صحيح البخاري ينســب لرسول الله نسيــان كلامه، وكأن اللــه أخلف للنبي وعــده إياه – تعالى اللــه- لكــن الشيوخ يعتقدون جازمين أن البخــاري كان لا ينسى بل كان حفظه أسطوريا خرافيا، بينما رسولنا الأعظم كان ينسى، بل وصل به النسيان أن نسي من القــرآن آيات، على عكس وعــد الله له وإخباره إياه وعلــى عكس أسطورة الحفظ الأسطوري للبخاري!!!

ومــا أستغرب لــه أيضا هو أن نفس الــرواة رووا أن البخاري كان سيء الحفظ وكان يكتــب كل ما يسمع وكان ينسى أسمــاء قريباته إلى غير ذلك، فانظروا ما ورد في كتــاب سير أعلام النبلاء للذهبي: (وقال سمعــت أبا عبد الله يقول: كان شيخ يمر بنــا في مجلس الداخلي، فأخبره بالأحاديث الصحيحة مما يعرض علي، وأخــبره بقولهم، فإذا هو يقــول لي يوما: يا أبا عبد الله، رئيسنا في أبو جاد، وقال بلغنــي أن أبا عبد اللــه شرب دواء الحفظ يقال له: بلاذر، فقلت له يوما خلوة: هل مــن دواء يشربه الرجل، فينتفــع به للحفظ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبل علي، وقال لا أعلــم شيئا أنفع للحفظ من نهمــة الرجل، ومداومة النظر. قــال: وذاك أني كنت بنيسابور مقيما، فكان ترد إلى من بخارى كتب، وكن قرابات لي يقرئن سلامهن في الكتب، فكنت أكتب كتابا إلى بخارى، وأردت أن أقرئهن سلامي، فذهب علي أساميهن حين كتبت كتابي، ولم أقرئهن سلامي، وما أقل ما يذهب عني من العلم، وقال: سمعته يقول: لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء. كنت إذا كتبت عن رجل سألته عــن اسمه وكنيته ونسبته وحمله الحديث، إن كان الرجل فهما. فإن لم يكن سألتــه أن يخرج إلى أصله ونسخته. فأما الآخرون لا يبالون ما يكتبون، وكيف يكتبون. وقــال سمعت العباس الدوري يقول: ما رأيت أحدا يحسن طلب الحديث مثل محمد بن إسماعيل، كان لا يدع أصلا ولا فرعا إلا قلعه. ثم قال لنا: لا تدعوا من كلامه شيئا إلا كتبتموه (سير أعلام النبلاء -الذهبي ج 21 ص 406).

أسطورة صحيح البخاري

بعـد جولتنا في الأساطير المؤسسـة لشخصية البخاري ومـا رافقها من غلو، جعلهـا في النهاية تتفوق علـى كل الشخصيات التاريخية، بـل وحتى الدينية، بمـا فيها رسولنا الكريم، وإني أكاد أجـزم أن شخصية البخاري لدينا نحن معظم المسلمين، توازي شخصية بولس الرسول لدى المسيحيين، حيث يعتبر المسيحيون أن المؤلف الحقيقي للمسيحية بشكلها اليوم، هو بولس الذي كان اسمه شاول قبل أن يعتنق المسيحية.

إن الغلوّ في شخصية البخاري وتحويلها إلى شخصية خرافية تتفوق على البشر في كل شـيء، حتى أنها باتت لدى بعض الشيـوخ لاتخضع للمقياس البشري، لأنهـا تفوقت على هذا المقيـاس بالأحلام والأساطير المؤسسـة لها، لذلك فهذا الغلـو يفضي في النهاية إلى تقديس الكتـاب المنسوب للشيخ البخاري، والذي أطلق عليه اسم «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليـه وسلّم وسننه وأيامـه» ويطلق عليه الشيوخ اختصـارا «الجامع الصحيح» أو «صحيـح البخاري»، لتنسج خيوط التقديس حـول هذا الكتاب كما نسجت حـول محمد بن اسماعيل، وإني لأظـن أن الخرافات التي نسجت حول شخصية البخـاري كانت من أجل إضفاء شرعية خرافية على هذا الكِتاب، كعادة الشيوخ في الاستدلال على الحقيقة بالرجال، فعليهم أن يُضفُوا كلّ الكَمال على شخصية البخـاري، وبعدها يسهل عليهم أن يضفـوا القداسة على الكتاب المنسوب إليه، وبمـا أن شخصية البخاري شخصية كاملة لاتخطئ، فلا يمكن أن يصدر عنها إلا الكمـال والصواب، ومن هنا جاء تقديس صحيح البخاري، وتم نسج الأسطورة المؤسسة لهذا الكتاب.

وسنلاحظ أن صحيح البخاري قد بدأت عملية نسج الأساطير حوله منذ بداية تأليفـه وحيثيـات تأليفه حسب كتب التراث، حيث جـاء في كتابي تاريخ مدينة

دمشق لابن هبة الله 52/ 72، والجامع لأخلاق الراوي 2/ 185 على لسان البخاري ما نصه «صنفت كتابي الصحيح في ست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث».

إذن فصحيح البخاري استغرق تأليفه ست عشرة سنة، وكأن صحيح البخاري هذا بحث في علم البيولوجيا، أو في علم الأنثربولوجيا، أو غيره من العلوم الحقة التي جاءت بنظريات قلبت مفهوم الكون، وأفادت البشرية بطريقة أنقذتها من الضلال إلى الهداية، وكل دارس للكتاب سيعلم بطريقة سهلة أن هذا الكتاب من الغريب أن يقال عنه أن البخاري استغرق 16 سنة في تأليفه، وأنه قد انتخبه من ستمائة ألف حديث، وسنناقش كل هذا في فصل سقوط الأسطورة، لنقف على حقيقة هاته الخرافات التي حفت تأليف صحيح البخاري.

وفي مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني «قال أبو الهيثم الكشميهني سمعت الفربري يقول سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: "ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين" وعن البخاري قال: "صنفت الجامع من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله" وقال أبو سعيد الإدريسي أخبرنا سليمان بن داود الهروي سمعت عبد الله بن محمد بن هاشم يقول: قال عمر بن محمد بن بجير البجيري سمعت محمد بن إسماعيل يقول: "صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته" قلت: الجمع بين هذا وبين ما تقدم أنه كان يصنفه في البلاد، أنه ابتدأ تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده، وغيرها ويدل عليه قوله إنه أقام فيه ست عشرة سنة فإنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها وقد روى بن عدي عن جماعة من المشايخ أن البخاري حول تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه و سلم ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين قلت ولا ينافي هذا أيضا ما تقدم لأنه يحمل على أنه في الأول كتبه في المسودة وهنا

حوله من المسودة إلى المبيضة «هدي الساري ص 489».

ولإضفاء بعد قدسي روحاني أيضا على هذا الكتاب تمّ صياغة هاته الروايات التي تؤكد أن محمد بن اسماعيل البخاري لم يكن يكتب أي حديث أو ينتخب أي حديث من أحاديث الصحيح، من أصل أزيد من نصف مليون حديث، إلا بعد أن يغتسل ويستخير الله بصلاته ركعتين، ولكم أن تتخيلوا كم من مرة قام البخاري بصلاة الاستخارة، ليكون الجواب هو 600 ألف مرة، أي مليون ومائتي ألف ركعة خلال ست عشرة سنة !!!!

وأن تأليف صحيح البخاري أيضا بدأ أو تم في المسجد الحرام على ما هنالك من تناقضات في هذا الشأن وتضارب، رغم محاولة ابن حجر العسقلاني تبريرها تبريرا تعسفيا، فالرواية التي تقول أنه استغرق في تأليف الصحيح وجمعه ست عشرة سنة تتناقض شكلا ومضمونا مع الرواية التي تؤكد أنه ألفه وهو مجاور لمكة، حيث لم يثبت تاريخيا عنه أنه مكث كل هاته المدة بمكة، لكن مقدسي الأساطير يجدون حلولا عجائبية لمثل هاته المتناقضات، في حين أنهم يرفضون أقل منها إن وجدت عند غيرهم من المذاهب والعقائد!

بل وصل الأمر بمقدسي صحيح البخاري من الشيوخ والفقهاء والمحدثين، أن تجرأوا على مقارنة هذا الكتاب بكتاب الله المنزل من لدنه على نبيه إلينا، هدى ورحمة للمتقين، فقالوا عنه بدون حياء ولا وازع من دين «أنه أصح كتاب بعد كتاب الله» كما حكاه النووي والذهبي وغيرهما من الشيوخ، فالمقارنة بين القرآن الإلهي المصدر، الكلي والشمولي، صيغة ومحتوى، مبنى ومعنى، والمتعبد بتلاوته، المعجز في كل تفاصيله، وبين كتاب بشري المصدر، فيه ما فيه من الضعف البشري، والخطأ البشري، والنسبية البشرية، يعتبر تعد على حرمة كلام الله، وكأنهم لم يقرأوا قوله تعالى في سورة النساء ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82)﴾، فبمقتضى هاته الآية فإن الكتاب الوحيد الذي لا اختلاف فيه هو القرآن، ويدخل في عموم كل الكتب ما

سوى القرآن الكريم بما فيها صحيح البخاري أيضا، لكن العقلية المقلدة المقدسة للأساطير اعتبرت أن كل ما ورد في صحيح البخاري صحيح، وما عليك إلا مطالعة هاته النقول لتقف على العجب العجاب.

قال الإمام النووي -رحمه الله -: اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول (مقدمة شرح مسلم 1/14).

وقد كرس هذا التقديس الشيخ محمد صالح المنجد في موقع «إسلامك» الذي يشغل فيه منصب المشرف العام في جوابه على سؤال هل كل ما في صحيح البخاري صحيح، بمقالة تبرز حجم الغلو والتقديس الذي يتمتع به كتاب صحيح البخاري لدى معظم الشيوخ، فقد كتب ما نصه: «الحمد لله، صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري هو أصح كتاب مأثور بعد كتاب الله تعالى، وما زال العلماء والمحدثون والحفاظ يشهدون له بالجلالة والمرتبة العالية في التوثيق والإتقان، حتى نقل الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في "صيانة صحيح مسلم" (ص/86) بسنده إلى إمام الحرمين الجويني أنه قال: "لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمته الطلاق، ولا حنثته، لإجماع علماء المسلمين على صحتهما" انتهى.

ويعقب الشيخ بقوله: "وليس ذلك بمستبعد والبخاري هو الإمام الحافظ الكبير الذي شهد له جميع المحدثين بالحفظ والإتقان، وقد كان يستخير الله تعالى ويصلي ركعتين في كل حديث يثبته في كتابه حتى أتمه على هذا الوجه.

ونحن وإن كنا نعلم أنه قد وجهت بعض الانتقادات اليسيرة لأحاديث معدودة مثبتة في صحيح البخاري، إلا أننا نؤكد أنه لا حرج في إطلاق الصحة على جميع أحاديث الكتاب، وذلك لما يلي:

1- أكثر العلماء والمحدثين يرون الصواب مع الإمام البخاري فيما انتقد عليه،

ومعلوم أنه ليس من المنهج السليم التسليم بالانتقاد لمجرد وجوده، بل الأمر يرجع إلى الحجة والبرهان، وقد فصل الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه العظيم "فتح الباري"، وخاصة في مقدمته المسماة "هدي الساري" الجواب عن هذه الانتقادات اليسيرة، وأوضح وجه الصواب فيها "...." يقول الإمام النووي رحمه الله: "أجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين ووجوب العمل بأحاديثهما" انتهى. «تهذيب الأسماء واللغات» (1/73) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « ليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن" انتهى.

«مجموع الفتاوى» (18/74) ويضيف محمد بن صالح المنجد بقوله: "اقتضى كلام ابن الصلاح أن العلماء متفقون على القول بأفضلية البخاري في الصحة على كتاب مسلم، إلا ما حكاه عن أبي يعلى النيسابوري: ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم. وعن بعض شيوخ المغاربة: أن كتاب مسلم أفضل من كتاب البخاري، من غير تعرض للصحة» انتهى بتصرف يسير.

وعلى ذلك، فلا بد أن تبقى هذه المنزلة لهما من الإجلال والإعظام والتقدير كما هي في قلوب الناس، ولا يجوز بحال السعي وراء التشكيك، أو إثارة الشبه بأحاديثهما. فإن هذه المراجع الأساسية ذات الثوابت، والتي عليها اعتماد أهل العلم في معرفة الأحكام الشرعية، لا يجوز الطعن فيها، ولا المساس بها، بما يخدش مصداقيتها في قلوب الناس، عالمهم وجاهلهم -انتهى كلام الشيخ-.

فانظر أيها القارئ وانظري أيتها القارئة، كيف جعل هؤلاء مجرد انتقاد ما في صحيحي البخاري ومسلم، داخل في المحظور الذي لا يجوز، لأن هذا يتنافى في نظرهم مع الإجلال والإعظام والتقدير وهي المنزلة الواجبة لهذين الكتابين، والتي تشكل سياجا قويا وحصنا منيعا لهما، وذلك ما فعلته الأسطورة بعقول الناس، حتى باتوا يتهيبون الاقتراب من كتاب بشري المصدر، يجوز عليه ما يجوز على البشر من الخطأ والصواب، ويعتبرون الطعن فيه طعنا في الإسلام، وكأن هذا الكتاب موحى به من الله، في حين أن الله سبحانه وتعالى دعانا غير ما مرة إلى

امتحان كتابه القرآن، ودعانا إلى اختباره وتمحيصه في العديد من الآيات، غير أن عبـاد البخاري يعتبرون انتقاد هذا الكتاب ومناقشته لمن قبيل الكفر والطعن في النبي نفسه، وفي الإسلام عينه!

ومـن نماذج الفتاوى الغريبة التـي تكفر من أنكر حديثا في صحيح البخاري ما ورد في موقع الدكتور محمد راتب النابلسي في جوابه على هذا السؤال: "فضيلة الدكتور محمـد راتب النابلسـي المحترم السـلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته: مـا حكم مـن رد حديثا في الصحيحـين كحادثة شق الصدر للنبـي صلى الله عليه وآله وسلم بحجة مناقضة العدل والعقل، ثم هل كل ما في البخاري ومسلم صحيح على الإطلاق؟.

وجزاكم الله عنا كل خير.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم، نفيدكم بما يلي:

من رد حديثا صحيحا بعقله كفر بالله... لأن الحديث إن صح وحي ورد الوحي بالعقل كفر... والمسلمون متفقون في كل أعصارهم على أن كل ما في البخاري ومسلم صحيح.

الدكتور محمد راتب النابلسي

والحمد لله رب العالمين

انتهـت فتوى الدكتـور محمد راتب النابلسي، وهـي واضحة في تكفير من رد حديثـا في الصحيحـين، لكن هناك من وقـف موقفا أقل تشـددا من هذا الموقف واعتبر منكر حديث في الصحيحين ضالا ومبتدعا ومكابرا، ومن ذلك ما ورد في

مركز الفتـاوى بموقع إسلام ويب؟، فتوى تحت رقـم: 132912 بتاريخ 2010-3-7 ورد ما نصه:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعـد:

فالحديث إذا توفرت فيـه شروط الصحة المعروفة عند أهل العلم، وجب قبوله، فـإن كان مع هـذا ثابتا في الصحيحـين أو أحدهما تأكد الأمـر، لأن الأمة تلقت أحاديثهمـا بالقبول، فإنـكاره ـ عندئذ ـ بدعة وضلالـة ومكابرة، قال النووي في شرح مسلم: اتفـق العلمـاء ـ رحمهم الله ـ علـى أن أصح الكتـب ـ بعد القرآن العزيز ـ الصحيحان: البخاري ومسلم ـ وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة. هـ.

وفي موقـع طريق الإسلام وردت هاته الفتـوى بخصوص منكر حديث شرب أبوال الإبل في صحيح البخاري فكان جواب مفتي الموقع المذكور كالآتي:

«الإجابـة: أولاً: يجب على المسلم أن يعلم أنَّ صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمـام مسلم رحمهما اللـه تعالى يعتبران أصـحَّ كتابين بعد كتـاب الله تعالى، ومـا فيهما من الأحاديث الثابتة عن النبي صلى اللـه عليه وسلم كلها صحيحة يجـب على المسلم الإيمان بهـا وتصديقها والعمل بمقتضاهـا، ولا يجوز للمسلم أن يشـكَّ فيها أو يقول عنهـا (لا أصدقه وأعتقد أنه غـير صحيح) لأن الواجب علـى المسلم الانقياد والتسليم لأوامر الله ورسولـه وأخبارهما وتصديق كل ما ورد في الكتـاب والسنة من الأخبار والأحكام والرضا بها كلها جملة وتفصيلاً، ويجب على المسلـم إذا أشكل عليه شيء أن يتهم فهمه وعقله، ثم ليبادر بسؤال أهل العلم المتخصصـين في هذا المجال، ولا يجـوز للمسلم أن يعمل عقله في ردِّ نصوصـ وأخبار الكتاب والسنة، ومن ردَّ أمـر الله ورسوله أو خبراً من الأخبار الـواردة في الكتاب والسنة، بعد علمه بأنها حـق وصدق، ولكن بعقله لم يتقبله، فإنـه بعد التبيين له ونصحه وإصراره على رأيه يكفر كفراً أكبر مخرجاً عن الملة، وكذا مثله من شكَّ فيهما مجرد شك».

فحتى مجرد الشك في أحد أحاديث صحيحي البخاري ومسلم يوجب الخروج من الملة، فهل رأيتم تقديسا لكتاب أكثر من هذا التقديس؟ وهل رأيتم صناعة أسطورة أكثر من هاته؟

أما الشيخ ربيع المدخلي فيعتبر منكر حديث في صحيح البخاري كمنكر القرآن على حد سواء من حيث الحكم وذلك من خلال قوله: «الذي ينكر هذا ينكر القرآن، القرآن نقل إلينا بالتواتر والأمة كلها نقلته، والبخاري نقلته الأمة كلها ولله الحمد، فتذهب إلى الأدغال التي يعيشها العجم تسأله عن صحيح البخاري، يُسَلِّمون بأنه للإمام البخاري، اذهب إلى المكتبات تجد الألوف المؤلفة يعني من هذا الكتاب نسخت بالأيدي غير مطبوعة، اذهب إلى مكتبات مصر وتركيا والهند وباكستان وأي بلد حتى أوربا وأمريكا اذهب تجد منها ألوف النسخ من كتاب البخاري، فصحيح البخاري حتى اليهود ممكن لا ينكرونها ولا النصارى، يسلمون به، أمر متواتر مشهور بين المسلمين وغير المسلمين، فإذا قال هذا شخص، فليبق على عقله، هذا إنسان لا يحترس أن يقول مثل هذا الكلام!.

[شريط بعنوان: وجوب الاتباع لا الابتداع]

هاته هي الحقيقة التي انتجت في النهاية قداسة أشخاص، حيث تم رفعهم إلى مقامات هي أعلى من مقامات النبوة والرسالة، وحق فينا ما حق في الأمم السابقة التي ألهت البشر من دون الله، واتخذتهم أربابا، فكانت صناعة الكهنوت الديني لدينا كما كانت لديهم، يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» التوبة (31)﴾.

كانت جولتنا في الأساطير المؤسسة للبخاري ولصحيح البخاري، كجزء لا يتجزأ من تقديس التراث الديني، التي بدأت مع تدوين الحديث، وتاسيس ما يسمى بعلم الحديث، لصناعة كتب ومؤلفات اتجهت منذ البداية لإلغاء القرآن، من الساحة الدينية، وفعلا هذا ما كان، فقد تم هجر كتاب الله لصالح كتب المرويات

الحديثية، فأصبح لدينا إسلام تاريخي بدل إسلام الوحي، وسنقف حقا من خلال الفصلين القادمين من هذا الكتاب على حقيقة صحيح البخاري أحد أجل وأقدس كتب التراث، وعلى حقيقة الادعاء بأن نسبة صحيح البخاري للشيخ البخاري مقطوع بها ومجزوم، وهل صحيح البخاري الذي بين أيدينا الآن هو الذي تناقلته الأجيال السابقة منذ وفاة الشيخ البخاري سنة 256 هجرية؟.

الفصل الرابع: سقوط الأسطورة

» الخرافة بالأرقام

» كذبة الإجماع

» أعلام ضعفوا أحاديث في الصحيحين

» البخاري مجروح ومتروك الحديث

» بخاريات

الخرافة بالأرقام:

إن الغلـو في كتاب صحيح البخاري، وجعله مع كامـل الأسف فوق كتاب الله تعالى الموحى إلى نبيه، رغم كم الأباطيل والخرافات والأساطير التي يزخر بها هذا الكتـاب، أصبح من الأمور المسلمة لدى الشيوخ، بل إن من يتصفح هذا الكتاب سيقـف على إساءات كبيرة في حق الله، وفي حق نبيه، وفي حق كتاب الله، وفي حـق أمهات المؤمنين، وفي حق الإنسانية جمعاء، وإهانة العقل البشري بشكل لا يمكن وصفه، هذا ما جعلنا نقف وقفة متأنية مع هذا الكتاب لإسقاط أسطورته، التي عششـت على مدى إثني عشر قرنـا، وأسست عليها أوهام وخرافات وأساطير، سميـت بعد ذلك دينـا، وتم الدفاع عنها بشكل لا يوصف، بـل تم تكفير منكرها، ومحاربتـه، وإهدار دمه، في كثير من الأحيـان، فما أسس للفكر الإرهابي المدمر، إلا مرويـات تناقلتهـا كتب التراث، ومنها صحيح البخـاري، بعيدا عن سماحة القـرآن، وعدل القرآن، وحكمة القرآن، وإنسانيـة القرآن، وروحانية القرآن، حتى أصبـح لدى هؤلاء أهون ألف مرة أن تطعـن في القرآن على أن تطعن في صحيح البخاري، لأن إسلامهم مؤسس على مضامين هذا الكتاب البشري، ولا علاقة له بالقرآن، وهاته هي الحقيقة التي لا يريدون الاعتراف بها جهارا، لأن اعترافهم بها يساوي انتحارهم فكريا وسياسيا واجتماعيا ودينيا، فعامة المسلمين سيلفظونهم، لكنهم استطاعوا الوصـول إلى سحب القرآن من حياة الناس، والاكتفاء بقراءته وتجويـده في المناسبات، بـدل تحكيم مقتضياتـه في حياتهم، فالقـرآن لديهم لا يتجاوز أن يكون وسيلـة لاستجلاب البركات، والتفنن في إتقان مخارج حروفه، ومعرفة وقوفه، بدل التفنن في تدبره، وتنزيله والاهتداء بهديه، لذلك بعد أن وقفنا على الأسطورة برمتها ومضامينها، وجب أن نسقط الأسطورة وننسفها، وسنقف على خرافتها بلغة الأرقـام الصماء التي لا تحابي أحدا، ولا تخضع لإيديولوجيا مسبقة.

من القصص التي أوردناها في الفصل السابق من هذا الكتاب، وتتعلق بالحفظ الأسطوري للبخاري، وهي القصة التي جاءت في سير أعلام النبلاء للذهبي، ونصها كالآتي: «وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوما بعد ستة عشر يوما: إنكما قد أكثرتما علي وألححتما، فاعرضا على ما كتبتما. فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر القلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه. ثم قال: أترون أني أختلف هدرا، وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.»

إذن حسب هاته الرواية، فالبخاري كان يرتاد مجلس تعلم الحديث لمدة ستة عشر يوما، وأنه تلقى وحفظ رفقة أقرانه خمسة عشر ألف حديث خلال هاته المدة الممتدة على مدى ستة عشر يوما، وأن طلبة الحديث كانوا يكتبون كل ما كان يملى عليهم من الشيوخ وأن البخاري كان لا يكتب، وبعد امتحان معقد له، اكتشف الطلبة أن محمد بن اسماعيل البخاري كان قد حفظ الأحاديث الخمسة عشر ألفا بدون كتابتها، أي حفظها من فم الشيوخ مباشرة فور سماعها، انطبعت على القرص الصلب لدماغ البخاري مباشرة.

ولتصديق هاته الرواية أو تكذيبها، ما علينا إلا أن نقوم بحساب بسيط لنعرف كم كان يحفظ البخاري في اليوم، وذلك بتقسيم الخمسة عشر ألف حديث على المدة الزمنية التي استغرقها لحفظ الحديث والتي هي ستة عشر يوما، لتكون النتيجة 937 حديثا، أي أن البخاري كان يأخذ عن شيوخه في المجلس الواحد 937 حديثا كل يوم، وطبعا هذا معدل الحفظ اليومي، ولو افترضنا جدلا أن البخاري كان يجلس خمس ساعات في اليوم إلى هؤلاء الشيوخ فهذا يعني أنه كان يحفظ منهم 187 حديثا كل ساعة، أي بمعدل أزيد من ثلاثة أحاديث في الدقيقة الواحدة !!!

وهنـا يحق لنا أن نتساءل، كيـف أمكن للشيوخ الذين كانـوا يعلمون الحديث للبخـاري أن يسـردوا ثلاثة أحاديـث في الدقيقة الواحـدة ليحفظها البخاري، لتنكشـف لدينـا الكذبة، بلغـة الأرقام الصمـاء، فلا يمكن لأي بشـري أن يقوم بسـرد ثلاثة أحاديث في دقيقة واحـدة، فحتى لو تساهلنا، واعتبرنا أن المدة التي يجلسها البخاري أمام شيوخه في هذا المجلس تصل إلى ثماني ساعات في اليوم، فستكـون المحصلة حديثين في الدقيقة وهذا أيضا مستحيل، سيما إذا علمنا، أن سـرد الحديث يتم سندا ومتنا، لكن الشيـوخ يوقفون عقولهم عندما يتعلق الأمر بالبخاري الأسطورة، وأن إملاء الحديث حسب المستنتج من الرواية يكون بشكل بطيء، حتى يتمكن طلبة الحديث من كتابة ما يملى عليهم.

هاته الرواية لم تكتف بذلك فقط، بل أكدت لنا أنه في نهاية اليوم السادس عشر، قام الطلبة بإخراج ما كتبوه، أي خمسة عشر ألف حديث، وقام هو باستظهار هاته الأحاديـث كلها، وهم يحكمون ما كتبوه على حفظه، كل هذا تم خلال ستة عشر يوما، لنخلص في النهاية، إلى أن البخاري كان يحفظ حديثا كل ثانيتين، أي قبل أن ينطـق به الشيخ، فيكفي أن ينوي الشيخ قول الحديث ليحفظه البخاري، لكن يا للعجب كيـف أمكن للعقول والأفهام تصديق هـذا الكذب الصريح؟!، وكيف استحكمـت هاته الخرافات في عقـول الناس، حتى صدقتها بـدون مراجعة ولا تمحيص؟،... لست أدري.

وفي سـير أعلام النبلاء للذهبي أيضا نجـد هاته الرواية التي تؤكد أن البخاري أخذ الحديث عن أزيد من ألف شيخ "قال محمد بن أحمد غنجار في تاريخ بخارى: سمعت أبا عمرو أحمد بـن محمد المقرئ، سمعت مهيب بن سليم، سمعت جعفر بن محمد القطان إمام كرمينية يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده".

كل ما تقدم شيء، وهاته الرواية شيء آخر، فهي تؤكد على لسان البخاري أنه

أخــذ الحديث عن أزيــد من ألف شيخ، وأنه أخذ عن كل واحد من هؤلاء الشيوخ أكــثر من عشرة آلاف حديث، بمعنى أن البخــاري أخذ أزيد من عشرة ملايين من الأحاديــث، وهذا يتناقض مــع الروايات الأخرى المضطربــة أصلا، والتي تؤكد مرة على أن البخاري يحفظ ثلاثة مائة ألف حديث، ومرة أخرى تؤكد أنه يحفظ ستمائة ألف حديث، لكن هاته الرواية بحساب بسيط تؤكد أنه كان يحفظ عشرة ملايــين حديث بأسانيدها، والغريب أنــه إذا جمعنا كل الأحاديث الواردة في كل كتب الحديــث، وأضفنا إليهــا الأحاديث الضعيفة التــي تم استبعادها من طرف أصحــاب الكتب الستــة بضعيفها وصحيحها وموضوعها، فلــن تتجاوز المليون حديث، فمن أين جاءت التسعة مليون الباقية؟! إن هذا لأمر عجاب.

ويقفز سؤال آخر ونحن نتحدث عن حفظ البخاري لعشرة مليون حديث، حول الوقت الذي استغرقه لحفظ هذا الكم الهائل من الأحاديث التي يستحيل أن يكون الرسول قالها كلها، فإذا فرضنا جدلا أن البخاري كان يحفظ الحديث لمدة ثلاثين سنة، وأنه كان يكرس لحفظ الحديث أربع ساعات من كل يوم، وحاولنا أن نغض الطــرف عن ترحاله وتجواله في القرى والمدن والأمصار وقطعه المفازات والقفار، وهو على بغلة أو حمار، بحثا عن رواة الحديث وشيوخه لجمع الأحاديث، فإن هذا يعني أن البخاري كان يحفظ ثلاثة أحاديث في الدقيقة الواحدة، وهذا مستحيل طبعا، وخرافي جدا، وغير معقول بشكل صارم وحاسم، وإني لأحس وأنا أناقش هاته التفاهات بالحسرة، لأنني أجدني مضطرا في القرن الواحد والعشرين، عصر التطــور المذهل، في كل المجالات، عصــر غزو الفضاء،عصر العلــم والعقل، أن أجادل وأحلــل وأناقش لإثبات أن هاته الروايات مكذوبــة، ويستحيل أن تكون حقيقية.

رحلة البخاري في جمع الحديث:



وبالنظر إلى هاته الخريطة يتضح جليا أن رحلة البخاري في جمع الحديث والتي استمـرت لسنوات طوال، حيث كانـت وسائل التنقل هي الحمير والبغال والخيل والجمـال، والسفن في البحر، والقـوارب في الأنهار، أي أن تحركه كان بطيئا جدا بشـكل لا يمكن مقارنته مع وسائل التنقل في عصرنا، «يتضح جليا» أن كل هذا كذب وهراء.

وسأنقل لكم مقالا للكاتب المصري عبد الفتاح عساكر بمنتدى الواحة المصرية، تحت عنوان الأرقام لاتكذب، كتب:

إحصائية عن الروايات...؟!

العقلاء وحدهم يتعاملون مع المكتوب وليس مع الكاتب؟

قال البخاري في المقدمة التي ذكرها ابن حجر في كتاب (مقدمة فتح

الباري) جمعت (600000) ستمائة ألف حديث فى (16) سنة والبخاري ولد عام (194) هـ وتوفي عام (256) هـ

لو فرضنا أن الحديث الواحد أخذ من الوقت - في المتوسط - عند رسول الله خمس دقائق لكان الوقت اللازم لـ (600000) حديث هو:

(600000 ×5=3000000) تساوى ثلاثة مليون دقيقة.

وهي تساوى: (3000000) ÷ 60 دقيقة = (50000) خمسون ألف ساعة.

لو فرض أنه يعمل فى اليوم (8) ساعات فقط لأصبح الـ خمسين ألف ساعة تساوي + 50000 ÷ 8 = 6250 يوما.

وباعتبار أن السنة الهجرية = 355 يوما تقريبا فتكون السنوات اللازمة هي:

[6250] ÷355 = [17 ’60505633

أي سبعة عشر سنة و...

ولو فرضنا أن الحديث الواحد يأخذ ست دقائق.

فيصبح ما يحتاجه الـ: [600000] حديث من الزمن هو:

[21‘187596] واحد وعشرون عاما و..... ولو فرضنا أن الحديث الواحد يأخذ سبع دقائق.

فيصبح ما يحتاجه الـ: [600000] حديث من الزمن هو:

[24‘718862] أربع وعشرون عاما و.....

ولو فرضنا أن الحديث الواحد يأخذ ثمان دقائق.

فيصبح ما يحتاجه الـ: [600000] حديث من الزمن هو:

[28‘250128] ثمان وعشرون عاما و.....

ولو فرضنا أن الحديث الواحد يأخذ تسع دقائق.

فيصبح ما يحتاجه الـ: [600000] حديث من الزمن هو:

[31‘781394] واحد وثلاثون عاما و.....

ولو فرضنا أن الحديث الواحد يأخذ عشر دقائق.

فيصبح ما يحتاجه الـ: [600000] حديث من الزمن هو:
[35‘31266] خمسة وثلاثون عاما و.....
لاحظ أن زمن الدعوة على عهد النبي: [23] عاما، منها [13] عاما فى مكة، [10] سنوات فى المدينة.
وهذا الكلام هدية لقوم يعقلون.
ودائما صدق الله العظيم القائل فى القرآن الكريم:

﴿تِلْكَ آيات اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ(6) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(7) يَسْمَعُ آيات اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(8) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ(9) مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(10) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ(11) ﴾(سورة الجاثية الأيـات من 6 إلى11)

السُنَّـةُ النبويـة الشريفة الصحيحة هـي تطبيق كتاب الله قولاً وفعـلاً وإقراراً، ومُنكرهـا مُنكـر للقـرآن الكـريم. وأول فم بشـري سمعنـا منه القـرآن الكريم هـو فـم رسول اللـه -عليه أفضـل الصـلاة وأتم التسليـم- بغـير عنعنات إلى أن تقـوم الساعـة. وكل روايـة ذُكـرت في كُتـب الحديـث الإثنـين أو الستـة أوالتسعـة أو غيرهـا تتفق وكتاب الله فهي صحيحة حتـى وإن ضعف السند..!.
وكل مُتبع لغير كتاب الله مُخالف لأمر الله الذى يقول فى الآية رقم (3) من سورة الأعـراف: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ وماهو موقف الإسلام من العاصى لأمر الله...؟.

﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ(14)﴾ (النساء).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا(36)﴾. (الأحزاب).

والبحث العلمي في مجال الفكر الإسلامي وثقافته يزيدنا احترامًا وتقديرًا وإكبارًا لعلمائنا في كل التخصصات، الأحياء منهم والأموات - لأن العلم رحمٌ بين أهله. و نسأل الله الكريم أن يلحقنا بمن سبقونا بالإيمان مع النبيين والصديقين والشهداء. وأن يرزقنا والأحياء منهم نعمة التدبر لكتاب الله والعمل به فى الحياة، والتأسي برسوله – عليه الصلاة والسلام - الذي كان خلقه القرآن لكي يتعاملوا معنا بهذه الأخلاق القرآنية وليس بأخلاق الكهنوت التي تُكفّر وتُنفّر. » انتهى

ثم عقب المعقب مضيفا على نفس المقال:

أريـد أن أضيـف أن من ال600000- أنكر البخاري نحـو 593000 حديثا، فمن حيث الكم فإن البخاري نفسه من أكبر منكري الحديث. وواضح أيضاً من تفاخر البخـاري أنه إما كاذب أو اختـار الأحاديث التي على هـواه لأن ست عشرة سنة لا تكفـي لكـي يبحث أي بحث علمـي في 600000 حديـث (أي حوالي خمس دقائق في الحديث وهو وقت أقل مما يأخذه سلق البيض) حتى في زمن المعلومات المعاصـر، فما بالك في زمن كان فيه السفر للتحقـق من شيء يأخذ شهورًا على ظهور النوق!

كمـا قلـت فالأرقـام لا تكـذب ولا تـترك مجـالا للشـك إن علـم الحديـث الـذي يدعيـه الشيـوخ مـا هـو إلا علـم الكـذب وسلـق البيضـ. و لذلـك نجد كتـب الأحاديث المبكـرة برغم أنها أقرب من الحـدث، تحتوي على أحاديـث أقـل من كتب الأحاديـث المتأخرة مثـل كتاب البخـاري. فالصحيفة الصحيحـة لهمام بن منبه تحتوي على 138 حديثا فقـط والبخاري بعد أكثر من 100 عام أخذ حوالي 7000 من ضمن 600000. هذا النمو العددي للأحاديث كلما بعـدت عن زمن الحدث لا يترك مجالا للشك بـأن الأحاديث كانت تصطنع على مجال واسع.

أضــف إلى هذا أن كتب الأحاديث المبكرة برغــم أنها أقرب من الحدث فأغلب الإسنــاد فيهــا به علة، ولا يصــل إلى الرسول بينما كلما بعــدت عن الحدث تجد الإسنــاد تاما وبالغا حد الكمال في كتب الأحاديث المتأخرة مثل كتاب البخاري. كل هذا مع أن المتوقع هو العكس. فكلما بعد الشخص عن الحدث زمنياً، فالمتوقع هو أن يقل عدد الأحاديث ويضعف الإسناد. فهذه الملاحظة تشير إلى أن الإسناد أيضاً كان يصنع على مجال واسع.

ورغــم أن الــردود حول هاته العمليــة الحسابية تتجــه إلى اعتبار طرق الحديث الواحــد في احتســاب الأحاديــث، لإظهار من يقــوم بهاته العمليــات الحسابية بمظهــر الجاهل بالحديث، إلا أن هذا الاعتبــار لا يمكن اعتباره ردا، لأن العديد من الأحاديــث باحتساب تعدد طرقها لا يتعدى أصابع اليد الواحدة، لأن المتواتر في كتــب الحديــث لا يتعدى 300 حديثا علــى أعلى تقدير، هــذا إذا علمنا أن معظم الأحاديث هي أحاديث آحاد في مجملها العام.

ودعونا نقوم بعملية حسابية بالأرقام أيضا ونحن نختبر القول المنسوب للشيخ محمــد بن إسماعيــل البخاري بخصوص جمعه لستمائــة ألف حديث خلال 16 سنــة، والتي يرددهــا الشيوخ ويفتخرون بهــا، حيث يؤكدون أنــه خلال تجواله وترحالــه في أرضــ الله، طلبا لحديث رســول الله، استطاع البخــاري أن يجمع ستمائة ألف حديث، وينتخب منها أزيد من سبعة آلاف حديث بقليل، ليؤلف من عصارتهــا الكتاب المنسوب إليه الشهير ب "الجامع الصحيح"، وطبعا رحلته في طلــب الحديث دامت ست عشــرة سنة، كان خلالها يتجول على بغلته أو حصانه أو حمــاره، وتحركه عبر هاته الوسيلة كان بطيئا جدا، فقد يستغرق أياما وشهورا للتنقــل من مصر إلى آخــر، ومن بلد إلى بلد لجمع حديث مــن هنا، وحديث من هناك، وأثر من هذا، وأثر من ذاك، فلو سلمنا جدلا أن البخاري كان يجمع الحديث بمعــدل حديث واحد في اليوم، لكان استغراقه في جمع شتات الأحاديث 600000 المبعــثرة عبر رقعة دولة الخلافة آنذاك، ستمائة ألف يوم، أي أنه سيحتاج إلى أزيد

مــن ألف وستمائة سنة، بمعنــى أن البخاري لازال إلى يومنــا هذا يجمع أحاديث رسول اللــه، وبالتالي يستحيل أن يجمع ستمائة ألــف حديث في ست عشرة سنة كما يشتهي ويدعي المقدسون للتراث من عباد البشر.

بــل إذا تساهلنا أكثر واعتبرنــا أن البخاري كان يجمع عشرة أحاديث في اليوم فسيحتــاج إلى 164 سنــة، أي أن يضيف على السنوات التــي عاشها 102 سنة، باعتبار أن البخاري عاش 62 عاما.

وطبعــا هــذا مستحيل عقلا، لذلك كان عبــاد الأوثان التاريخيــة، يلحون على أن لا نقيســ البخاري بالمقياســ البشري، بل علينا أن نقبــل هاته "التخاريف" هكذا بدون إعمال للعقل، وكل إعمال للعقل سيسقط الأسطورة، التي استغرقت صناعتها قرونا من الزمن، من طرف الكهنوت الديني، الذي خدر الناس، وأوقف العقول، وكانت المحصلة إنتاج التخلف باسم الدين، والدين من هذا بريء.

بعضــ الشيوخ يحاولــون أن يظهروا من يحــاول مناقشة هــذا التراث بمظهر الجاهــل، حيث يحاولون أن يهونوا من مثل هاته الخرافــات، بقولهم إن البخاري أمضــى كل حياته في جمــع حديث المصطفى، أي منذ نعومــة أظفاره، نقول لهم حتى لو بدأ جمع الحديث وهو في بطن أمه، فلن يستطيع جمع ستمائة ألف حديث في 62 سنة، بالنظر إلى الطريقة التي وردت في كتبهم، والتي تقول أنه كان يتجول في القرى والمدن على دابته لجمع الحديث ذهابا وإيابا من بلد إلى آخر، إنطلاقا من بخارى إلى مكة المكرمة مرورا بالعراق والشام وغيرها من بلاد الخلافة الإسلامية العباسية، الممتدة الأطراف حينئذ.

ثــم نعــود إلى قصة اغتسال البخــاري وقيامه للصلاة ركعتــين، قبل كتابة أي حديــث، لنقوم بلغة الأرقام أيضا للتأكد مــن مدى صدق الرواية التاريخية، فإذا جعلنا معدل الإستجابة الإلهيــة لاستخارة الشيخ محمد بن اسماعيل البخاري، هــي يوم واحد، فسيحتاج أيضــا إلى ستمائة ألف يوم، أي أزيد من ألف وستمائة سنــة، وعلى هذا فالبخاري ما زال لم يكمل تأليف كتــاب صحيح البخاري، إلى

يــوم الناس هذا، لكــن سدنة الجهل المركب ما زالو يدافعــون عن هاته الخرافات ويصدقونها، حيــث يدعي بعضهم لتبرير هذا الهــراء، أن البخاري كان يغتسل ويصلــي صلاة الإستخارة قبل اختياره لأي حديث من الأحاديث التي سيدونها في الصحيــح، أي أنــه استخار واغتســل سبعة آلاف وثلاثمائة مــرة فقط، أقول جوابــا على هذا الــكلام، إذا كان البخاري قد استخار لشــيء سيدونه حتما في الكتاب فما معنى استخارته، وهو قد قرر سلفا، فالاستخارة تكون بعد حيرتنا في أمــر والبخاري كان لديه ستمائة ألف حديث، وهــو لا يعرف مسبقا ما سينتخب منها من أحاديث، لذلك كان يستخير، ورغم ذلك فسنسلم لهم جدلا بذلك ونقول لهم لنعتبر أنه استخار سبعة آلاف وثلاثمائة مرة، وكان معدل الإستجابة الإلهية يــوم واحد، فسيحتاج البخاري إلى أزيد مــن عشرين سنة لا ست عشرة سنة!!! فالخرافة مردودة في كل الأحوال، ودائما بلغة الأرقام الصماء التي لا تحابي أحدا، ولا تتأثر بخرافة ولا أسطورة.

كذبة الإجماع:

ســور آخر يعتــبره عباد التراث الديني، بمثابة الحصــن المنيع الذي يحصنون به صحيح البخاري، وهو أن الأمة الإسلامية تلقت هذا الكتاب بالإجماع، وأن الأمة الإسلامية تعتبر أن كل ما في صحيح البخاري صحيح لا غبار عليه، وهي مجمعة على هــذا، وبالتالي من أنكر حديثــا من أحاديث البخاري فمــأواه جهنم وبئس المصــير، لتنبعث فتاوى التكفــير التي نقلنا بعضها في كتابنــا هذا، حتى لانتهم بأننــا نفتري على الشيوخ الكذب، والحقيقة التي لا تقبل الجدل، كما سنبينها بعد قليــل، هي أن رواية الإجماع حــول صحيح البخاري ليست إلا كذبة من الكذب الكثــير، الذي تعج به كتب التراث، وليس إلا خرافة من الخرافات المؤسسة لهاته الأسطــورة التي وجــب أن ننسفها نسفا، بنقول من كتب الــتراث نفسها، والتي يقدسها هــؤلاء الشيوخ الذين تمكنــت منهم الوهابيــة، المكفرة المقلدة أيما تمكن، فسخرتهــم للدفاع عــن باطلها، فكان الثمن غاليا، وهــو تشويه الإسلام السمح الداعــي إلى استعمال العقل والمنطق، والتفكــر والتدبر، بدل التقليد الأعمى غير المتبصر.

ولإسقــاط الخرافة يكفي أن يعلــم أي إنسان، أن الشيعة وهــم نسبة مهمة من المسلمــين، لا يؤمنــون بصحيــح البخاري، ويكذبــون كل ما جاء فيــه، فأين هو الإجمــاع إذن، إلا إذا اعتبرنا الشيعة كفــارا، وأخرجناهم من دائرة الإسلام، ولم نعتبرهــم من أهل القبلة، وصدقــا سنجد العديد من الشيوخ يهون عليهم إخراج ملايــين المسلمين من الملة على أن يسقط الادعاء القائــل بأن الأمة أجمعت على أن صحيــح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله، وأنها تلقته بالقبول على أن كل مــا فيه صحيح، لكننا ماضــون في مناقشة الأسطــورة لإسقاطها ونسفها، فماذا سيقول سدنــة الكهنوت إذا استشهدنا لهم بالأعلام مــن شيوخهم الذين يعتبر كلامهــم فيصلا في أمور الدين بالنسبة لهم؟ ذلك مــا سنكتشفه من خلال سرد

هاته النقول وقد عنونا هاته الفقرة بكذبة الإجماع تصديقا للإمام أحمد بن حنبل الذي يؤثر عنه أنه قال: «من ادعى الإجماع فقد كذب».

موطأ مالك أصح الكتب:

ولنبدأ بمقولة "صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله"، فالعديد من الشيوخ يوهموننا بأن جميع الفقهاء والشيوخ المتقدمين والمتأخرين يعتقدون بهاته المقولة، والحقيقة أن هذا مجانب للحقيقة فالعديد من الشيوخ يرون أن الموطأ هو أصح كتاب بعد كتاب الله ويفضلونه بأشواط على صحيح البخاري ويقولون أنه لا يضاهيه شرفا ولا منزلة، وهذا عند جماعة من كبار محدثي هذه الأمة وفقهائها، حيث يرون أن موطأ الإمام مالك، أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى فهو عند هؤلاء العلماء مقدم على صحيح الإمام البخاري فما دونه.

يقول الإمام المطلبي – رحمه الله-: «ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك»، وفي لفظ: «ما على ظهر الأرض كتاب هو أقرب إلى القرآن من كتاب مالك»، وفي لفظ: «ما بعد كتاب الله أكثر صوابا من موطأ مالك» وفي لفظ: «ما بعد كتاب الله أنفع من الموطأ». (شرح الإمام الزرقاني على الموطأ) 1/8. و(تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك) للسيوطي. المطبوع مع المدونة الكبرى ص 43.

وقد جاء في منتدى الأزهري نقلا عن الشيخ محمد العمراوي المالكي ما نصه: "لو قال أحدهم - ممن لا اعتناء له بالموطأ وإنما درسه ولم ينظره بعين الانصاف-: إن قول الشافعي هذا في الموطأ، كان قبل تأليف الإمام البخاري لجامعه الصحيح. وجوابه: أن كثيراً من الأئمة الأعلام، قد تتابعوا على قول الشافعي هذا، وجعلوه في صدر حديثهم عن الموطأ، مما يدل على تسليمهم له، وقبولهم به، حتى بعد ظهور الجامع الصحيح للإمام البخاري -رحمه الله-. قال الحافظ ابن عبد البر –رحمه الله-: "الموطأ لا مثيل له، ولا كتاب فوقه بعد

كتاب الله –عز وجل-".
وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «اعلموا - أنار الله أفئدتكم - أن كتاب الجعفي – أي البخاري- هو الأصل الثاني في هَذا الباب، والموطأ هو الأول واللباب، وعليهما بنـاء الجميع كالقشيري – أي مسلم- والترمذي فمـا دونهما» عارضة الأحوذي. وقد نحى هذا المنحى وانتهج هذا النهج كثير من المتأخرين، كالعلامة المحدث محمد حبيب الله الشنقيطي، والمحدث الشهير الشيخ صالح الفلاّني، والعلامة ولي الله الدهلـوي، وقد أطال النفس في ذلـك وقال ما هذه خلاصته: "فالطبقة الأولى من كتـب الحديث، منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتـب: الموطأ والصحيحين...واتفق أهل الحديث على أن جميع ما فيه – أي الموطأ - صحيح على رأي مالك ومن وافقه. وأمـا على رأي غيره، فليس فيه مرسل ولا منقطـع، إلا وقد اتصل السند به من طرق أخرى. فلا جرم أنها صحيحة من هذا الوجه". انظر (حجة الله البالغة)1/385 وقـال في مقام آخـر: "لقد انشرح صـدري وحصل لي اليقين، بـأن الموطأ أصح كتـاب يوجد علـى وجه الأرضـ بعد كتـاب الله –عـز وجل-". انظـر مقدمة المصفـى في شـرح الموطـأ. بصـدر كتـاب (المسوى في شـرح الموطـا) 1/29. وأجلـى من هذا اعتراض بعضـ أهل الاختصاص على ابـن الصلاح في قوله: "أول من ألف في الصحيح المجرد البخاري". وقد تبع الناس في ذلك ابن الصلاح –رحمه الله- كما تبعوه في أشياء أخرى تتعلق بهذا الفن الشريف"انتهى.

بل روي عـن البخاري نفسه كما جاء في كتاب علوم الحديث لابن الصلاح ما نصـه: "روينا عن أبي عبد الله البخـاري - صاحب الصحيح - أنه قال: «أصح الأسانيـد كلها: مالك عن نافع عـن ابن عمر».وبنى الإمام أبو منصور عبد القاهر بـن طاهر التميمي على ذلك: أن أجل الأسانيد: «الشافعي عن مالك عن نافع عن ابـن عمر " واحتج بإجماع أصحاب الحديث على أنه لم يكن في الرواة عن مالك أجل من الشافعي رضي الله عنهم أجمعين، والله أعلم" انتهى.

ووجدنـا من الشيوخ مـن يعطي الأفضليـة لمسلم وصحيحه «قـال أحمد بن

سلمــة: رأيت أبا زرعة وأبا حــاتم يقدمان مسلما في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما. «تاريخ بغداد 102-13/101، وكما يعلم الجميع فمسلم معاصر للبخاري، بل كان تلميذا له.

وقد وجــدت مقالة جامعة منشورة على منتدى السودان تؤكد بما لا يدع مجالا للشــك بــأن مقولة تلقي الأمة لصحيــح البخاري بالقبول، كذبة مــا بعدها كذبة، وهاتــه المقالة التي جمعت نقولا عن أئمة أعلام في عــدم تلقي صحيح البخاري بالاجماع، هــي بعنوان: «الرد الملجم على من ادعى إجمــاع الأمه على البخاري ومسلم» ونصها التالي:

«يزعم بعض المتأخرين إجماع جميع علماء الأمة على صحة ما أخرجه البخاري ومسلــم، وهــذا فيه نظر واعلم أن هنــاك أحاديث في الصحيحــين ضعفها علماءٌ محدثون كثر. وما حصــل إجماعٌ على صحة كل حديث في الصحيحين، لا قبل البخــاري ومسلم ولا بعدهما. فممن انتقد بعض تلك الأحاديث: أحمد بن حنبل وعلي بنِ المديني ويحيى بن معين وأبو داود السجستاني والبخاري نفسه (ضعف حديثــاً عند مسلم) وأبو حاتم وأبو زرعــة الرازيان وأبو عيسى الترمذي والعقيلي والنسائي وأبو علي النيسابوري وأبو بكر الإسماعيلي وأبو نعيم الأصبهاني وأبو الحســن الدارقطني وابن مندة والبيهقي والعطــار والغساني الجياني وأبو الفضل الهروي بن عمار الشهيد وابن الجوزي وابن حزم وابن عبد البر وابن تيمية وابن القيم والألباني وكثير غيرهم. فهلٍ كل هؤلاء العلماء مبتدعة متبعين غير سبيل المؤمنين؟! فقــد ضعّــف العقيلي عدداً مــن أحاديث صحيــح البخاري. وعلــى سبيل المثال حديــث همام بن يحيــى في الأبرص. وقد رواه العقيلــي في ضعفائه (4|369) من طريــق شيخه البخــاري، ثم ضعّفه واعتــبره من كلام عبيد بن عمــير. هذا رغم اتفــاق البخــاري (3|1276 #3277) ومسلــم (4|2275 #2963) علــى تصحيحــه. فقــد فعل ذلك شيــخ الاسلام وبن القيم وحكما على لفــظ (ينشئ الله لها خلقا فيسكنوهــا) بالنكارة وهو في الصحيح وتبعهم الشيــخ بن جبيرين وبن عثيمين أيضا في دروسه وقد ضعف بعض الحفاظ أحاديث في مسلم أيضا.

أعلام ضعفوا أحاديث في الصحيحين:

لم يقـف الأمر عند مسألة الاختلاف في اعتبـار الأصح من كتب التراث، فكل «حزب بما لديهم فرحون»، وكل مذهب يحاول إظهار أن كتاب مذهبه هو الأفضل، والغريب أن كل أنصار كتاب ما يعتبر كتابه المتعصب له «أصح كتاب بعد كتاب اللـه» الكل مصـر، على مقارنة كتاب الله المطلق، بكتـاب البشر النسبي،... إذن لم يقـف الأمر عند هاتـه المسألة بل تعداها إلى أن العديـد من الشيوخ والأعلام الذين يشهد لهم بعلو الكعب في "علم" الحديث، وخبرة لا تضاهى بنقد الرجال، قد وصل بهم الأمـر إلى تضعيف أحاديث وردت في الصحيحين، ولم يجرؤ أحد من المتقدمـين ولا المتأخرين علـى تكفيرهم أو تفسيقهـم، أو وصفهم ووسمهم بالزيـغ والضلال، لكننـا وبعد هذا الكتاب سنجد العديد مـن الشيوخ وأتباعهم ممن سيصفنا بأقذع النعوت، وأقبح الأوصاف، وسينبري العديد منهم ليتهمنا في عقائدنا ونياتنا، فإلى الله المشتكى مما سنجد منهم.

وسأنقل لكم غيضا من فيض الأسماء الكبيرة، التي ضعفت أحاديث في الصحيحين من مختلف العصور والأزمان التي تلت تأليف الكتابين "حسب زعمهم" لتقف -أيها القارئ - على حجم الأسطورة، ومدى تهافتها وتفاهتها.

1 - انتقاد البخاري لبعض ما أخرجه مسلم وهو على ضروب:

فمنهـا أنـه أعلَّ أحاديث بعينها، مثـل حديث خلق التربة فقـد صحَّحه مسلمٌ (2789) وأعلَّـه البخـاريُّ في تاريخه الكبـير (1317). وكذلك حديـث سفيان بن عيينـة في إقامة النبي عنـد أم سلمة ثلاثاً لمَّا تزوجهـا (1460)، أعلَّه البخاري في تاريخـه الكبـير (93). وكذلك حديث كريـب مولى ابن عباسـ في حج الصبي (1336)، أعلَّـه البخاري في تاريخه الكبير (612). ومنها أنه تَرَكَ أحاديث وقع فيها اختلافٌ وأخرجها مسلم، مثل حديث طلاق الثلاث (1472). قال البيهقي (الكبرى

14974): (وهذا الحديث أحد ما اختلف فيه البخاري ومسلم، فأخرجه مسلم وتركه البخـاري. وأظنـه إنما تركه لمخالفته سائر الروايات عن ابـن عباس). اهـ وكذلك حديث صلاة الكسوف ثمان ركعات في أربع سجدات (908 وغيره)، قال البخاري (علل الترمذي ص97): (أصح الروايات عندي في صلاة الكسوف: أربع ركعات في أربع سجدات). اهـ قال ابن تيمية (مجموع الفتاوى 17/236): (والبخاريُّ سَلِمَ من مثل هذا، فإنه إذا وقع في بعض الروايات غلطٌ، ذَكَرَ الروايات المحفوظة التي تُبَيِّنُ غَلَـطَ الغالط). اهـ ومنها عدم احتجاجه برواة احتـجَّ بهم مسلم، كسهيل بن أبي صالح وحماد بن سلمَة وأبي الزبير وآخرين. ومِنها ما كان مِن شرطه في السماع على خلاف مسلم، وهذا الخلاف بينهما معروف.

2- انتقاد مسلم لبعض ما أخرج البخاري:

فمن ذلك حديث الإسراء الذي رواه شريك بن عبد الله (3570)، فقد أعلَّه مسلم بقولَـه (162): (وقدَّمَ فيه شيئـاً وأخَّرَ وزاد ونقص). اهـ ومنها عدم احتجاجه برواة احتجَّ بهـم البخاري، كعكرمة مولى ابـن عباس وآخرين. ومنهـا انتقاده لشرطً البخـاري في السماع بين المتعاصرين. وفي ذلك يقول أبو الولَيد الباجي [ت 474 هــ] في كتابه «التعديل والتجريح» (1/310): (وقد أخرج البخاري أحاديث اعتَقَدَ صحَّتَهـا، تَرَكَهـا مسلم لما اعتقدَ فيهـا غيرَ ذلك. وأخرج مسلـم أحاديث اعتقد صحَّتها، تركها البخاري لما اعتقد فيها غيرَ معتَقَده. وهو يدلُّ على أنَّ الأمر طريقُه الاجتهادُ لِمَن كان مِن أهل العلم بهذا الشأن، وقلَيلٌ ما هُم). اهـ

3- انتقاد أبي زرعة الرازي (ت 264 هـ) لصحيح مسلم:

انتقـد أبو زرعـة تصنيف كتاب مسلـم وتكلَّم في بعض رواتـه وأحاديثه. قال البرذعـي في سؤالاته (أبو زرعة وجهوده ص674): (شهـدتُ أبا زرعة ذكر كتاب الصحيح الذي ألفه مسلم بن الحجاج، ثم الفضل الصائغ على مثاله، فقال لي أبو زرعة: «هؤلاء قـومٌ أرادوا التقدم قبل أوانه، فعملوا شيئاً يتشوفون به. ألفوا كتاباً

لم يُسبقوا إليــه، ليقيموا لأنفسهم رياسةً قبل وقتها». وأتاه ذات يوم -وأنا شاهدٌ -رجلٌ بكتاب الصحيح مِن رواية مسلم، فجعل ينظر فيه. فإذا حديثٌ عن أسباط بــن نصر، فقال لي أبو زرَعة: «مــا أبعد هذا من الصحيح! يُدخل في كتابه أسباط بــن نصر!» ثم رأى في الكتــاب قطن بن نسير، فقال لي: «وهــذا أطمُّ من الأول! قطــن بن نسير وصل أحاديــث عن ثابت جعلها عن أنس». ثم نظر فقالَ: «يروي عــن أحمد بن عِيسى المصري في كتابه الصحيح». قــال لي أبو زرعة: «ما رأيت أهــل مصر يَشُكُّون في أنَّ أحمد بن عيسى» وأشار أبو زرعة بيده إلى لسانه كأنه يقول: الكذِب. ثم قال لي: «يُحدِّث عن أمثال هؤلاء، ويترك عن محمد بن عجلان ونظرائه! ويُطرِّق لأهل البدع علينا، فيجدون السبيل بأن يقولوا لحديث إذا احتُجَّ عليهــم به: ليس هذا في كتاب الصحيح». ورأيته يــذمُّ وَضْعَ هذا الكتاَب ويؤنِّبه. فلمــا رجعــتُ إلى نيسابور في المــرة الثانية، ذكرت لمسلم بن الحجــاج إنكار أبي زرعة عليه روايته في هذا الكتاب عن أسباط بن نصر وقطن بن نسير وأحمد بن عيســى. فقال لي مسلم: «إنما قلتُ: صحيح، وإنما أدخلتُ مِن حديث أسبط وقطن وأحمد ما قد رواه الثقات عن شيوخهم. إلا أنه ربما وقع إليَّ عنهم بارتفاع، ويكون عنــدي مِن رواية مَن هو أوثق منهم بنــزولٍ، فأقتصر على أولئك. وأصل الحديث معروفٌ مِن رِواية الثقات). اهـ

- وقدَ أعلَّ أبو زرعة أربعة أحاديث أخرجها مِسلم في صحيحه:

1- حديث المسح على الخفين والخمارً (275)، أعلَّه كما في علل ابن أبي حاتم (12).

2- حديث كان يذكر الله على كل أحيانه (373)، أعلَّه كما في علل ابن أبي حاتم (124).

3- حديــث ويــلٌ للأعقاب مِن النار (240)، أعلَّه كمــا في علل ابنِ أبي حاتم (17).

4- حديــث مَن نفَّس عن مؤمَنٍ كربةً مِن كــرب الدنيا (2699)، أعلَّه كما في علل ابن أبي حاتم (1979).

3- انتقاد أبي زرعة لأحاديث أخرجها البخاري منها حديث يونس بن يزيد أن النبي صلى بمنى ركعتين (1655) أعلَّه أبو زرعة كَما في علل ابن أبي حاتم (40)

ومنها حديث ابن عمر رأيت النبي في ظل الكعبة (6272) أعلَّه كما في سؤالات البَرذعي (ص386). ومنها حديث ابن عباس في جبريل يوم بدر (3995، 4041 (أعلَّه كما في علل ابنَ أبي حاتم (921).

4- انتقاد أبي حاتم (ت 277 هـ) لأحاديث أخرجها الشيخان:

فمنها حديث تسليم ابنِ مسعود على النبي في الصلاة أخرجه البخاري (1199 وغيَره) ومسلم (53) وأعلَّه أبو حاتم كما في علل ابنه (274). ومنها حديث أبي هريرة في صيام ثلاثة أيام من كل شهر أخرجه البخاري (1178، 1981) ومسلم (721) وأعلَّه كما في علل ابنَه (690). ومنها حديث ضُباعة بنت الزبير أخرجه البخاري (5089) ومسلم (1207) وأعلَّه كما في علل ابنه (803). ومنها حديث جندب اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم أخرجه البخاري (5060 وغيره) ومسلم (2667) وأعلَّه كما في علل ابنه (1675). ومنها حديث ابن عمرو لا تكن مثل فلان أخرجه مسلم (1159) وأعلَّه كما في عَلل ابنه (344). ومنها حديث يونس بن يزيد أن النبي صلى بمنى ركعتين أخرجه البخاري (1655) وأعلَّه كما في علل ابن أبي حاتم (40) .ومنها حديث محمد بن عمرو بن عطاء في صفة صلاة النبي أخرجه البخاري (82) وأعلَّه كما في علل ابنه (461). ومنها حديث أبي بكر بن عياش في الاعتكاف في رمضان أخرجه البخاري (2044، 499) وأعلَّه أبو حاتم كما في علل ابنه (673). ومنها حديث ابن عمر رأيت النبي في ظل الكعبة أخرجه البخاري (6272) وأعَلَّه كما في علل ابنه (864).

5- انتقاد الترمذي (ت 279 هـ) لحديث في صحيح البخاري:

أخرج البخاري حديث ابن مسعود في الاستنجاء بالحجارة (156)، وأعلَّه الترمذي بالاضطراب فقال في سننه (17): (وهذا حديثٌ فيه اضطرابٌ). اهـ وقد ذَكَرَ الترمذي أنَّ البخاري - مع كون الحديث مضطرباً - مالَ إلى ترجيح إحدى الروايات وأخرجها في صحيحه، فقال في علله الكبير وهو في سننه

أيضـاً: (وكأنه رأى حديثَ زهـير أصحَّ، وَوَضَعَ حديث زهـير في كتاب الجامع). اهـ ثم قـال: (ورواية إسرائيـل وقيس بـن الربيع، عـن أبي إسحـاق، عن أبي عبيـدة، عـن النبي صلـى الله عليه وسلم في هـذا هو عندي أشبـه وأصحُّ). اهـ قلتُ: فيَظهر ممَّـا سُقناه عن الشيخين والرازيين والترمذي -وهم كانوا أبناء عصرٍ واحـد رحمهم الله أجمعين- عَدَمُ التسليم بصحة ما يصحِّحه هذا أو ذاك، بل كانَ ديدنهـم هـو انتقاد الحديث الذي بـه علَّةٌ أياً كان راويه. فلا مجـال إذن لأحد أن يدَّعـي إجماع الأئمة في عصر الشيخين على صحة ما أخرجاه في كتابيهما، لأن أقوالهـم على خلاف ذلك كمـا تَبيَّنَ لك. فلم يَبْقَ إلا القول بـأن هذا الإجماع إنما انعقد بعد عصر هؤلاء الأئمة. فإن كان ذلك كذلك، فما هو العصر الذي أجمع فيه العلماء على هذا قبل ابن طاهر المقدسي؟

انتقاد ابن عمار الشهيد (ت 317 هـ) لصحيح مسلم:

يُعَـدُّ أبو ألفضـل ابن عمار الهـروي الشهيد أَقْدَمَ مَن ألـف في نقد الصحيح، فقد جَمَـعَ الأحاديث التي انتقدها على مسلم في جـزء (علَل أحاديث في كتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج). وقد أعلَّ ابن عمار في كتابه هَذا ستةً وثلاثين حديثاً أخرجها مسلم في صحيحه.

6- انتقاد أبي بكر الإسماعيلي (ت 371 هـ) لحديثٍ في صحيح البخاري:

أخرج البخارِي في صحيحه حديث أبي هريرة يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة (3350)، وقد طعَنَ فيه الإسماعيليُّ لمَّا أخرجه في مستخرجه. قال ابن حجر في الفتح (8/500): (وقد استَشْكَلَ الإسماعيليُّ هذا الحديثَ من أصله وطَعَنَ في صحته، فقال بعد أن أخرجه: «هذا خبرٌ في صحته نظرٌ، من جهة أن إبراهيم علم أن الله لا يخلف الميعاد. فكيف يَجعل ما صار لأبيه خزياً، مع علمه بذلك!»). اهـ

7- **انتقاد الدارقطني «ت 385 هـ» لأحاديث الشيخين:**

وهو أَشْهَرُ من أن يُذكَر لرسوخ قدمه في هذا الفن. وقد ذَكَرَ انتقاداته في ثلاثة مصنَّفاتَ له: أحدها هو (التتبُّع) قال في أوله (الإلزامات والتتبع ص120): (ابتداءُ ذكْرِ أحَاديث معلولة اشتمل عليها كتاب البخاري ومسلم أو أحدهما، بَيَّنْتُ عِلَلَهَا والصوابَ منها). اهـ والثاني هو جزء) بيان أحاديث أودعها البخاريَ رحمه الله كتابهَ الصحيح) قال في أوله (ص39): ((ما حَضَرَني ذكْرُه من الأحاديث التي خرَّجها محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في كتابه «السنن الصحاح» عنده، ممَّا اختُلف في أسانيد بعضها وفي إرسال بعضها وفي إيصالها وفي عدالة ناقليها وجرحهم)). اهـ والثالث ما هو متفرقٌ في كتابه (العلل الواردة في الأحاديث النبوية) وقد توسَّعَ فيه في ذكر علل الأحاديث. ويُلاحَظ أن الدارقطني في انتقاداته لم يزعم الإحاطة بكل علل الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم ولا قصد استيعابها: فقد ذَكَر في جزء البخاري أحاديث لم يذكرها في التتبع، كما ذَكَر في كتاب العلل أحاديث لم يذكرها فيهما.

8- **موافقة أبي مسعود الدمشقي «ت 401 هـ» لبعض انتقادات الدارقطني:**

ألف أبو مسعود كتاب (الأجوبة عمَّا أشكل الشيخ الدارقطني على صحيح مسلم بن الحجاج) يدافع فيه عن الأحاديث التي أعلَّها الدارقطني في صحيح مسلم، ولكنه مع ذلك أقرَّه على بعض انتقاداته وسَلَّمَ بها واعتذر للإمام مسلم. وهنا نكتةٌ أنْ لَو كان ثَمَّ إجماعٌ من الأمة على صحة ما أخرجه الشيخان، لألْزَمه به أبو مسعود ولَمَا احتاجَ إلى الإجابة عن إشكالاته بل ولَمَا وافقه على بعضها!

9- **انتقاد ابن حزم «ت 456 هـ» لحديثين في الصحيحين:**

كان ابن حزم معظِّماً للصحيحين، ومع ذلك فقد انتقد حديثين فيهما بل حَكَمَ على أحدهما بأنه موضوع. فأما الحديث الأول: فهو حديث الإسراء

الذي أخرجه البخاري وأعلَّه مسلمٌ أيضاً. وأما الحديث الثاني: فهو حديث ابن عباس كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان الذي أخرجه مسلم (2501)، فقد حَكَمَ عليه ابنُ حزم بالوضع. قال النووي في شرحه (16/63): (وقال ابن حزم: «هذا الحديث وهمٌ من بعض الرواة، لأنه لا خلاف بين الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوَّج أم حبيبة قبل الفتح بدهر وهي بأرض الحبشة وأبوها كافرٌ». وفي رواية عن ابن حزم أيضاً أنه قال: «موضوعٌ»). اهـ وكلامُ ابن حزم بطوله رواه الحميدي عنه (انظر: مكانة الصحيحين ص38).

10- انتقاد الغساني الجياني (ت 498 هـ) للصحيحين:

ألف أبو علي الغساني الجياني وكان رئيس المحدِّثين بقرطبة كتاب (تقييد المهمل وتمييز المشكل) نبَّه فيه -ضمن ما نبَّه- على الأوهام الواقعة في الصحيحين كلٌّ على حدة، ومعظمها متوجِّهُ إلى الرواة عنهما. وقد تابَعَ الدارقطنيَّ وأبا مسعود الدمشقي في بعض نقدهما للشيخين، وزاد من عنده انتقادات أخرى لم يذكراها ولا نبَّها عليها. قلتُ: فهؤلاء ممَّن تقدَّموا ابنَ طَاهر، وصنيعُهمً موافقٌ لصنيع الأئمة قبلَهم في التعرُّض لعلل الأحاديث التي وقع فيها اختلافٌ في أسانيدها أو متونها، وإن كانت ممَّا أخرجه الشيخان في كتابيهما وحَكَما بصحته. وهو يدلُّ على أنَّ الأعصُرَ التي تَلَت عصر الشيخين لم يقع اتفاقُ العلماء فيها على قطعية أحاديث الصحيحين ولا على مَنْع النظر في أسانيدها، بل إنَّ منهم مَن أَفْرَدَ كُتُباً في التنبيه على المعلول منها. والسؤال هنا: إذا ثَبَتَ أنَّ في الصَحيحين أحاديث قد اختلفت الأئمة في تصحيحها قطعاً، فكيف يصحُّ ما ادَّعاه ابنُ طاهر بأن المسلمين أجمعوا على صحة ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما؟ مع العلم بأن أقوال هؤلاء العلماء معلومةٌ غير مجهولة، وخلافَهم مشهورٌ غير منكور. ولم يُشَنِّعْ عليهم أحدُ من أهل العلم بزعم مخالفة الاجماع! يقول الإمام أحمد في مسائله (رواية عبد الله ابنه 1587): ((ما يَدِّعي الرجلُ فيه الإجماع، هذا الكذبُ. مَن ادَّعى الإجماع فهو كذب، لعلَّ

الناســ قد اختلفوا. هذا دعوى بشر المريسي والأصم. ولكن يقول لا يَعلم الناسَ يختلفــون، أو لم يبلغه ذلك ولم ينته إليه. فيقول لا يَعلم الناسَ اختلفوا). اهـ فهو وإنْ لَمْ يَعلــمْ خلافاً في المسألة، لا يَجوز له ادِّعاء الإجماع، فكيف وقد وَقَفَ على الخلاف.

11- انتقاد ابن تيمية وابن القيم لحديث في البخاري:

فقد فعل ذلك شيــخ الإسلام وبن القيم وحكما على لفظ (ينشئ الله لها خلقا فيسكنوهــا) بالنكارة وهو في الصحيح وتبعهم الشيــخ بن جبيرين وبن عثيمين أيضا في دروسه.

12- ابن برهان «ت 514 هـ» وهو سابقٌ على ابن الصلاح:

يقول في كتابه «الوصول إلى الأصول» (2/172): ((خبر الواحد لا يفيد العلم، خلافاً لبعض أصحاب الحديث فإنهم زعموا أنَّ ما رواه مسلمٌ والبخاريُّ مقطوعٌ بصحته. وعمدتنا أنَّ العلم لو حصل بذلك، لحصل لكافة الناس كالعلم بالأخبار المتواترة. ولأن البخاري ليس معصوماً عن الخطأ، فلا نقطع بقوله. لأنَّ أهل الحديث وأهل العلم غلَّطوا مسلماً والبخاريَّ وثبَّتوا أوهامهما. ولو كان قولهما مقطوعاً به، لاستحال عليهما ذلك). اهـ ثم قال: (ولا عمدة للخصم إلا أن الأمة أجمعت على تلقي هذين الكتابين بالقبول واتفقوا على العمل بهما. وهذا لا يدلُّ على أنهما مقطوعٌ بصحتهما: فإن الأمة إنما عملت، لاعتقادها الأمانة والثقة في الرواية. وليس كلُّ ما يوجب العمل به كان مقطوعاً بصحته). اهـ وقد استند إلى رأيه النوويُّ في ردِّه على ابن الصلاح.

13- بدر الدين الزركشي «ت 794 هـ»:

يَظهر من نقاشات الزركشي في نكته على ابن الصلاح أنه كان موافقاً له في قطعية أحَاديث الصحيحين، إلا أنه في موسوعته الأصولية ردَّ على ابن الصلاح

وقال بما قال به الجمهور. يقول في كتابه «البحر المحيط» (4/246): (وقال ابن الصلاح: إن جميع ما اتفق عليه البخاري ومسلم مقطوعٌ بصحته، لأن العلماء اتفقوا على صحة هذين الكتابين. والحقُّ أنه ليس كذلك: إذ الاتفاق إنما وقع على جواز العمل بما فيهما، وذلك لا ينافي أن يكون ما فيهما مظنون الصحة. فإن الله تعالى لم يُكَلِّفنا القَطْعَ، ولذلك يجب الحُكم بموجب البينة وإن لم تُفِدْ إلا الظنَّ). اهـ

14- الكمال ابن الهمام «ت 861 هـ»:

قال في كتابه «فتح القدير» (1/445): (وقولُ مَن قال: أصحُّ الأحاديث ما في الصحيحين، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما اشتمل على شرطهما من غيرهما، ثم ما اشتمل على شرط أحدهما: تحكُّمٌ لا يجوز التقليد فيه، إذ الأصحِّية ليس إلا لاشتمال رواتهما على الشروط التي اعتبراها).اهـ وقال في ذات الكتاب (5/243) عن خبر الواحد: (وقد خُطِّئَ مَن ظَنَّهُ يصير قطعياً، فادَّعى فيما رواه البخاري ذلك. وغَلط). اهـ وقال أيضاً (5/495): (قدَّمنا غير مرة أنَّ كون الحديث في كتاب البخاريَ أصحَّ من حديث آخر في غيره، مع فرضٍ أنَّ رجاله رجال الصحيح أو رجالٌ رَوى عنهم البخاري: تحكُّمٌ محضٌ). اهـ

15- محمد بن سليمان الكافيجي «ت 879 هـ»

قال في كتابه «المختصر في علم الأثر» (ص167): (ما اتفق عليه الشيخان من الصحيح: يفيد الظن بصحته ومضمونه، مالم يتواتر -خلافاً للبَعض -لكونه من قبيل غير المتواتر. فظهر ضعفُ قولِ مَن قال: إنه يفيد القطع بصحته لاجتماع الأمة على تلقيه بالقبول). اهـ ومن المتأخرين:

16- أحمد بن الصديق الغماري «ت 1380 هـ = 1960 م»:

قال في كتابه «المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير» (ص137 فما

بعد): (فكم من حديث صحَّحه الحفاظ، وهو باطلٌ بالنظر إلى معناه ومعارضته للقرآن أو السنة الصَّحيحة أو مخالفة الواقع والتاريخ. وذلك لدخول الوهم والغلط فيه على المعروف بالعدالة، بل قد يتعمد الكذب! فإن الشهرة بالعدالة لا تفيد القطع في الواقع. ومنها أحاديث الصحيحين: فإن فيها ما هو مقطوعٌ ببطلانه، فلا تغتر بذلك ولا تتهيَّب الحُكم عليه بالوضع لما يذكرونه من الإجماع على صحة ما فيهما. فإنها دعوى فارغةٌ لا تثبت عند البحث والتمحيص، فإن الإجماع على صحة جميع أحاديث الصحيحين غير معقول ولا واقع)). اهـ

17- الألباني ﴿ت 1420 هـ = 1999 م﴾:

هاجَمَ الألباني محمودُ سعيد ممدوح لأنه انتقد "الألباني" بعض أحاديث الصحيحين، وَعَدَّ الألباني بذلك مخالفاً للإجماع، فقال محمود سعيد في كتابه «تنبيه المسلم» (ص7) في جملة ما قال: (وقد جفَّت الصحف ورُفعت الأقلام عن أحاديث الصحيحين، وإلا كانت الأمة -باتفاقها على صحة الصحيح -قد ضلَّت سواء السبيل!)). اهـ فَرَدَّ عليه الألباني في مقدمة كتابه «آداب الزفاف» فقال (ص54 فما بعد) بعد أن نَقَلَ كلامَه هذا: (قلتُ: وهذا القول وحده منه يكفي القارئ اللبيب أن يَقنع بجهل هذا المتعالم وافترائه على العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين في ادعائه الإجماع المذكور. فإنهم ما زالوا إلى اليوم ينتقد أحدُهم بعضَ أحاديث الصحيحين ممَّا يبدو له أنه موضعٌ للانتقاد، بغضِّ النظر عن كونه أخطأ في ذلك أم أصاب). اهـ ثم ذَكَرَ إعلال عبد الله بن الصديق الغماري لحديثين في الصحيح. ثم أَتْبَعَ الألباني ذلك بِنَقْلِ كلام أخيه أحمد بن الصديق الغماري الذي مَرَّ عليك آنفاً، فوافقه وقال (ص60): ((قلتُ: وهذا ممَّا لا يشك فيه كل باحث متمرس في هذا العلم، وقد كنتُ ذكرتُ نحوَه في مقدَمة «شرح الطحاوية»)). اهـ ثم ردَّ على قوله بأن الأمة قد ضلَّت إذن عن سواء السبيل، فقال الألباني (ص63): ((فأقول: كلا ثم كلا. إن الأمة لم تضل ولن تضل بإذن الله تعالى، وإنما ضلَّ مَن افترَى عليها ونَسَبَ الاتفاقَ إليها في أمرٍ هم مختلفون فيه)). اهـ

إذن هل بعد ذلك يقال أن هناك إجماع على البخارى ومسلم !!!

أظن أنه بعد ما أوردناه نقلا من «منتدى السودان» لا يمكن أن يكون هناك عاقل يكذب كل هاته النقول عن شيوخ أعلام من كل العصور والأمصار، ويستمر في تصديق كذبة الإجماع على أن كل ما في صحيح البخاري صحيح ويلقيها على الأسماع.

البخاري مجروح ومتروك الحديث:

لم يقف الأمر عند هذا الحد في عدم اعتبار صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله، ولا في تضعيف أحاديث في صحيح البخاري، بل وصل الأمر ببعض كبار الشيوخ وأعلامهم في «علم» الحديث، إلى تجريح محمد بن اسماعيل البخاري نفسه، واعتباره مجروحا ومتروك الحديث، ولعل العديد ممن لا يغوص في بطون الكتب ليقف على الحقائق سيصدم من هاته الحقيقة، التي يحاول الشيوخ اخفاءها، ويكتفون بنقل الأساطير الممجدة للبخاري، ويخفون الحقائق المرة التي تعاكس رواياتهم، في الانتقاص من شخص البخاري، واتهامه في دينه، والحاقه بزمرة الضالين المضلين، وأصحاب الزيغ والعقائد الفاسدة.

ومن ذلك ما أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ط الرسالة»(12/ 462):

«وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» قدم محمد بن إسماعيل الري سنة خمسين ومائتين، وسمع منه أبي وأبو زرعة، وتركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى أنه أظهر عندهم بنيسابور أن لفظه بالقرآن مخلوق».

وعقب الذهبي على هذا بقوله: «قلت: إن تركا حديثه، أو لم يتركاه، البخاري ثقة مأمون محتج به في العالم».

قال ابن خلكان: محمد بن يحيى المعروف بالذهلي من أكابر العلماء والحفاظ وأشهرهم، وهو أستاذ وشيخ البخاري ومسلم وأبي داود والتمرذي والنسائي وابن ماجة. (وفيات الأعيان لابن خلكان 4/ 282 ترجمة الذهلي). قال الكلاباذي الأصبهاني في كتابه الجمع بين رجال الصحيحين في ترجمة الذهلي: روى عنه البخاري في الصوم والطب والجنائز والعتق وغير موضع في ما يقرب من ثلاثين موضعاً... إنّ البخاري لمّا دخل نيسابور شغب عليه محمد بن يحيى الذهلي في مسألة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يترك الرواية عنه ولم يصرّح باسمه.

راجـع: الجمع بين رجال الصحيحين: 2/ 465 ترجمة رقم 1787). وقال: أحمد بن حنبل لابنه وأصحابه: اذهبوا إلى أبي عبد الله الذهلي واكتبوا عنه. (تاريخ بغداد: 3/416). قال الخطيب البغدادي: «كان البخاري خلافاً لأكثر متكلّمي عصره يقول بأنّ لفظ القرآن مخلوق، ولمّا ورد مدينة نيسابور أفتى الذهلي -الذي تقلّد منصب الإفتـاء والإمامـة بنيسابور -قائلاً: ومـن ذهب بعد مجلسنا هـذا إلى محمد بن إسماعيـل البخاري فاتّهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه. (تاريخ بغداد:2/ 31) (ذهب أحمد بن حنبل إلى تكفير من يقول بخلق القرآن فقال: والقـرآن كلام الله ليس بمخلوق، فمن زعم أنّ القـرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومـن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو أخبث مـن الأول، ومن زعم أن تلفّظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوق والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يكفر هؤلاء القوم والقائلين بخلق القرآن وكلام الله فهو مثلهم - كافر - راجع: كتاب السنة لأحمد بن حنبل 3/ 53).

قـال محمـد بن يحيى: كتب إلينا مـن بغداد أنّ محمد بـن إسماعيل يقول: بأنّ لفـظ القرآن ليس قديما، وقد استتبناه في هذه ولم ينته: فلا يحقّ لأحد أن يحضر مجلسـه بعد مجلسنا هذا. (تاريخ بغـداد: 2/ 31، وإرشاد السـاري: 1/ 38 وهدى الساري مقدمة فتح الباري: 491 وإستقصاء الأفهام: 9787).

لم يذهب الذهلي بفساد عقيدة البخاري فحسب، بل كان يرى انحراف صاحبه مسلم بن حجّاج -صاحب الصحيح -عن العقيدة السليمة، ولذا طرده من مجلسه وحرّم علـى الناس حضور مجلسه. (دائرة معارف القرن العشرين: 5/ 292 مادّة سلم، وتذكـرة الحفّاظ: 2/589 ترجمة مسلم بن الحجاج رقم 613) ويظهر من هذه الأقوال بأن البخاري ومسلم كانا محل رفض وطرد من قبل أهل نيسابور وعلماء بغـداد وأهلهـا لاعتقادهما في القرآن بأنه مخلوق، وكان هـذا سبباً لطردهما من نيسابور.

وقـد حاول الذهبي في سير أعـلام النبلاء الدفاع عن البخـاري باتهام شيخه

الذهلــي – وهــو مــن كبار الحفــاظ المشهود لهــم بالصلاح، بل مــن التقات في الحديث-بأن السبب في اتهامه لمحمد بن اسماعيل البخاري هو الحسد، وإذا كان هذا صحيحا فالواجب ترك التحديث عنه، لكن البخاري حدث عنه، وإن كان قد دلس اسمه مرات عديدة في صحيح البخاري كما يعتقد هؤلاء الشيوخ.

وقــد أورد الذهبــي مجموعة من النقــول توضح تجريح الإمــام الذهلي لتلميذه البخاري، وعزا ذلك للحسد الذي تولد لدى الذهلي إزاء تلميذه، وهو الأمر الذي دفعــه إلى طرده من بلده حيث جاء في سير اعلام النبلاء ص 461» قال أحمد بن منصور الشيرازي: سمعت محمد بن يعقــوب الأخرم، سمعت أصحابنا يقولون: لما قام مسلم وأحمد بــن سلمة من مجلس الذهلي، قال الذهلي: لا يساكنني هذا الرجل في البلد. فخشي البخاري وسافر».

والقصــة معروفة عنــد أهل الحديث بمحنة البخــاري في مسألة: «لفظي بالقرآن مخلوق المنسوبة للبخاري».

ومن الأسماء الكبيرة التي جرحت البخاري، والتي تعتبر من رتبه البخاري في الحديث أبو زرعة الذي يعدّ من حفّاظ الحديث، ويعد علماً من أعلام الرجال، قال الفاضل النووي فيه: انتهى الحفظ - حفظ الحديث - إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة و... (تهذيب الأسماء واللغات: 1/ 68).

قــال الخطيــب عن سعيد بــن عمر وقال: شهــدت أبا زرعة الــرازي ذكر كتاب الصحيــح الذي ألف مسلم بن الحجّاج ثــمّ المصوّغ على مثاله -صحيح البخاري -فقــال لي أبو زرعة: هؤلاء قوم أرادوا التقدّم قبل أوانه فعملوا شيئًا يتسوقون به، ألفوا كتابًا لم يسبقوا إليه ليقيموا لأنفسهم رئاسة قبل وقتها. وأتاه ذات يوم -وأنا شاهــد -رجل بكتب الصحيح من رواية مسلــم فجعل ينظر فيه فإذا حديث عن أسباط بن نصر، فقال أبو زرعة: ما أبعد هذا من الصحيح يدخل في كتابه أسباط بــن نصر، ثــم رأى في كتابه قطن بن نصير فقال لي: وهذا أطمّ من الأول. (تاريخ بغداد/ 273).

وذكر الذهبي قصّة أبي زرعة ولكنّه أتى بكلمة يتسوّقون - يتاجرون - بدلاً عن كلمة يتشوّفــون - يتظاهرون - (ميزان الإعتدال: 1/ 126 ترجمة أحمد بن عيسى المصري التستري رقم 507).

بــل إن محمد بن أبي حاتم روى أن بعض معاصري البخاري قد كفره، كما جاء في سير أعــلام النبلاء ص461 «وقال محمد بن أبي حــاتم: أتى رجل أبا عبد الله البخاري، فقال: يا أبا عبد الله، إن فلانا يكفرك! فقال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما».

إننــا بعرضنا هاته النقول لا نرمــي من خلالها الطعن في شخص البخاري، فلا يمكــن -في نظرنــا- الطعن في أي إنسان كيفما كان بالاعتمــاد على أقوال بعض الرجــال، ففي النهاية هــي آراء، ولربما نسبتها لقائليها فيهــا نظر، لكن أردنا من خلال سردنا لهاته الأقوال أن نبين للقارئ سقوط دعوى الإجماع حول شخصية البخــاري وكتاب صحيح البخاري، وأن الأسطورة التي تم نسجها بشكل خرافي حول شخصية البخاري وكتاب الجامع الصحيح ليست إلا كذبة، لاتعتمد على أي أساس علمي أو تاريخــي، وأن الاختلاف في كتاب صحيح البخاري، وشخصية البخــاري، بلغ مداه عبر كل القرون، وحكاية الإجماع هي أسطورة من الأساطير المؤسسة لتقديس البخاري وكتاب الجامع الصحيح، بدون الاستناد إلى أي حجة يمكن الوقوف عندها واحترامها، لأن كل ما يروى في هذا الباب، يستخف العقول والأفهــام بشكل مستفز، ويدعو في ذاته إلى تكذيبــه، والسخرية منه، سيما وأن الخرافات التــي عرضناها من كتب رجال الكهنوت واضحــة وجلية، ولا ينكرها سدنة التكفير والتفسيــق والتبديع من مقلدة القرن الواحد والعشرين، والغريب أنهــم يوردونها في معرضــ الاستدلال والمحاجة، وكأنهــا مسلم ومقطوع بها، وهي ليســت إلا أساطير الأولــين، والحديث عنها كالحديث عــن الغول والعنقاء والرخ.

بخاريات:

أردت أن أختم هذا الفصل بمجموعة من الأحاديث الواردة «في أصح كتاب بعد كتاب الله» – صحيح البخاري- ليقف القارئ على حجم الإساءة لديننا ولنبينا، الــواردة في هذا الكتاب، وحتى يعــرف من أين جاءنا الإرهــاب؟، ولماذا وصلت أمتنــا إلى ما وصلــت إليه؟، ويقف على الحقائق كما هي بــدون تزويق ولاتنميق، والبحــث عن المبررات، التــي تخدم صناعة الأسطورة ولــو على حساب الدين، ولنقــف حقا على ما جناه الجامــع الصحيح المنسوب للشيخ البخاري على الأمة، ولعــل العديد ممن يسمع ويتابــع الهالة التي تم صنعها زيفــا وتمويها وكذبا حول البخاري، سيصدم من هول المفاجاة، حينما سيكتشف حقيقة مجموعة كبيرة من الأحاديــث المسيئة للإسلام ولنبي الإسلام، بــل لرب العالمين داخل هذا الكتاب، والتــي لن نعرضها كلها، بل سنكتفــي بعرض نماذج منها فقط، نظنها كافية لكل محتار يبحث عن الحقيقة، ولاشيء غير الحقيقة.

1- الرسول يحاول الانتحار:

في "صحيــح البخــاري" برقم (6581) مــن كتاب "التعبير"، بــاب "أول ما بدئ بــه رســول الله صلى الله عليه وسلم مــن الوحي الرؤيا الصالحة" قَــالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْــبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهَــا أَنَّهَا قَالَتْ:... وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَــزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَــا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوفَــى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْــهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيــلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّــكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِــكَ جَأْشُهُ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ؛ فَإِذَا طَالَــتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ".

الحديث ورد أيضاً في أول كتاب من كتب صحيح البخاري، وهو يتهم الرسول

بمحاولــة الانتحــار، ومحاولة الانتحــار لا تنتج عــن إنسان ســوي، فهي نتيجة لاضطرابــات نفسية، فكيف يســوغ لإنسان مسلم أن يتهــم رسوله بهذا، ورغم المحاولــة التي قام بها ابن حجر العسقلاني وغيره لتبريــر رواية البخاري لبلاغ إقــدام الرسول على محاولات انتحار مرات عدة، معتــبرا أن الزيادة «فيما بلغنا» ومــا بعدها ليست من كلام عائشة بل هي زيادة للزهري، لكن رغم أن هذا تأويل مجــرد تأويل، فالكذب على رسول الله واضح من خــلال هاته الرواية الموجودة في صحيــح البخاري، لكن عباد الأسطورة لا يتورعون عن القول: «إن كل ما في صحيح البخاري صحيح»

2- الرسول البذيء:

6824 - حَدَّثَنَــا عَبْدُ اللَّه بْنُ مُحَمَّد الجُعْفــيُّ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرير، حَدَّثَنَا أَبي، قَالَ: سَمعْتُ يَعْلَى بْنَ حَكيم، عَنْ عكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أَتَى مَاعزُ بْنُ مَالك النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أو غَمَزْتَ، أو نَظَرْتَ» قَالَ: لاَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «أَنكْتَهَا». لاَ يَكْني، قَالَ: فَعنْدَ ذَلكَ أَمَرَ برَجْمه

هــذا الحديث في صحيــح البخاري يبرز أن الرســول كان بذيئا، وكان صلوات اللــه عليه ينطق بالكلام الفاحش، حيــث ورد في حديث آخر أنه قال لشخص « أعضض هن أبيك»، وفي حديث اخر «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن ابيه ولا تكنــوا» بل منسوب للرسول في صحيح البخاري أنه كان يسب المؤمنين كما في حديــث عن أبي هريرة «: (سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة) فإذا كان الله تعالى في محكم كتابــه يقــول في حق نبيه «وإنــك لعلى خلق عظيم» فالرســول كان أكثر الناس أدبــا، وأوفرهم خلقا، وأرقهم عفــة، وأكثرهم أناقة في اللفــظ والقول، لكن عباد الأساطير، يفضلون الإســاءة لرسولنا الكريم على أن يطعن في أسطورة صحيح البخــاري، ويقولون في تبجح غريب وقلة أدب لاتوصف بأن هذا حديث صحيح

والرسول قال هذا الكلام وأمر به، وأنا أفضل ألف مرة أن أنسب هذا الفحش لخطأ الراوي على أن أنسبه للرسول، وأحكم على الحديث بالوضع والتلفيق.

3- الرسول جاء بالذبح:

جـاء في صحيح البخاري معلقا حديث منسوب للرسول صلى الله عليه وسلم يقـول فيه: «لقـد جئتكم بالذبح»، ففـي الوقت الذي نقرأ ليل نهـار قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:107)، نجـد هاته الرواية التي تسير عكـس التيار، وتـبرز أن رسولنا كان دمويـا، وأنه جاء بالذبـح، ومن هنا جاءت داعشـ، وجاءت كل التصورات الإرهابيـة، من هذا الموروث الديني، الذي اتخذ قداسة أكبر من قداسة كتاب الله الداعي إلى المحبة والرحمة، فاستعاض الناس بهاته المرويات عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والغريـب أن عباد الأسطـورة حاولوا أن يبرروا هذا الحديـث حتى لا يخطئوا الـراوي، بأن المقصود به المشركين، ونسـوا أن الرسول أرسله الله رحمة للعالمين، لكل الناس بمختلف انتماءاتهم، واعتقاداتهم، ونسوا أن الرسول كان أرحم الناس بالمشركين والكفار، وكل المخالفين، وله مواقف كثيرة معهم، فكيف ينسب إليه أنه يقول «لقد جئتكم بالذبح»، لكن ماذا يمكن أن يقال بعد أن وجدنا في المسلمين من يؤمن بأن رسول الله فعلا قال هذا الكلام.

4- الرسول يكره الناس ليكونوا مؤمنين:

روي البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلَه إلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إلَا بِحَقِّ الإسلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهَ تعالى".

وهاتـه إساءة أخرى لرسولنا الأعظم، لأنه محال أن يخالف أمر الله له في كتابه الكريم، في العديد من الآيات نورد بعضا منها، فقد قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99)

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (البقرة256)

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. (الكهف: 29)

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(21)لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ(22)إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ(23)فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ(24)إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾ (الغاشية)

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾(ق:45).

كل هاته الآيات الواضحة تبين لنا أن الإسلام دين يدعو إلى الاختيار، في أمور العقيدة، لا إلى الجبر، فمتى أمر الله نبيه بقتال الناس من أجل عقائدهم؟ لكن عباد الأصنام التراثية، لا يتورعون عن أن ينسبوا هذا الكلام الإرهابي لرسول المحبة والرحمة، ويتساءل العديد من الناس: لماذا هاته الإساءة للرسول من طرف غربيين؟، والحقيقة التي لا يعرفونها أن هاته الإساءات أجمعها مأخوذة من مثل هاته الكتب التي يقال عنها بأنها أصح الكتب، وأن كل ما فيها صحيح لا غبار عليه.

ومن الأحاديث الداعية إلى الكراهية والإكراه في الدين ما ورد في صحيح البخاري باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة: «6526 حدثنا

يحيـى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد اللـه بن عتبة أن أبا هريـرة قال لما توفى النبي صلى اللـه عليه وسلم واستخلف أبـو بكر وكفر من كفـر من العرب قال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمـن قال لا إلـه إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقـه وحسابه على الله قال أبـو بكر والله لأقاتلن من فرق بـين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونهـا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعهـا قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيـت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق».

إن هاتـه المرويـات يستحيل الجمع بينها وبين أمر اللـه البين الواضح الجلي في كتابه بأن لا يكـره الناس على اعتناق العقيدة بل الأصل فيها الاختيار لا الجبر، لكن من يسمع مادام صحيح البخاري قد قال؟!

5- الرسول يسحر فيهذي:

ورد في صحيـح البخاري تحت رقم 5433 حَدَّثَنَا عُبَيْـدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَـنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "سُحِـرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّـى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ ثُمَّ قَالَ أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ قُلْتُ وَمَـا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ جَـاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْـدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْـدَ رِجْلَـيَّ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَـالَ مَطْبُوبٌ قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْـنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ قَالَ فِيمَا ذَا قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُـفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بِئْـرِ ذِي أَرْوَانَ قَالَ فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبِئْـرِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَـا نَخْلٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَـالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَـكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ

قُلْـتُ يَا رَسُولَ اللَّه أَفَأَخْرَجْتَهُ قَالَ لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ وَشَفَانِي وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ".

وقد عقب ابن حجر العسقلاني في فتح الباري تعليقا على هذا الحديث بقوله: "ثم ذكر المصنف في الباب سبعة وعشرين حديثا الأول حديث عائشة قالت: "سحر النبي صلى الله عليه وسلم" الحديث، وسيأتي شرحه في كتاب الطب، ووجه إيراده هنا من جهة أن السحر إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك، وسيأتي إيضاح ذلك هناك، وقد أشكل ذلك على بعض الشراح". بمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس من المخلصين، فقد قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر:40) وهاته إساءة بالغة لنبينا عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم.

وبالإضافة إلى هاته الإساءة فهذا الحديث يخالف جملة وتفصيلا عصمة الرسول وحفظ الله له، كما يخالف قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الإسراء:47)

فالله ينفي عن نبيه أنه سحر، ويقول عمن يقول بأن الرسول مسحور بأنه ظالم، بل وصلت بهؤلاء وقاحتهم أن اعتقدوا أن رسول الله كان يتخيل أنه يقوم بالعمل وهو لم يقم به، فهو كان يتوهم –حاشاه- أنه يجامع نساءه رغم أنه لم يقم بذلك، وذلك من الهذيان، وهاته الإساءة من الإساءات التي لم يتورع من ألف هذا الكتاب عن تدوينها فيه، لكن مادام هذا الحديث في صحيح البخاري فلا يمكن تكذيبه، وأن من يعتقد بما في القرآن وينفي عن الرسول بأنه سحر، وينكر هذا الحديث المسيء لنبينا فهو كافر بفتوى شيوخ الوهابية، كما أوردنا نقلا عنهم في هذا الكتاب.

6- الرسول يصلي بدون وضوء

ورد في كتاب الأذان من صحيح البخاري، 660 «حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "نِمْتُ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ عَلَى يَسَارِهِ فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ"، قَالَ عَمْرٌو: فَحَدَّثْتُ بِهِ بُكَيْرًا ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي كُرَيْبٌ بِذَلِكَ».

وهاته إساءة أخرى تبرز أن رسولنا الكريم الطاهر، ينهض للصلاة بعد نوم عميق، ليصلي بدون وضوء، وهو الشيء الذي يستحيل في حق نبينا، والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا، أن النوم من نواقض الوضوء، فكيف يخالف الرسول أمرا هو من جاء به، وهو من أمر به، لكن العقول تتوقف، واحترام الرسول يتوقف عندما يتعلق الأمر برواية من روايات الكتاب المقدس «صحيح البخاري»

7- الرسول يختلي بامرأة متزوجة وينام عندها وهي تفلي رأسه من القمل:

في كتاب الجهاد والسير من صحيح البخاري جاء في الحديث رقم 2636 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ شَكَّ إِسْحَاقُ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا رَسُولُ

اللَّــه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ثُــمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُــوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحَــكُكَ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ نَاسٌ منْ أُمَّتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبِيلِ اللَّه كَمَا قَــالَ في الأول قَالَتْ فَقُلْتُ يَــا رَسُولَ اللَّه ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني منْهُمْ قَالَ أَنْتَ منْ الأولــينَ فَرَكبَتْ الْبَحْرَ في زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِــي سُفْيَانَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ منْ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ»

لا يستطيــع مسلم نقي الفطرة، سليم العقــل، يحترم دينه ونبيه، أن يصدق بأن رسولــه الكريم صلى اللــه عليه وسلم، يدخل على امرأة أجنبية عنه ويختلي بها في غيبــة من زوجهــا، وينام عندها، وتقوم هي بفلي رأســه، والفلي يعني تنظيف الرأســ من القمــل، أي أن رسول الله –حاشاه- كان قــذرا، وغير نظيف، ورأسه مليء بالقمل، لا يستطيع مسلم واضح الإسلام أن يقبل على رسوله هذا الكلام، لكــن شيوخ التعصــب للموروث الديني، الــذي نتج عن تقديســ الرجال، ولو علــى حساب الدين نفسه، يصدقون هذا على نبيهــم، ويظنون فعلا أنه قام بهذا العمــل الشنيع، ونحن نقول كلا وألف كلا، رسولنا أسمى من هاته الترهات، التي تنتقصــ من قيمــة أشرف خلق الله، وما ورد في صحيــح البخاري محض كذب على الرسول، واستخفاف بالعقول.

8- الشيطان يطعن رسول الله عند ولادته

وفي صحيــح البخــاري أيضا من كتــاب بدء الخلق باب صفــة إبليس وجنوده حديث رقم 3286 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَان، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَاد، عَنِ الأَعْرَج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ «كُلُّ بَني آدَمَ يَطْعُــنُ الشَّيْطَانُ في جَنْبَيْه بِإِصْبَعِه حِينَ يُولَــدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ في الحِجَابِ».

هــذا الحديث في صحيح البخــاري يعتبر من الطوام الكــبرى المسيئة للرسول ولدينــه، فهو يؤكد عصمة رسول اللــه عيسى بن مريم عليهما السلام، كما يؤكد

على عدم عصمة نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالله هنا لم يستثن مــن طعن الشيطان في الجنبين من كل خلقــه إلا عيسى بن مريم، ورسولنا داخل في عموم أولئك الذين مسهم الشيطان، بل ورد في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: "واذكــر في الكتاب مريم..." مــا يلي: "قال أبو هريرة ـ رضــى الله عنه ـ: سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من بنــي آدم مولود إلا يمسه الشيطان حــين يولد، فيستهــل صارخًا من مس الشيطــان غير مريم وابنها. ثــم يقول أبو هريــرة: وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم". فهذا الحديث يلحق مريم وابنهــا عيسى عليهما السلام بزمرة مــن لا يمسهم الشيطان، بينما رسولنا الكريم كباقي البشر قد مسهم الشيطان، وهذا تطاول على نبينا ما بعده تطاول، وتفضيل مــريم الصديقــة ورسول الله عيسى بن مريم على نبــي الإسلام، وهذا غيض من فيضــ التنقيص في حق الرسول، فهل بعد هذا يمكن الحديث عما فعله الآخرون مــن إساءة لنبينا في عصرنا، وأندهش أيما اندهاشــ عندما انبرى هؤلاء الشيوخ المقدسون لصحيح البخاري للدفاع عن الرسول ضد كاريكاتير الدنمارك المسيء للنبــي، وضد صحيفة شــارلي أيبدو الفرنسية المسيئة لنبينــا، ولم ينبس أحدهم ببنــت شفة، إزاء هاته الإساءات التــي اعتبرها أشد وأنكى ضد نبينا، في صحيح البخــاري، ذلك لأن هؤلاء الشيوخ يعتبرون ضمنيا أن قداسة هذا الكتاب أقدس من الرسول نفسه مع كامل الأسف.

9- الشيطان يعلم الدين والرسول يقر على التعلم منه

في كتــاب الوكالة من صحيح البخاري بــاب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل "وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الهَيْثَمِ أَبُوعَمْرٍو حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ مَحَمّد بْنِ سيرينَ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَني رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بحفْظ زَكَاة رَمَضَانَ فَأَتَاني آت فَجَعَلَ يحْثُو منَ الطَّعَام فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللهَ لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُــول الله صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ إني محْتَاجٌ وَعَلَيّ عيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَديدَةٌ قَــالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النّبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَل

أَسيرُكَ البَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله شَكَا حَاجَةً شَديدَةً وَعيَالا فَرَحمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبيلَـهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَـدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُـودُ لِقَوْلِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو منَ الطَّعَام فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ دَعْني فَإني محْتَاجٌ وَعَلَيَّ عيَالٌ لا أَعُودُ، فَرَحمْتُـهُ فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لي رَسُولُ اللـه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَا أَبَـا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُـولَ الله شَكَا حَاجَةً شَديدَةً وَعيَالاً فَرَحمْتُهُ فَخَلَّيْـتُ سَبيلَهُ قَالَ أَمَـا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَـكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالثَـةَ فَجَاءَ يَحْثُو منَ الطَّعَام فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُول الله وَهَذَا آخرُ ثَلاث مَرَّات أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُـودُ ثمّ تَعُودُ قَالَ دَعْني أُعَلّمْـكَ كَلمَات يَنْفَعُكَ اللهُ بهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إذَا أَوَيْتَ إلى فرَاشكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسيّ اللهُ لاَ إِلَهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ حَتى تَخْتمَ الآيَة فَإنَّكَ لَـنْ يَزَالَ عَلَيْكَ منَ الله حَافـظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصْبحَ فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لي رَسُولُ اللَه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسيرُكَ البَارحَةَ قُلْتُ يَـا رَسُولَ الله زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلّمُنـى كَلمَات يَنْفَعُني اللهُ بهَا فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ قَالَ مَا هيَ قُلْـتُ قَالَ لي إذَا أَوَيْتَ إلى فرَاشكَ فَاقْـرَأْ آيَةَ الْكُرْسيّ منْ أولهَا حَتي تَخْتمَ الآيَة اللـهُ لا إلَـهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، وَقَالَ لي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ منَ اللَه حَافظٌ وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَـانٌ حَتى تُصْبحَ وَكَانُوا أَحْرَصَـ شَيء عَلَى الخَيْر فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَمَا إنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطبُ مُنْذُ ثَلاث لَيَال يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لا، قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ"

لإظهار الطوام الكبرى التي في هذا الحديث الوارد في صحيح البخاري نحتاج إلى صفحـات كثـيرة لكن نكتفي بذكر بعضها، فهذا الحديـث يبرز أن أبا هريرة ضبـط حالة سرقة، وسامح السارق بدون موجب حق، وكأنه كان يسرق من ماله في حين هي أموال المسلمين، فالواجب تقديمه إلى الرسول ليحاكمه، وتتكرر عملية السرقـة مرات، ويعمل أبا هريرة على إطلاق سراح السارق، بل حتى الرسول لم يعتب على أبي هريرة، عندما ضبط السارق وسامحه، رغم معرفة الرسول المسبقة

بأن السارق كذاب وسيعود للسرقة !!

لكن الأغرب في هذا أن أبا هريرة صدق السارق بأنه لن يعود رغم أن الرسول سبق أن أخبره بأنه كذاب وسيعود للسرقة، لكن في المرة الثالثة يقوم السارق الذي ليس إلا شيطانا بتعليم أبي هريرة أمرا من أمور الدين وذلك في نص الحديث الذي يقول: «قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَات يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ حَتى تَخْتِمَ الآيَةِ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ» وفعلا يتم إخلاء سبيله من طرف الصحابي، لكن الأنكى من ذلك هو ما نسب للرسول في نهاية الحديث بأن من علم أمراً من أمور الدين للصحابي هو شيطان، وأقر الرسول تعليمه وصادق عليه، وهاته عجيبة من عجائب صحيح البخاري التي تسيل الدماء دون إنكار حديث من أحاديثه.

وقد علق على هذا الكاتب إسلام بحيري في مقالة له نشرت على موقع اليوم السابع جاء فيها: «أما الطامة الكبرى فإفصاح النص عن إقرار النبي لهذه الكلمات التى علمها السارق -الذى سيتضح فى النهاية أنه شيطان- للصحابي، وذلك بقوله: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ» ثم يفصح النص عن المفاجأة: «تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاث لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ»»، وهذا ما يدخلنا فى إشكاليات لا حصر لها، أولها أن الرسول أقر السارق على قول قاله في الدين لم يعلمه رسول الله، فلو كان يعلمه لكان أولى بقوله من السارق -أو من الشيطان-، وثانيها أن الشيطان هو الذي يعلم المسلمين القرآن وفضائله، بل يقره النبي على ذلك، وثالثها أن الشيطان يحفظ القرآن جيدا، ويعرف بدايات الآيات ونهايتها بدقة، وغير هذا من الخرافات التي لا يقبلها عقل ولا شرع، والغريب أن مقدسي الخرافات وشارحيها قد أكدوا أن في ذلك فائدة مهمة من الحديث وهي أن الكافر يؤخذ منه الحق، وقد قاسوا الكافر بالشيطان وهو قياس فاسد باطل لا داعي لشرح عواره، بل الشيطان لا يعلمنا الإسلام ولا يقره النبي

علــى علمه، ولنذكــر جيدا أننا ترخصنا مع هذه الخرافــة التي تدعي أن الشيطان يتصــور بالإنســان ويكلمه فقط لتبيــين العلل الفاسدة فى النصــ وإلا فإن هذا الادعــاء بأن الشياطــين تتمثل كبشر هو علة فى ذاته نرد بهــا هذا الحديث كلية، والحقيقة أن الذهول والعجب يتملكنا، كيف أخرج البخارى هذه الخرافات؟ وكيف لم يردها عليه كل الشراح والنقاد؟ بل كيف دافعوا ونافحوا عن ضلالاتها؟ بل إننا نستطيع أن نستبين فحش الكذب في الرواية من خلال استقراء بسيط لمكانة «آية الكرسى» منذ نزلت فــى أوائل الهجرة للمدينة، وذلك بأحاديث صحيحة علمها للمسلمين سيد الخلق المنزل عليه القرآن.»

ويضيــف إســلام: «وأخيرا فقد أبى من دســ هذه الخرافــة أن يختمها إلا بعلة قادحــة فى الحديث، فباستقراء الحديث نجــد أن به إدراج -كلام من الرواة- ليس من أصله، وهناك اضطراب ظاهر شديد فيه، فيقول النص: «وَكَانُواْ أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَــى الخَيْرِ»، فالمفترض هنا أن يقــول الصحابى «وكنا أحرص الناس» ولا يقولُ «وكانوا»، وهو ما أشار له «ابن حجر» على استحياء فى «فتح البارى» ولم يعقب على هذا الإدراج الظاهر إلا بقول هامس لم يتوقف فيه، وذلك من التكلف الشديد فى الدفاع عن هذا الحديث الواهي الذى أخرجه البخاري».

نكتفي بهاته النماذج لطالب الحق، فهي تكفيه إن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد، قبل أن ننتقل إلى الفصل الأخير من هذا الكتاب لمناقشة مدى أصالة هذا الكتاب وما علاقته بالشيخ البخاري الذي نيب إليه لنقف على هاته الحقيقة أيضا كي ندق في نعش صحيح البخاري آخر مسمار.

الفصل الخامس: من ألف صحيح البخاري؟

- » النسخة الأصلية لصحيح البخاري
- » نسخة منجانا
- » صحيح البخاري والتلاميذ
- » صحيح البخاري والحافظ بن حجر العسقلاني
- » اختلاف نسخ صحيح البخاري
- » من ألف صحيح البخاري؟

النسخة الأصلية لصحيح البخاري

بعد أن بينا خـلال الفصلين السابقين حقيقة أسطورة البخاري، المرتبطة أساسا بكتـاب الجامـع الصحيـح، وخضنا جـولات لإسقاطها، بعد عرضنـا لخطوطها العريضـة، وسبرنا لغـور مضامينها، ورأينا كيف أن هاتـه الأسطورة لا تستطيع أن تصمـد أمام كم الحقائق المفنـدة والناسفة لها، فهي أوهن من بيت العنكبوت، وأضعـف مـن أن تصمد مع أول دليل مناوئ لهـا، وأول حجة في مواجهتها، بعد هـذا كله، يكون من حقنـا أن نتسـاءل، ونسائل هؤلاء الشيـوخ حول النسخة الأصلية لصحيح البخاري، كما خطها الشيخ محمد بن إسماعيل البخاري، فإذا كان لدينـا الآن هذا الكتاب الذي يطلق عليه «الجامع الصحيح للبخاري» اختار لاسمه الأصلي «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه» وهـو- كما أثبتنا – مليء بالطوام الكبرى، والخرافات الجسيمـة والإسـاءات البالغة للدين وللرسول ولرب العـزة وللإنسان وللحيوان أيضا، فمن حقنا نحن أن نقف على مدى أصالة هذا الكتاب، لنعرف ماهي العلاقة التـي تجمع بين محمد بن إسماعيل البخاري وهذا الكتاب الذي يحمل اسمه؟ من حقنـا أن نسائل هؤلاء الذيـن يشبعون صحيح البخاري مديحـا، وثناء، بشكل يرفعـه إلى أعلى عليـين، ويرفع الشيخ البخاري معـه إلى أعلى من ذلك وأسنى، لذلـك نحن نريـد المخطوطة الأصلية لصحيح البخاري كمـا خطتها يمين الشيخ البخاري.

وهذا تحد رفعناه مرات عدة قبل خمس سنوات، ولا زلنا نرفعه إلى الآن، نتحدى هـؤلاء الشيوخ المداحـين، أن يقدموا لنا المخطوطة الأصليـة التي خطها الشيخ البخـاري عندما كان يؤلف كتابه الجامع الصحيـح، فكل النقول التي وردت عن أعلام "علم" الحديث والمؤرخين الذي تشبعوا بسيرة محمد بن إسماعيل البخاري أكدوا أنه ألف كتابه تأليفا بخط يده، وأنه ترك نسخة لمن بعده عند تلميذه الفربري،

ونحـــن نسائلهم أن يدلونا على هاته المخطوطة، أين هي الآن؟ أين توجد؟ في أية مكتبــة أو متحف، هي راقدة، أو محنطة، أو مخزنــة؟ لكن صدقوني.... لا أحد من هــؤلاء الشيوخ يعرف، لكن الحقيقة التــي يريدون إخفاءها، ونحن نعمل عبر هذا الكتاب اليوم علــى إظهارها، وهي أنه لا يوجد في العالم أجمع مخطوطة واحدة، بخط محمد بن إسماعيل البخاري، لصحيح البخاري!

نطــرح السؤال ويــزداد إلحاحنا في طرح الســؤال، سيما إذا علمنــا أن الشيخ البخــاري ذو أصل فارســي، فاللغة العربية ليست لغتــه الأصلية، وكل المؤرخين والحفــاظ والمحدثين والمترجمين وكتــاب السير، لم يتحدثوا لنــا ضمن أسطورة البخــاري، عن متى وكيف تعلم اللغة العربية، بل جملة ما تحدثوا عنه، هو شروعه في حفظ الحديث وهو صبي صغير لم يتجاوز العشر سنين.

وحتى نوفر العناء على هــؤلاء الشيوخ لأننا نعرف مسبقا عجزهم عن الإجابة، فقد حاولنا البحث نيابة عنهم، عن المخطوطة الأصلية لصحيح البخاري، فوجدنا عرضــا مفصلا لإبراهيم اليحيى مفهرس مخطوطات في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، يقدم لنا من خلاله النسخ التي يسميها «أصلية « لكتاب الجامع الصحيــح، حيث قام بنشر هذا العرض على موقع أهل الحديث، وهو موقع سلفي مدافــع عن الحديث و«علومه» ويستميت هــذا الموقع في الدفاع عن كتاب الجامع الصحيــح للبخــاري، وسننقل العرض المفصل للائحــة المخطوطات «الأصلية» لصحيح البخاري بمكتبة الملك عبد العزيز العامة، ثم بعد نقل هذا العرض سنعقب عليه، قال المؤرشف تحت عنوان:

بيــان بالنسخ الأصليــة للجامع الصحيح للبخاري المحفوظــة بمكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض:

ترتيب النُّسخ حسب تسلسل أرقام الحفظ:

وقــد وضعت جدولا بذلك حقوله من اليمــين م: أي الرقم المسلسل، الحفظ: أي رقــم الحفظ عندنــا، تاريخ النسخ: إما منصوص عليــه أو مقدر، الجزء: أي وصف لحالة التمام والنقص، والحقل الأخير للملاحظات.

م	الحفظ	تاريخ النسخ	الجزء	ملاحظات
1	13	ق10	-	قطعة منه مغربي
2	10	ق11	-	قطعة منه مغربي
3	20	ق 12	ج10/ج9	مغربي
4	114	ق 11	ج16	مغربي
5	119	ق 12	ج 23	مغربي
6	148	ق13	ج 5	مغربي
7	168	ق 12	-	قطعة منه مغربي
8	169	ق 12	-	قطعة منه مغربي
9	182	ق 12	ج 3	مغربي
10	290	ق12 هـ	-	الربع الثاني
11	1217	ق12 هـ	ج 1	-
12	1279	ق12	ج 1	-
13	1473	ق 11	ج 1	-
14	1520	ق11	ج7	-
15	1698	ق 12هـ	-	من المغازي إلى الأخير
16	1696	ق12	-	قطعه منه
17	-	ق11	-	من المغازي إلى الأخير
18	1940	ق12هـ	ج1	أحمد رزق
19	1941	1280هـ	ج2	أحمد رزق
20	1942	1280هـ	ج3	أحمد رزق
21	1943	1280هـ	ج4	أحمد رزق
22	1952	1124هـ	ج17	محمد شريف

م	الحفظ	تاريخ النسخ	الجزء	ملاحظات
23	2362	ق13	-	كاملة
24	2427	ق11	-	كاملة
25	2673	1063 هـ	ج1	-
26	2756	928هـ	ج16 إلى الأخير	تحذف البيانات والملاحظات
27	2828	ق13	ج2	تحذف البيانات والملاحظات
28	2963	1185هـ	ج25من 30	-
29	2964	1186هـ	ج25من 30	-
30	2965	1186هـ	ج22	-
31	2966	1185هـ	ج24	-
32	2967	1185 هـ	ج17	-
33	2968	1185هـ	ج14	-
34	2969	1185هـ	ج13	-
35	2970	1185هـ	ج15	-
36	3335	ق12	ج2	-
37	3395	ق9	-	قطعة منه
38	3586	ق 12	-	الأخير منه
39	3616	1074 هـ	-	الأخير منه
40	3662	ق12	ج 14	-
41	3671	ق9	ج3	-
42	3892	ق8	ج1	فرع اليونينية

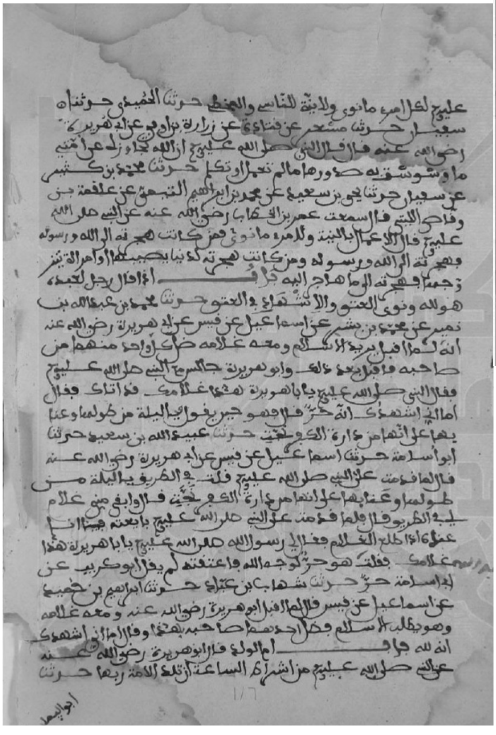
م	الحفظ	تاريخ النسخ	الجزء	ملاحظات
43	4025	ق12	-	قطعة منه مغربي
44	4037	1276هـ	ج3	-
45	4038	1277هـ	ج4	-
46	4049	ق13	ج2	-
47	4129	ق9	-	قطعة منه
48	4130	-	1 و ج2	نجدي
49	4179	ق12	ج1	فاتحة مطبوعة
50	4182	853 هـ	ج6	من عشرة تعديل الجزء والناسخ
51	4241	1096 هـ	الأجزاء كاملة	عائلة ناسخة
52	4331	ق12	قطعة من ج8	مغربي
54	1303	هـ	ج4	وهو الأخير
55	4445	893هـ	الربع الأول	تعديل
56	4634	874هـ	ج3	-
57	4635	874هـ	ج4	-
58	4637	ق11	-	قطعة منه
59	4641	789هـ	ج6	-
60	4642	ق9	ج8من 10	خزائنية
61	4644	852 هـ	-	من التفسير إلى الأخير ناقص الأول
62	4645	870هـ	ج7 و8	-

م	الحفظ	تاريخ النسخ	الجزء	ملاحظات
63	4648	848هـ	ج4	خزائنية
64	4649	881هـ	ج1و2	مقابلة بنسخ
65	4651	ق9	ج4و5	قراءة
66	4652	ق9	ج6	تعديل الناسخ
67	4653	ق11	-	قطعة منه
68	4654	ق9	-	قطعة منه متممة لأخرى سابقة

أرقام الحفظ التسلسلية أعلاه بيانات الفهرسة وصور أول وآخر النسخة:

» **رقم الحفظ:** 13

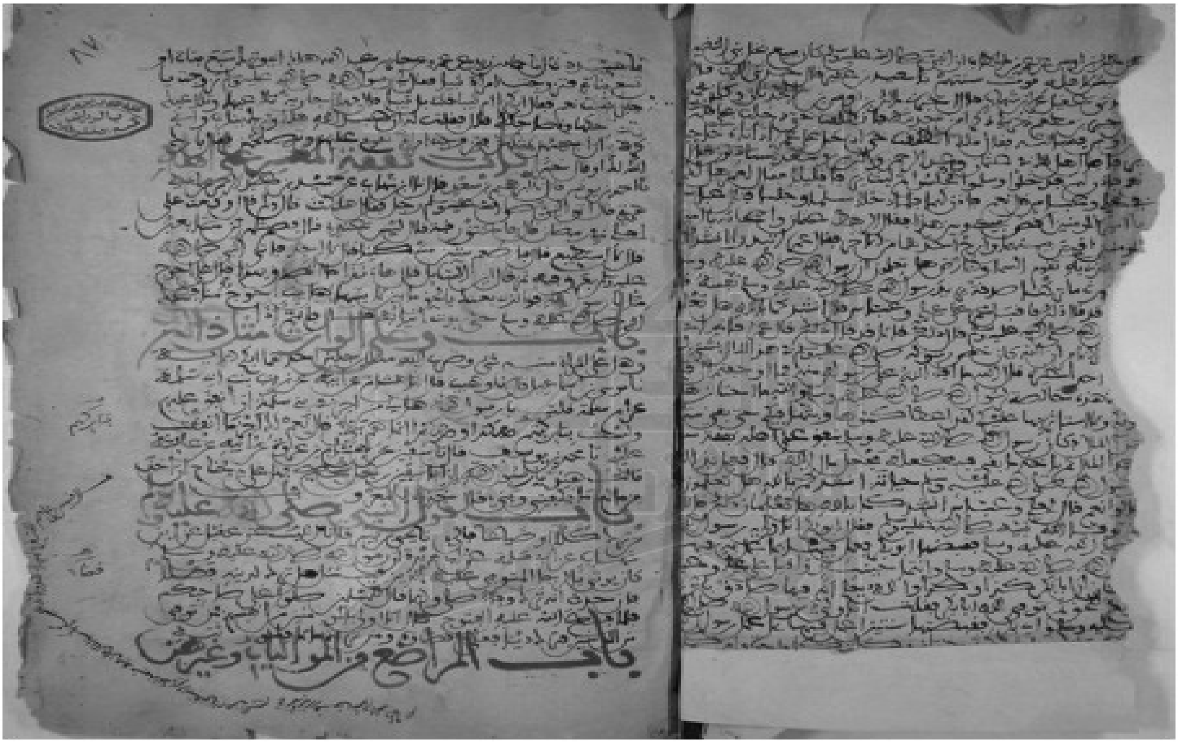


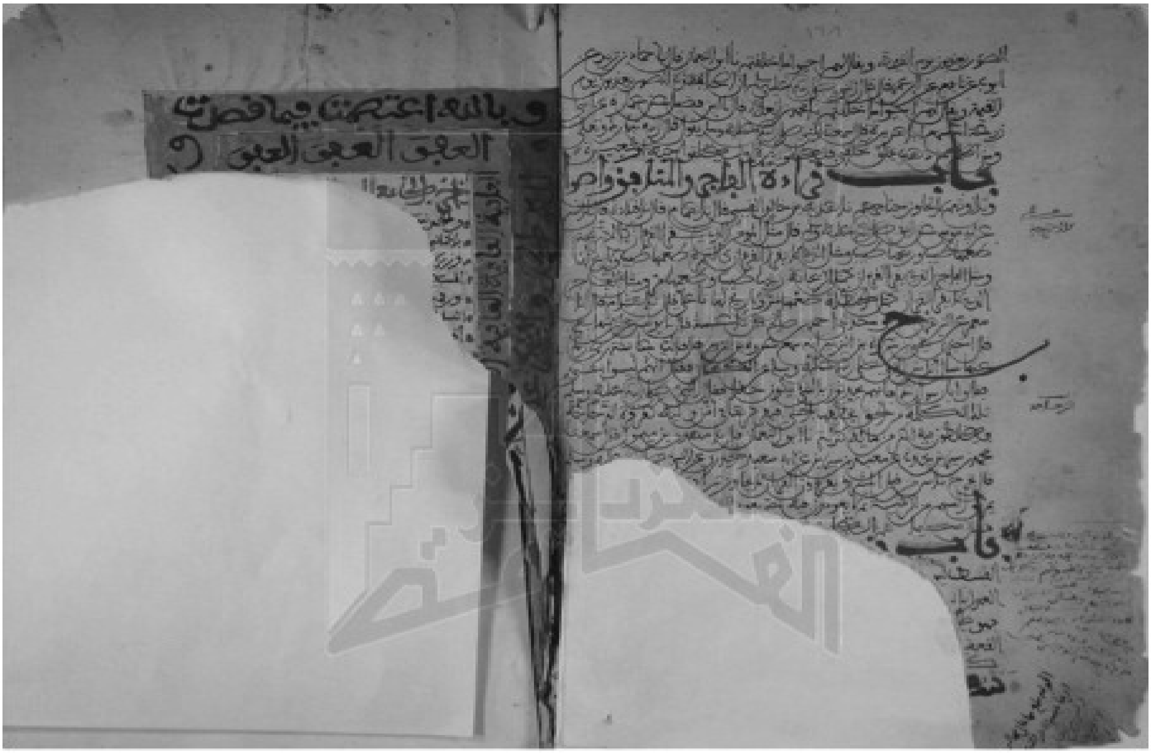


الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870م
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 10هـ / 16م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 112ق
عدد الأسطر: 27س
بداية المخطوط:
أنثى، فإذا بلغت ستاً وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى، فإذا بلغت ستاً وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الجمل، فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة... باب لا تؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس إلا ما شاء المصدق...
نهاية المخطوط:
....باب أم الولد. قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم: "من أشراط الساعة أن تلد الأمة ربّتها". حدثنا أبو اليمان.
المراجع:
الإعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع

بيانات أخرى:
النسخة عبارة عن قطعة من الكتاب مبتورة الأول والآخر: تبدأ من أثناء كتاب الزكاة وتنتهي في أثناء كتاب الشركة، كتب سائر النص بالمداد الأسود وكتبت رؤوس الكتب والأبواب وعناوينها بالمداد الأحمر.

» **رقم الحفظ:** 16



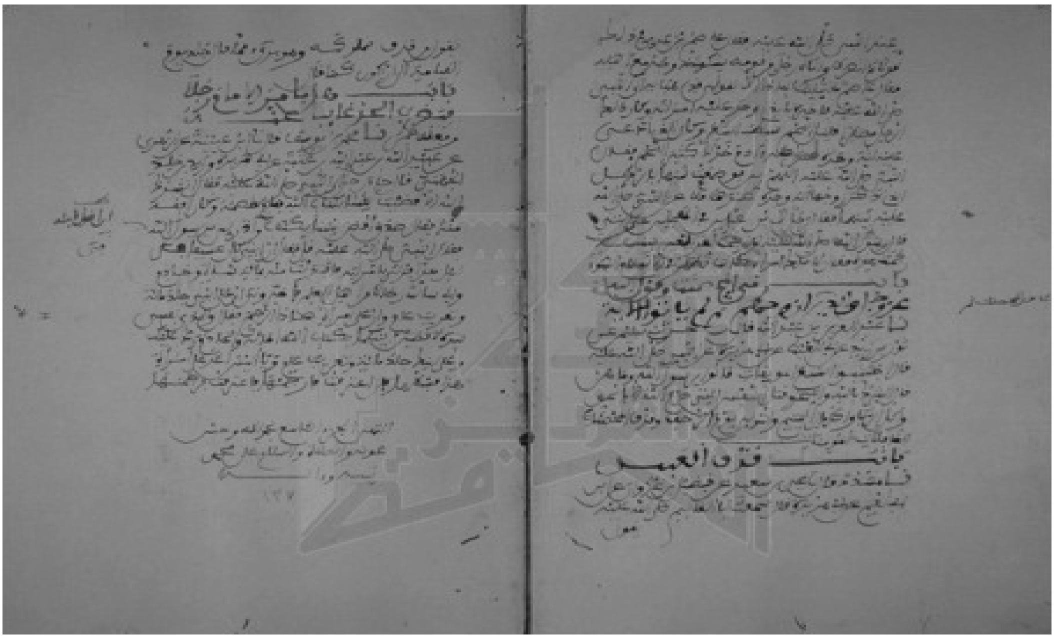


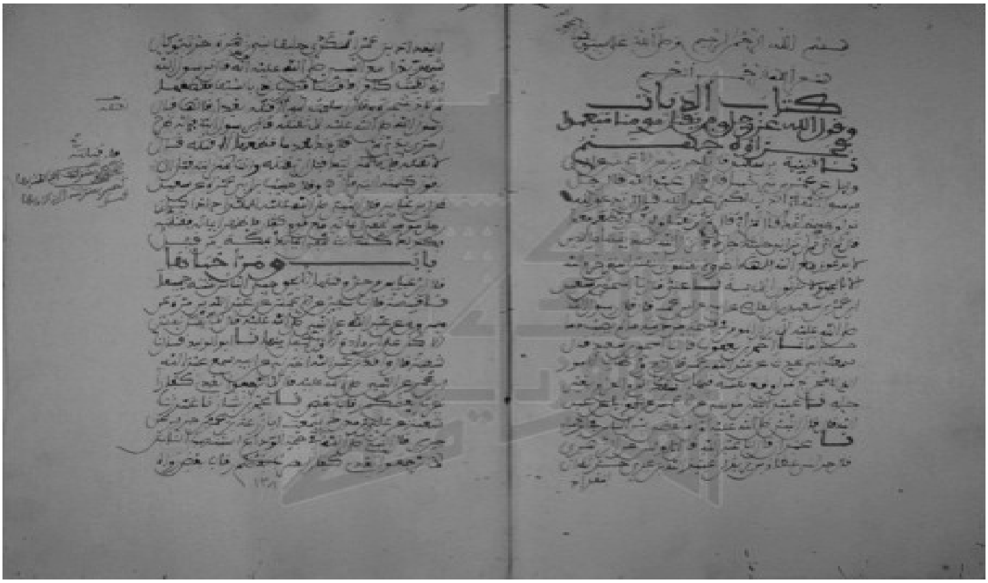
الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح (جزء منه)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ/ 867م
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 11هـ/ 17م تقديراً
نوع الخط: مغربي

عدد الأوراق: 198ق
المقاس: 29½×18½سم
عدد الأسطر: 29س
بداية المخطوط:
كتاب النفقات فضل النفقة على.. وقول الله عز وجل ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو...[المخطوط ناقص الأول ولم أجد هذه البداية فيه ولعل الصواب: باب نفقة المعسر على أهله)
نهاية المخطوط:
...باب قول الله عز وجل والله خلقكم وما تعملون إنا كل شيء خلقناه بقدر... باب قراءة الفاجر والمنافق وأحوالهم...
المراجع:
الإعلام 6/ 34، مركز الملك فيصل (خزانة التراث)، كشف الظنون 541/1، الورد 1146، الأزهرية 1/ 439
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 1/ 535
بيانات أخرى:
نسخة ناقصة الأول والآخر، كتبت بمداد أسود والأبواب بالحمرة، عليها تعاليق وتصحيحات وتعقيبات، وسماع سنة 1009، وهي جزء من رواية أبي ذر الهروي عن شيوخه الثلاث.

» **رقم الحفظ:** 20









الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح (ج 10/9)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ/ 867م
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 256ق
المقاس: 29½×21سم
عدد الأسطر: 22س
بداية المخطوط:

كتاب الأدب باب قول الله عز وجل: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا﴾ أبو الوليد قال نا شعبة قال الوليد... أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة على وقتها قال ثم أي قال بر الوالدين...
نهاية المخطوط:

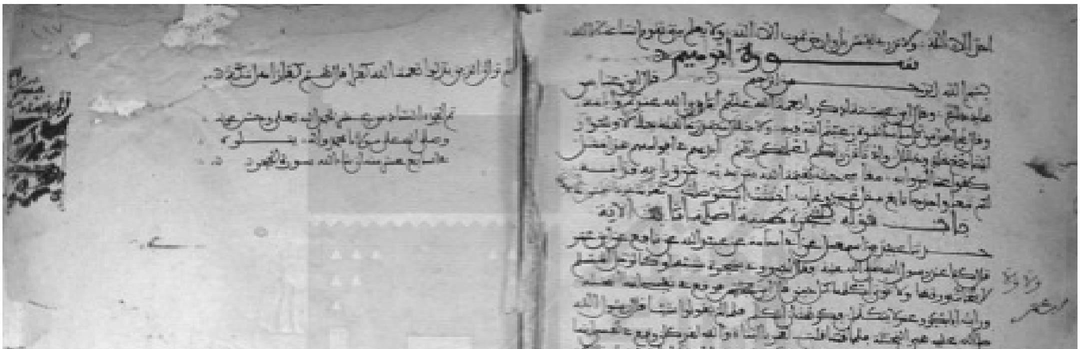
...باب قول الله: ﴿نضع الموازين القسط ليوم القيامة...﴾
المراجع:
الإعلام 34/6، مركز الملك فيصل (خزانة التراث)، كشف الظنون 541/1، الورد 114/6، الأزهرية 439/1
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 535/1

بيانات أخرى:
نسخة تامة، كتبت بمداد أسود والأبواب بالأحمر وبعض الكلمات بالأخضر، ينتهي الجزء التاسع عند الصفحة (137) ثم يليه العاشر مبدوءا بكتاب الديات.

» **رقم الحفظ:** 114







الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح (قطعة منه)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ/ 870م
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 11هـ / 17 م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 117 ق
المقاس: 28 × 20 سم
عدد الأسطر: 24 س
بداية المخطوط:
مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حدثنا حفص بن عمر.....
نهاية المخطوط:
... ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً قال هم كفار أهل مكة....
المراجع:
كشف الظنون 1/ 541
الأعلام 6/ 34
معجم المؤلفين 9/ 52
بروكلمان الترجمة العربية 3/ 165 - 167
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 1/ 535 - 536

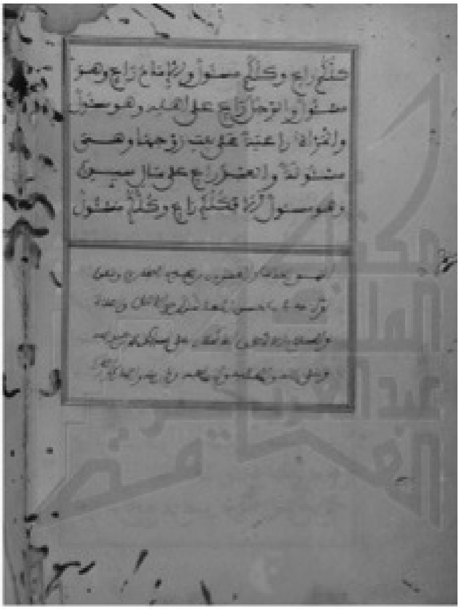
بيانات أخرى:

كتب النص بمداد أسود مع استعمال المداد الأحمر والنص مشكول، وتمت تجزئة الكتاب من الثاني عشر إلى الجزء السادس عشر، كل جزء يمثل كراسة.

» **رقم الحفظ:** 119







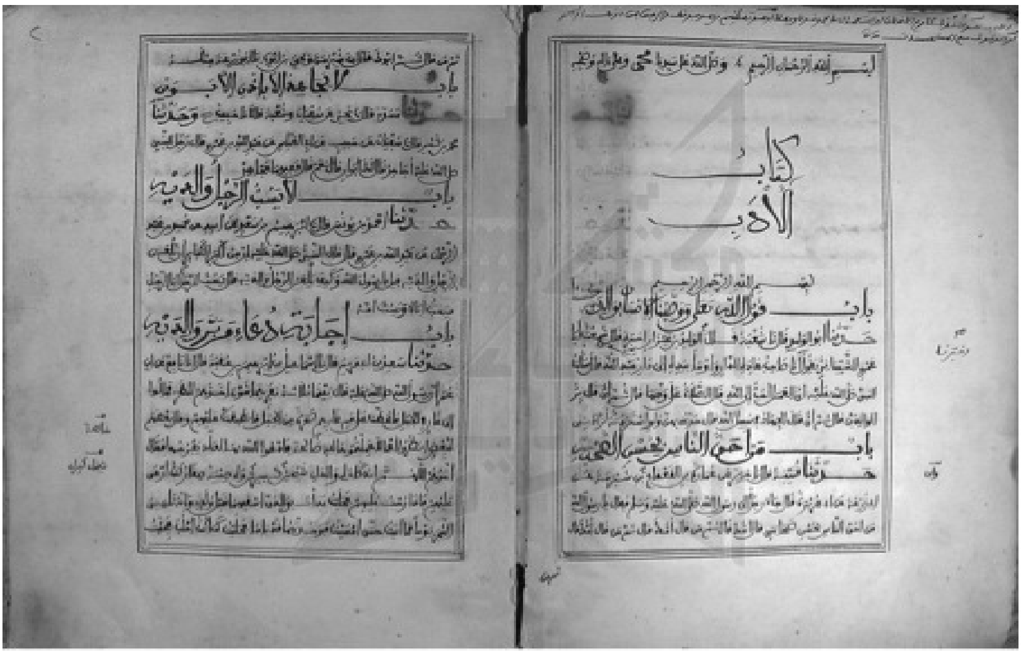
الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح ج23
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ - 870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 71ق

المقاس: 15،5×21،5سم
عدد الأسطر: 14س
بداية المخطوط:
كتاب فضائل القرآن باب كيف نزول الوحي، وأول ما نزل قال ابن عباس....
نهاية المخطوط:
والعبد راع على مال سيده وهو مسئول... فكلكم راع وكلكم مسئول..
المراجع:
كشف الظنون 1/ 541 ؛ بروكلمان ـ الترجمة العربية 3/ 165 ـ 167؛ الأعلام 6/34؛ معجم المؤلفين 9 / 52
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 1 / 535 ـ 536...
بيانات أخرى:
كتب النص داخل جدولة بمداد أحمر وأزرق وقد زينت بداية المخطوطة بمستطيل مذهب ومزخرف وشكل هندسي مزخرف في حاشية الصفحة الأولى من النص كتب فيه عنوان بداية الكتاب.

» **رقم الحفظ:** 148







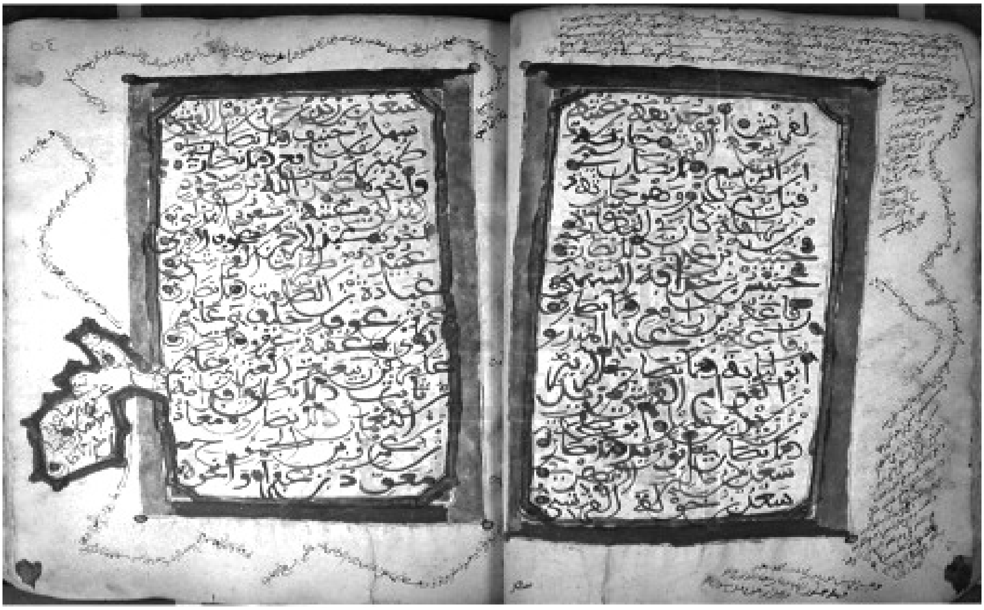
الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح ج5
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق13هـ / 19م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 33
المقاس: 22×18سم
عدد الأسطر: 18س
بداية المخطوط:
كتاب الأدب باب قول الله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حدثنا أبو الوليد...
نهاية المخطوط:
... كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم كمل الجامع الصحيح بحمد الله...
المراجع:
كشف الظنون 1 / 541 ؛ إلاعلام 6 / 34؛ معجم المؤلفين 9 / 52؛ بروكلمان الترجمة العربية 3 / 165 - 167
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 1 / 535 - 536

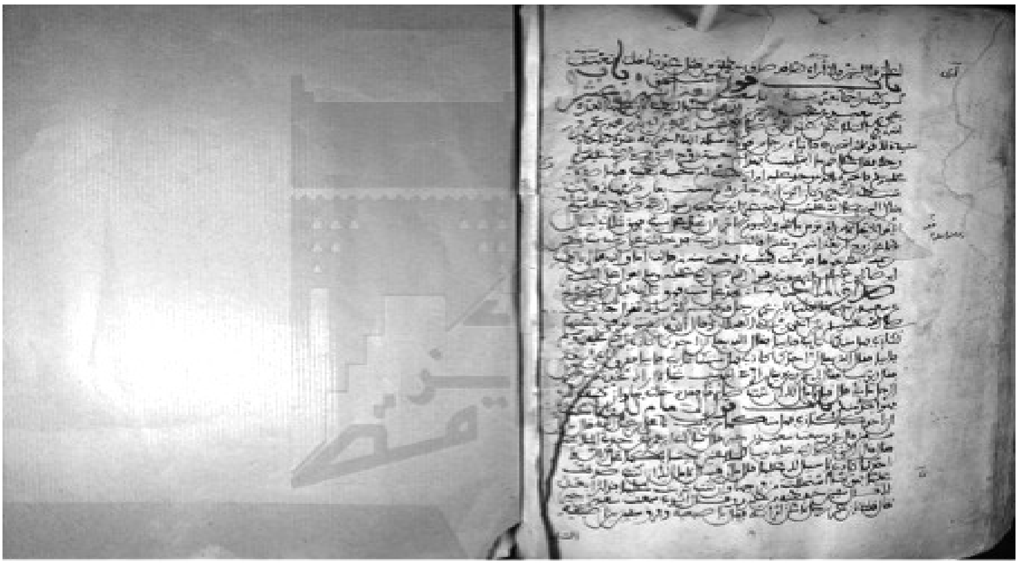
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود داخل جداول بالحمرة والزرقة، وعناوين الفصول والأبواب بالحمرة والزرقة، في الطرر تصويبات وتعليقات يسيرة، وهذا الجزء يعد الخمس الأخير من الكتاب.

« **رقم الحفظ:** 168









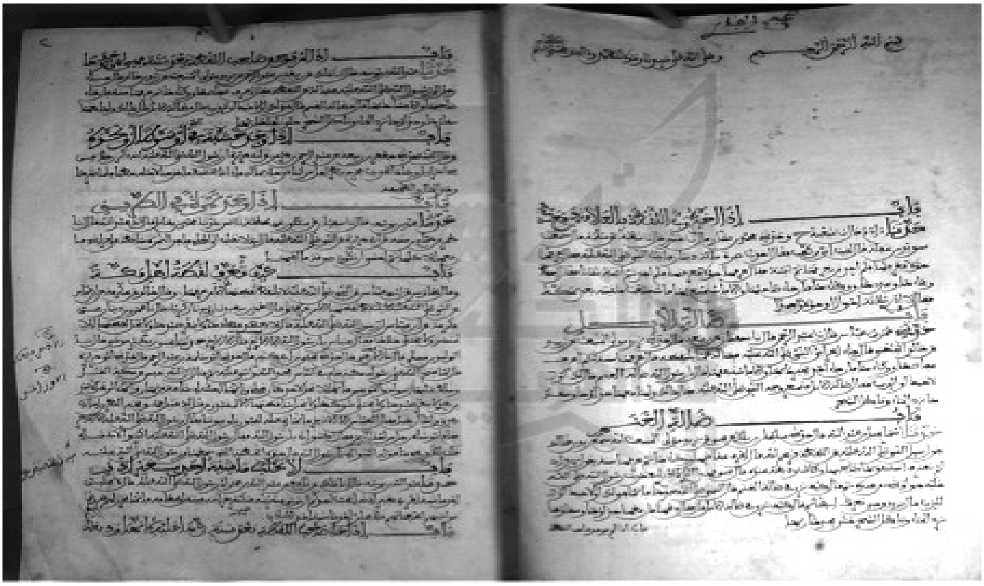
الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح (قطعة منه)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 204 ق
عدد الأسطر: 29
بداية المخطوط:

كتاب المناقب. باب قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ الآية، وقوله: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ الآية، وما ينهى من دعوى الجاهلية...
نهاية المخطوط:
باب... أربعة أشهر وعشراً... عنها الطيب لأن عليها العدة... قالت زينب: فدخلت على زينب بنت جحش... فدعت بطيب فمست منه ثم قالت: أما والله ما لي بالطيب... سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر:... تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج... أم سلمة تقول: جاءت... توفي عنها... صلى الله عليه وسلم... هي أربعة... رأس الحول... آخر...
المراجع:
الإعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52

بيانات الطبع والنشر:
مطبوع
بيانات أخرى:
النسخة عبارة عن قطعة من الكتاب: تبدأ من أول كتاب المناقب وتنتهي في أثناء كتاب التفسير، عليها تعليقات، في الورقتين الأخيرتين خروم مما أدى إلى فقدان جزء من النص، كتب النص بالمداد الأسود وكتبت رؤوس الفصول وعناوينها بالمداد الأحمر وبعضها بالمداد الذهبي وبعضها بالمداد الأخضر

» **رقم الحفظ:** 169







الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح (قطعة منه)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 58 ق
عدد الأسطر: 30 س
بداية المخطوط:
باب إذا أخبره رب اللُّقطة بالعلامة دفع إليه. حدثنا آدم قال حدثنا شعبة وحدثني محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن سلمة قال سمعت سويد بن غفلة قال لقيت أبي بن كعب...
نهاية المخطوط:
وإنه لم يحل باب إثم الغادر للبر والفاجر... القتال فيه لأحد قبلي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاؤ من فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لفيئهم ولبيوتهم قال إلا الإذخر.
المراجع:
الأعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52
بيانات الطبع والنشر:

مطبوع

بيانات أخرى:

النسخة عبارة عن قطعة من الكتاب: تبدأ من أول كتاب اللقطة وتنتهي في آخر كتاب الجزية، كتب النص بالمداد الأسود وكتبت عناوين الكتب بالمداد الأزرق وكتبت رؤوس الأبواب وعناوينها بالمدادين الأحمر والأخضر تتابعاً.

» **رقم الحفظ:** 182





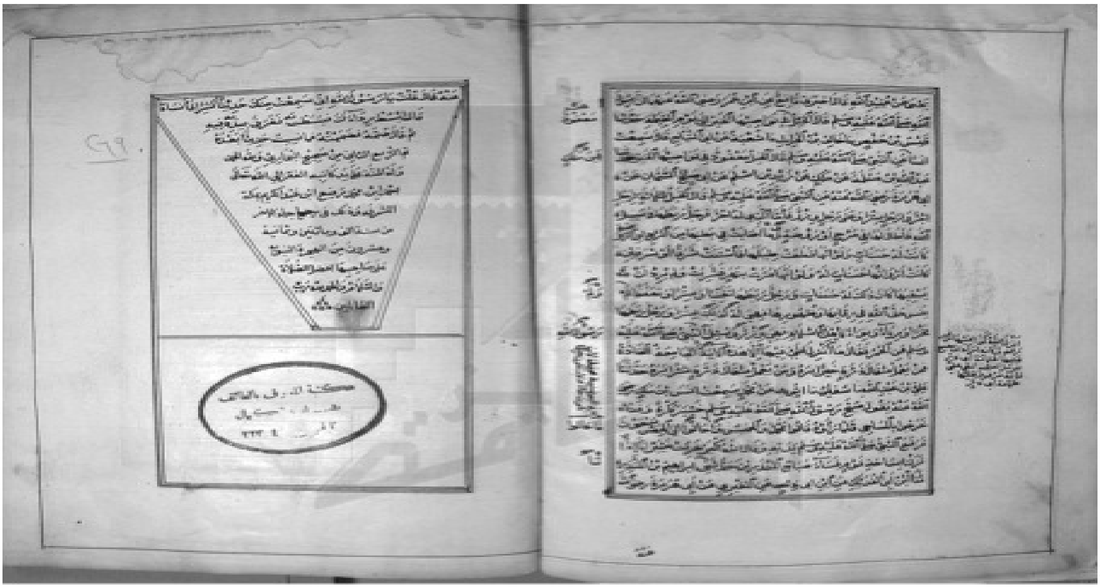
الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح ج3
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 141ق
المقاس: 23×22سم

عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:
كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قوله تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه...
نهاية المخطوط:
...باب كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم...فرغ بحمد الله يتلوه السفر الرابع إن شاء الله كتاب تفسير القرآن.
المراجع:
كشف الظنون 1 / 541 ؛ الإعلام 6 / 34 ؛ معجم المؤلفين 9 / 52؛ بروكلمان الترجمة العربية 3 / 165 - 167
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 1 / 535 - 536
بيانات أخرى:
كتبت بمداد أسود داخل جداول بالحمرة والزرقة، وعناوين الأبواب وبعض الكلمات بالحمرة والزرقة، عليه تصحيحات وشروح، وفروق رواية أبي الوقت.

» **رقم الحفظ:** 290



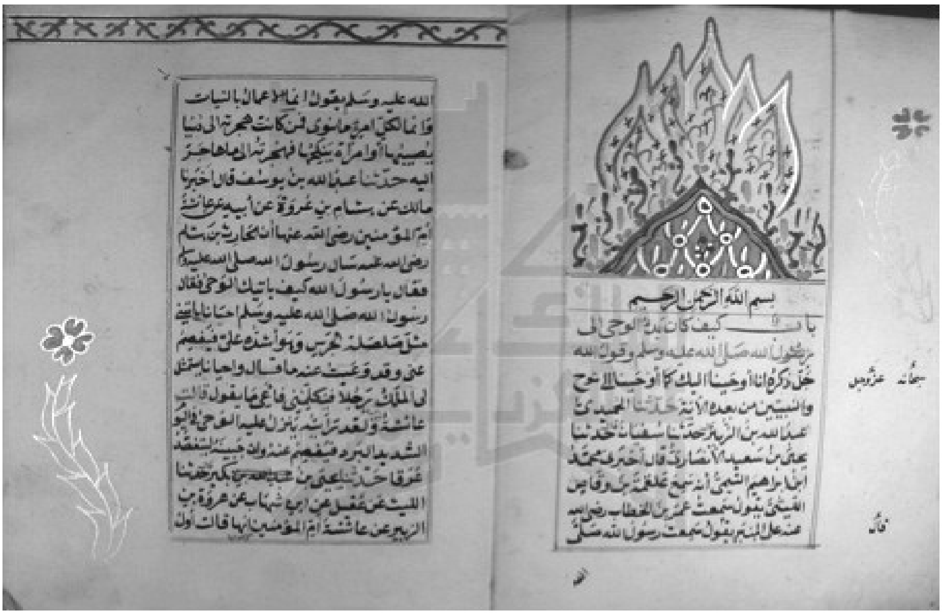


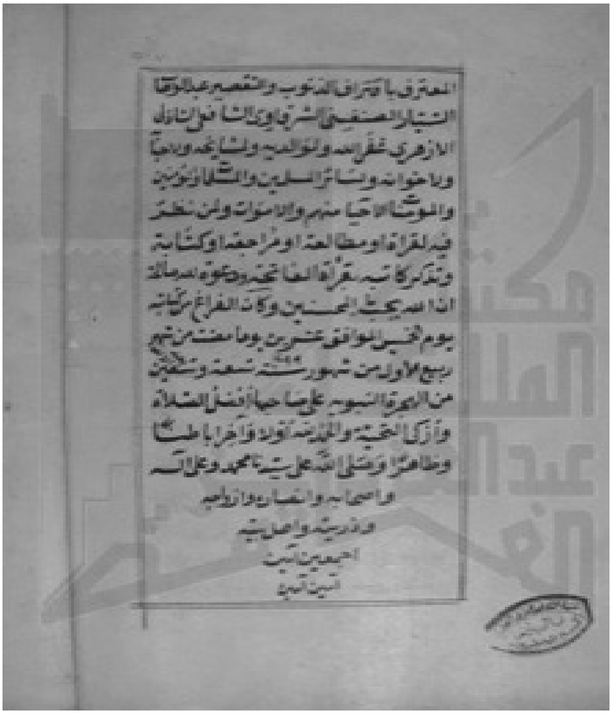


الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح (الربع الثاني)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870م
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
اسم الناسخ: أحمد بن محمد رفيع بن عبد الكريم
تاريخ النسخ: 1228هـ
مكان النسخ: مكة المكرمة.
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 269 ق
عدد الأسطر: 21 س
بداية المخطوط:
باب حرم المدينة. حدثنا أبو النعمان: حدثنا ثابت بن يزيد... عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"...
نهاية المخطوط:
حدثني إبراهيم بن المنذر: حدثنا ابن أبي فديك... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إني سمعت منك حديثاً كثيراً فأنساه. قال: "أبسط ردائك". فبسطت فغرف بيده فيه ثم قال: "ضمه" فضممته فما نسيت حديثاً بعده. تمّ الربع الثاني من صحيح البخاري... والحمد لله رب العالمين.

المراجع:
الإعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع
بيانات أخرى:
نسخة تامة مقابلة على النسخة اليونينية، كتب سائر النص بالمداد الأسود داخل جداول ذهبية وكتبت الكتب وعناوينها ورؤوس الأبواب والأحاديث ورموز الرواة بالمداد الأحمر.

» **رقم الحفظ:** 1217



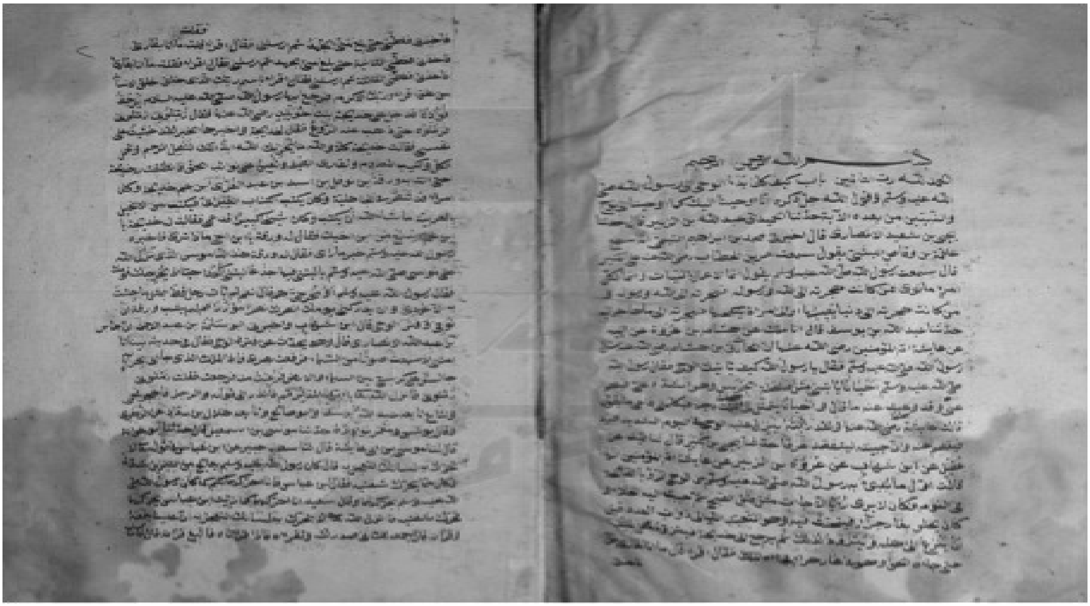


الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح ج1
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبو عبد الله
تاريخ وفاته: 256هـ/870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
إسم الناسخ: عبد الوهاب السيار الصنفيني الشرقاوي
تاريخ النسخ: 1299هـ/1881م
نوع الخط: نسخ

عدد الأوراق: 507ق
المقاس: 23×16،5سم
عدد الأسطر: 17س
بداية المخطوط:
باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله سبحانه عز وجل ذكره: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ الآية حدثنا الحميدي...
نهاية المخطوط:
إلى باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل... عن عائشة أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه تم الجزء الأول من صحيح البخاري بحمد الله وعونه وحسن توفيقه...
المراجع:
مداخل المؤلفين /50 معجم المؤلفين 53/9 إلاعلام 34/6 كشف الظنون 541/1 الورد/1146
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: معجم المطبوعات 535/1
بيانات أخرى:
نسخة جيدة تامة، مصححة ومقابلة على الأصل، كتب النص داخل جداول مزدوجة بالمداد الأسود ما عدا بعض الكلمات والعبارات فكتبت بالأحمر، زينت أعلى الصفحة الأولى بطرة مزخرفة بالزهور والنباتات واستخدم المداد الذهبي واللون الأخضر والأحمر والفضي في سر لوحة، كما زينت الحواشي الأولى بأغصان وزهور باللون الفضي والذهبي، ومن أعلاها بخطوط ذهبية مندرجة ونقط فضية بين خطين مزدوجين فضي وأزرق، مجلدة بالورق المقوى

المغلف بالجلد ومزين بطرة مزخرفة والجلد له لسان والمخطوط له علبة جلدية، وفي المخطوط خطأ ترقيم دون سقط في الصفحات.

» **رقم الحفظ:** 1279

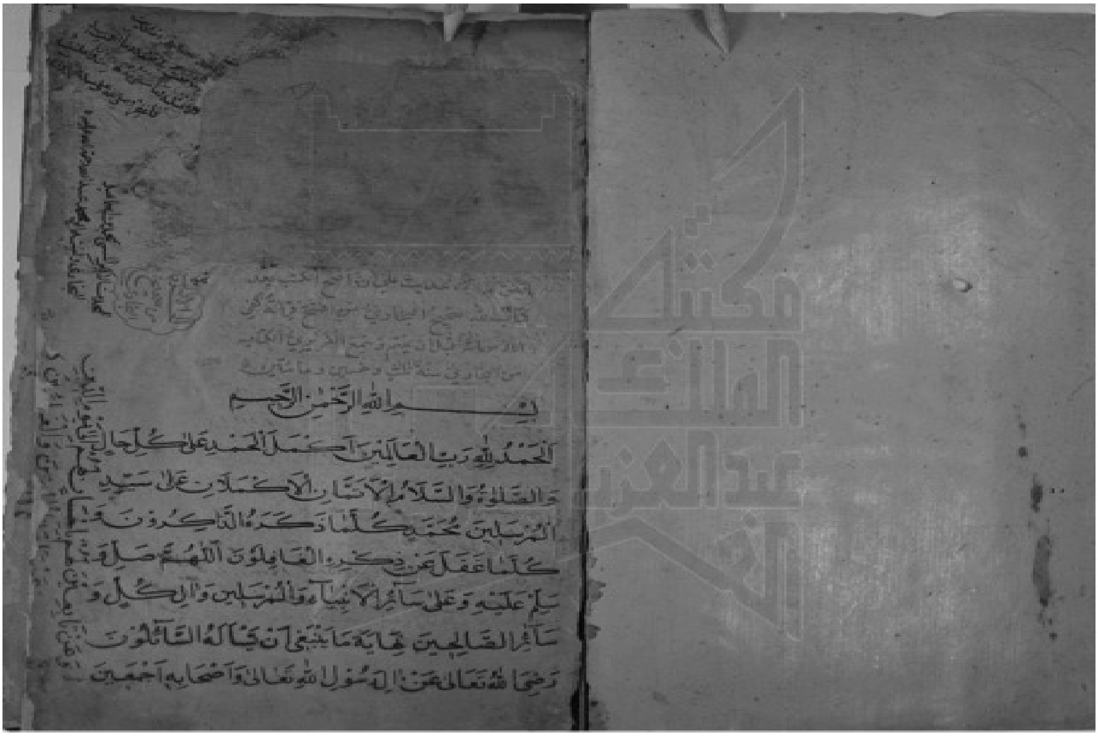




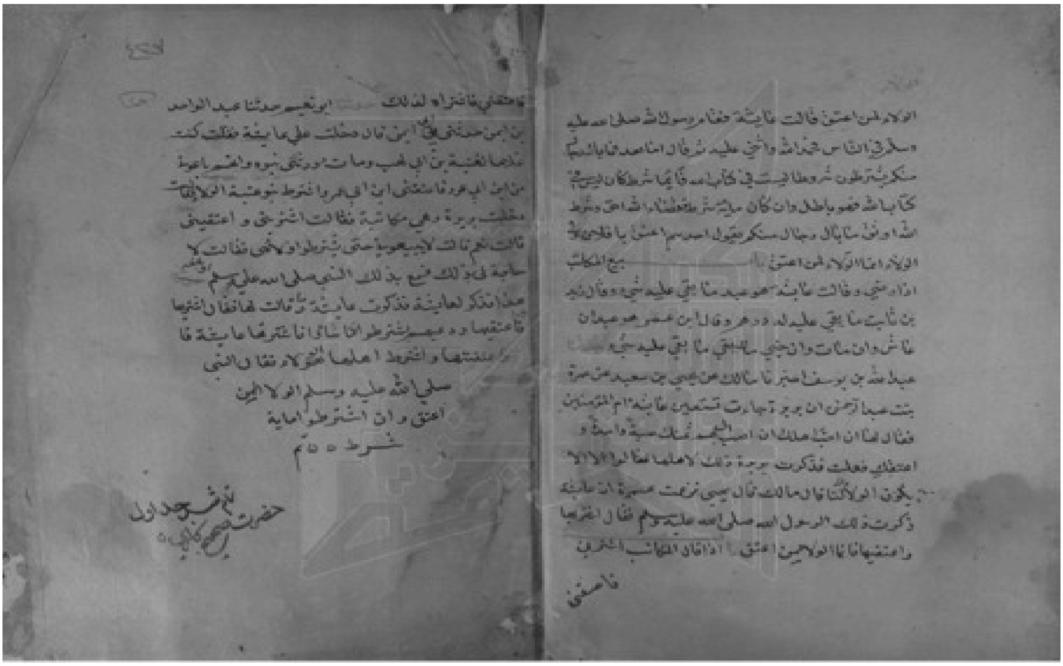
الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج1
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد إسماعيل بن إبراهيم ، أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ/870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق12هـ/18م تقديراً
نوع الخط: نسخ تعليق
عدد الأوراق: 153ق
المقاس: 27،5×18،5سم
عدد الأسطر: 31س
بداية المخطوط:
الحمد لله رب العالمين باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله جل ذكره: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ الآية...
نهاية المخطوط:
باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل حدثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها ينأولها رأسه.
المراجع:
مداخل المؤلفين /50، معجم المؤلفين 52/9، الإعلام 34/6، هدية العارفين 16/2،

كشف الظنون 541/1، الأزهرية 439/1، كوبريلي 181/1، الورد/1146
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: معجم المطبوعات 535/1
بيانات أخرى:
نسخة جيدة تامة، مصححة، كتبت بالمداد الأسود ما عدا بعض العبارات فكتبت بالأحمر، مجلدة بالورق المقوى المغلف بالجلد وله لسان.

» **رقم الحفظ:** 1473





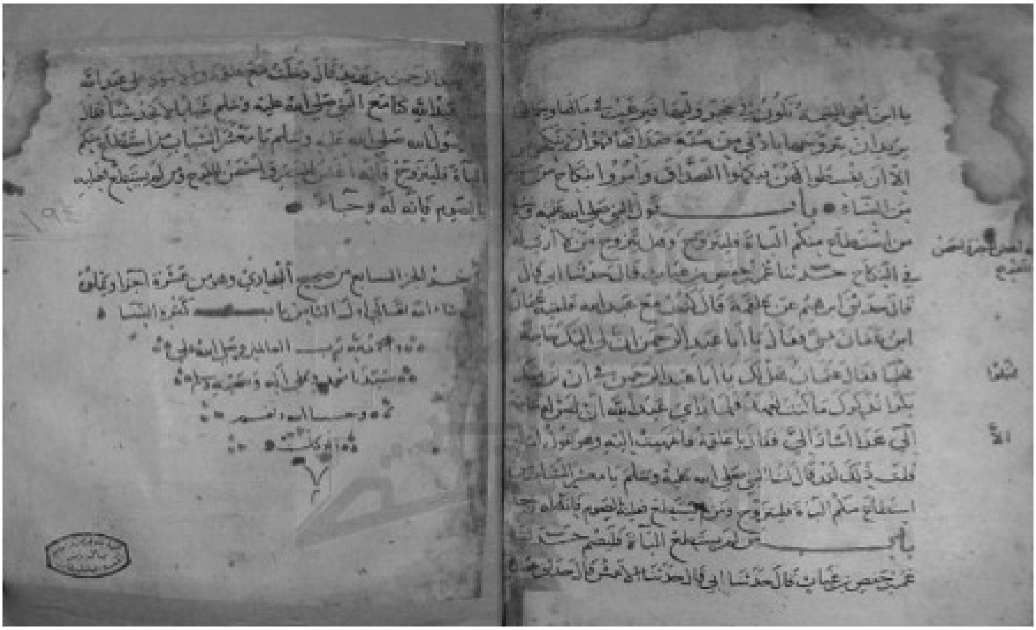


الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج1
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بم إبراهيم، أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 12هـ / 18 م تقديراً
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 427ق
المقاس: 27،5 × 17سم
عدد الأسطر: 17س.
بداية المخطوط:
باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله عزوجل: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان...: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى فمن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها...).
نهاية المخطوط:
باب بيع المكاتب.... فاشترتها عائشة فأعتقتها واشترط أهلها الولاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أعتق وإن اشترطوا مائة شرط). تم
المراجع:
مداخل المؤلفين: 50
الإعلام: 6 / 34
معجم المؤلفين: 9 / 52

هدية العارفين: 2/ 16
كشف الظنون: 1 / 541
بروكلمان (العربية): 3 / 165 - 167
كوبريلي: 1 / 181
الورد: 1146
الأزهرية: 1 / 439
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: معجم المطبوعات: 1 / 536
بيانات أخرى:
كتب المتن بالمداد الأسود، وعناوين الفصول والأبواب وكلمات حدثنا بالحمرة، على الهوامش وبين الأسطر العديد من التصحيحات والشروح والتعليقات، وعليها تصحيحات، أطراف الأوراق مهترئة وأصابتها الرطوبة والتلوث.

» **رقم الحفظ:** 1520





الفن: الحديث الشريف وعلومه

العنوان: الجامع الصحيح

عنوان آخر: صحيح البخاري

المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري

تاريخ وفاته: 256هـ

شهرته: الإمام البخاري

لغة المخطوط: عربي

تاريخ النسخ: ق 11 هـ تقديراً

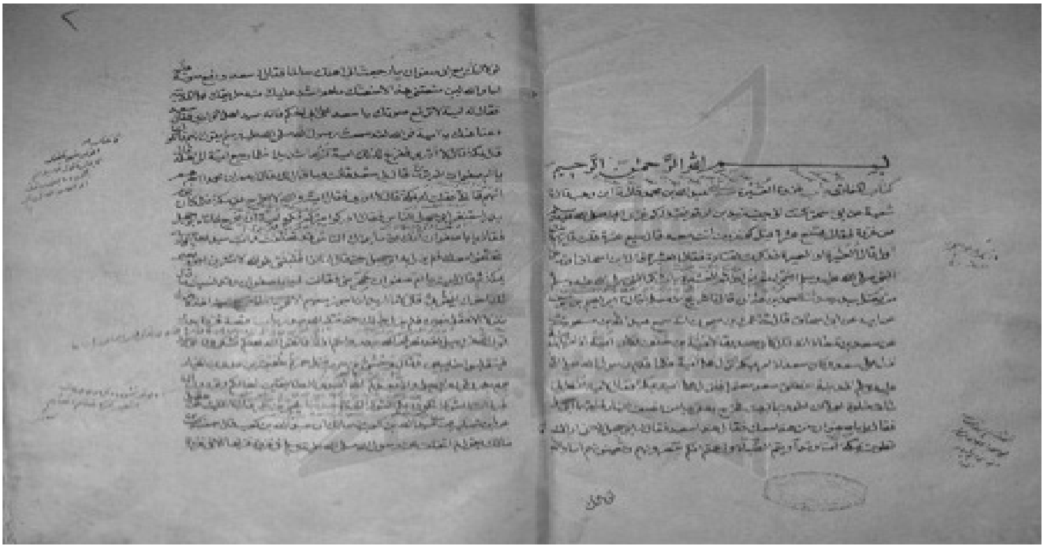
نوع الخط: نسخ

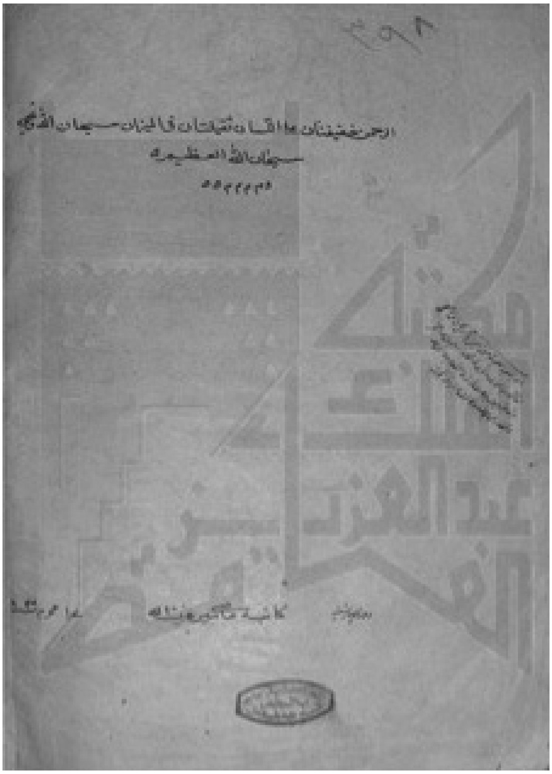
عدد الأجزاء: 1

عدد الأوراق: 194
عدد الأسطر: 15
بداية المخطوط:

باب قوله ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ .
نهاية المخطوط:
باب من لم يستطع الباءة فليصم. حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال حدثنى عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله فقال عبد الله كنا مع النبى - صلى الله عليه وسلم - شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء».
المراجع:
الإعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع
بيانات أخرى:
النسخة عبارة عن قطعة من الكتاب: تبدأ من الباب السابع من كتاب التفسير وتنتهي بالباب الثالث من كتاب النكاح كتب النص بالمداد الأسود وكتبت كلمة (باب) و(كتاب) بالأحمر، وكتبت بعض الهوامش على النسخة تبين فروق النسخ، مما يفيد أنها نسخة مصححة ومقابلة.

» رقم الحفظ: 1691

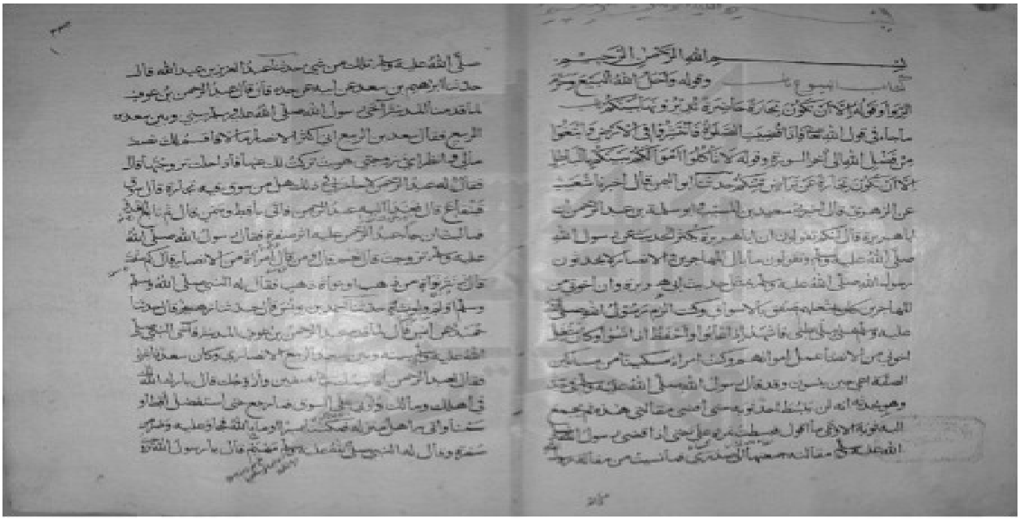


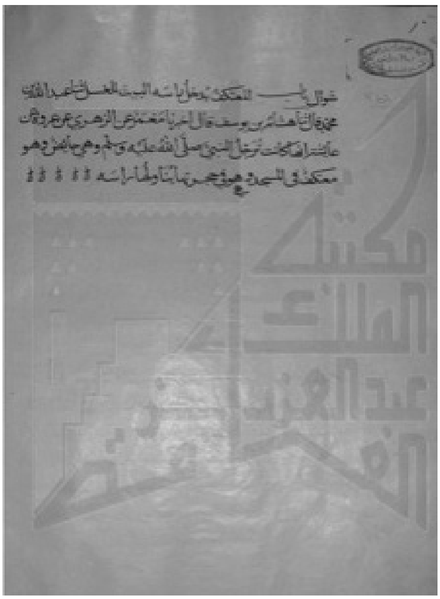


الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
إسم الناسخ: عاصي مير عزت الله
تاريخ النسخ:12/محرم/ 1230هـ
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 397
عدد الأسطر: 19
بداية المخطوط:
كتاب المغازي- باب غزوة العشيرة أو العسيرة
نهاية المخطوط:
قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)
المراجع:
الإعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع
بيانات أخرى:
النسخة عبارة عن قطعة من الكتاب: تبدأ من أول كتاب المغازي وتنتهي بآخر

الكتاب، كتب النص بالمداد الأسود وكتبت كلمة (باب) و(حدثنا) بالأحمر، وكتبت بعض الهوامش على النسخة تبين شرح غريب أو فروق النسخة.

» **رقم الحفظ:** 1696





الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله البخاري الجعفي
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 331ق
المقاس: 31 × 21سم
عدد الأسطر: 17س
بداية المخطوط:

كتاب البيوع باب وقوله: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ وقوله: ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم﴾ باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ إلى آخر السورة...

نهاية المخطوط:

... باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا هشام بن يوسف قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها كانت تُرجِّل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهو في حجرتها يناولها رأسه.

المراجع:

كشف الظنون 1/ 541 ؛ الإعلام 6/ 34 ؛ معجم المؤلفين 9/ 52 ؛ مداخل المؤلفين 50 ؛ الورد 1146

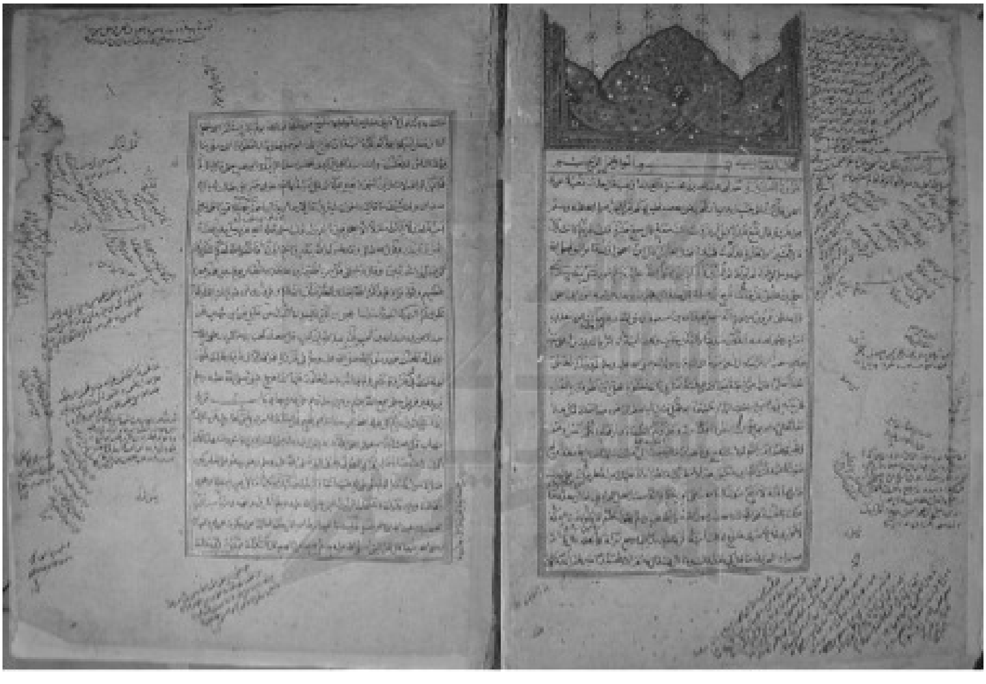
بيانات الطبع والنشر:

معجم المطبوعات 1/ 535

بيانات أخرى:

من أهم كتب الحديث جمع فيه المؤلف ما صح من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الجزء يبدأ بكتاب البيوع وينتهي بباب المعتكف، والمخطوطة مقابلة بنسخة أخرى، كتب النص بالمداد الأسود وبعض الكلمات بالمداد الأحمر، على النص بعض التعليقات والحواشي، مصححة.

» **رقم الحفظ:** 1707



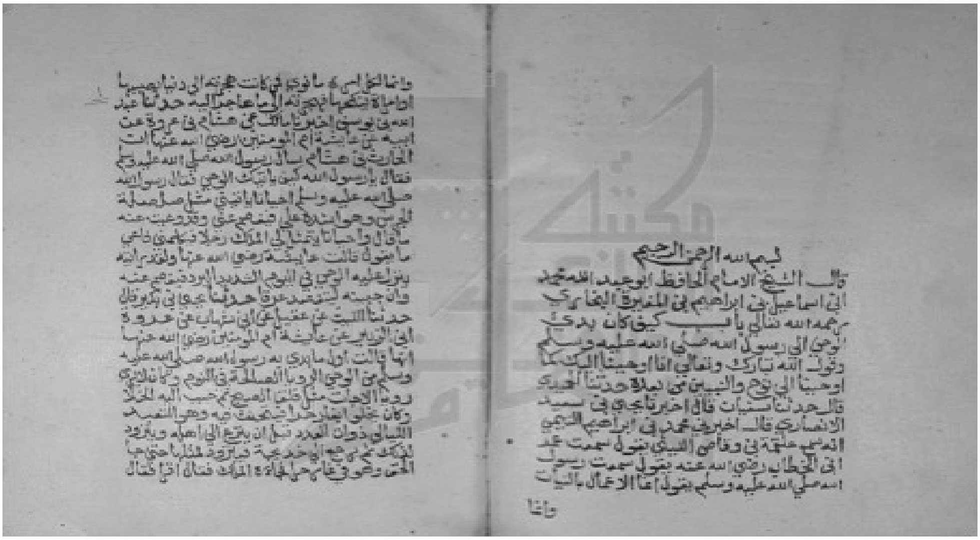


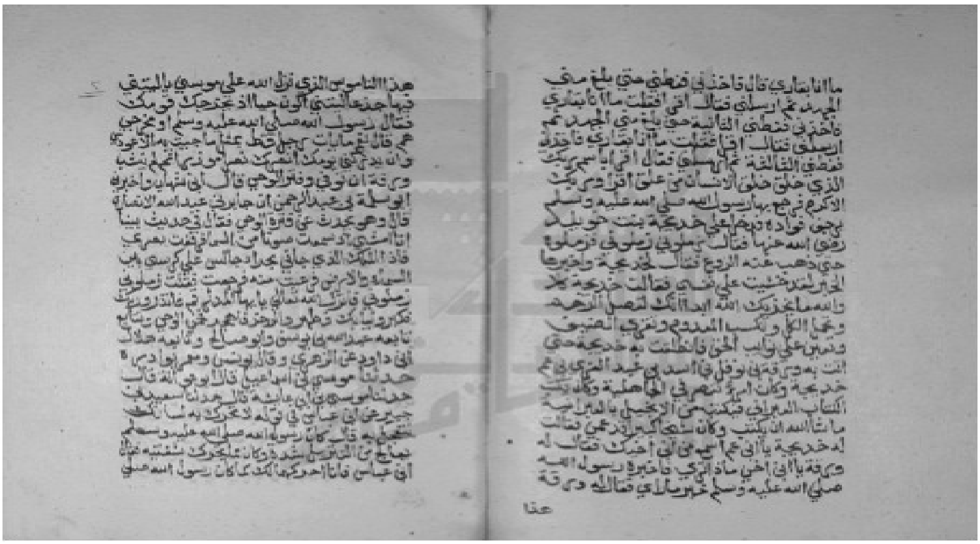
الفن: جمع وتدوين= صحيح البخاري
العنوان: الجامع الصحيح
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 11هـ تقديراً

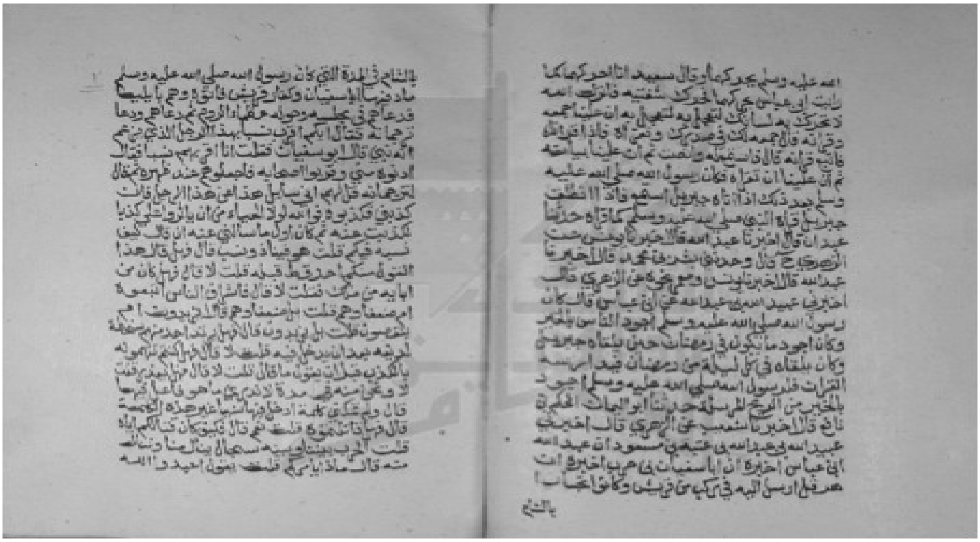
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 297ق
المقاس: 30×20،5سم
عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:
كتاب المغازي... غزوة العشيرة حدثني عبد الله بن محمد قال حدثنا وهب قال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: كنت إلى جنب زيد بن أرقم رضي الله عنه فقيل له: كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة قال: تسع عشرة قيل: كم غزوت أنت معه قال: سبع عشرة قلت: فأيهم كانت أول قال: العشير أو العشيرة فذكرت لقتادة..
نهاية المخطوط:
آخر الصحيح: حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).
المراجع:
كشف الظنون 1/ 541، الإعلام 6 / 34، بروكلمان ـ الترجمة العربية 3 / 165 ـ 167، الأزهرية 1 / 439 ـ 456، معجم المؤلفين 9 / 52، مداخل المؤلفين 50، الورد 1146
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: معجم المطبوعات 1 / 535 ـ 536
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود، بعض الكلمات والعبارات بالمداد الأحمر. أحيط النص بجداول ذهبية عريضة وأحيطت الجداول بأطر زرقاء. والصفحة الأولى

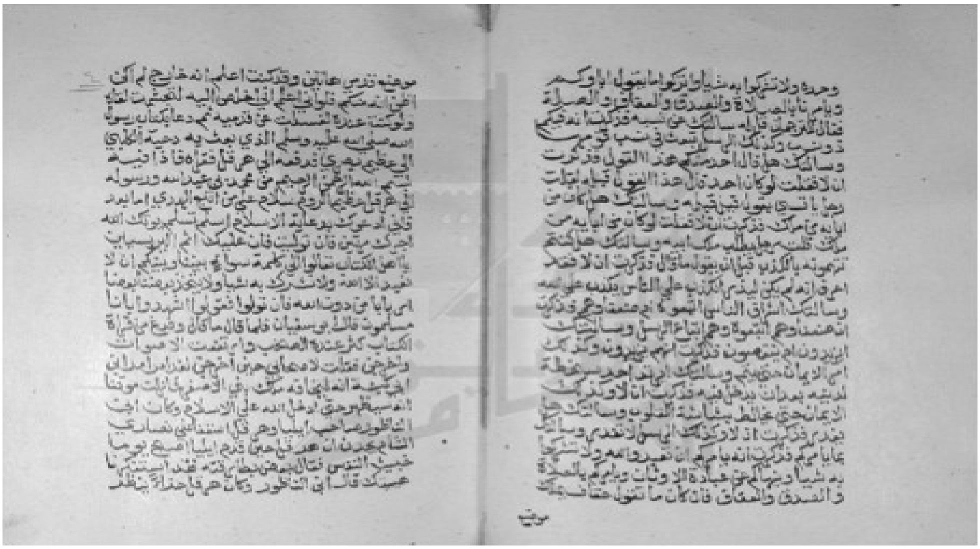
من النص مزينة بطرة (سر لوحة) مزينة بماء الذهب والزهور والنباتات. التجليد: من الورق المقوى بالجلد.
عليه بعض الشروح والحواشي والتعليقات، والمخطوطة مقابلة بالأصل وبنسخة أخرى، عليها تملك محمد سعيد أفضل المشهور بخان ملا باركزني.

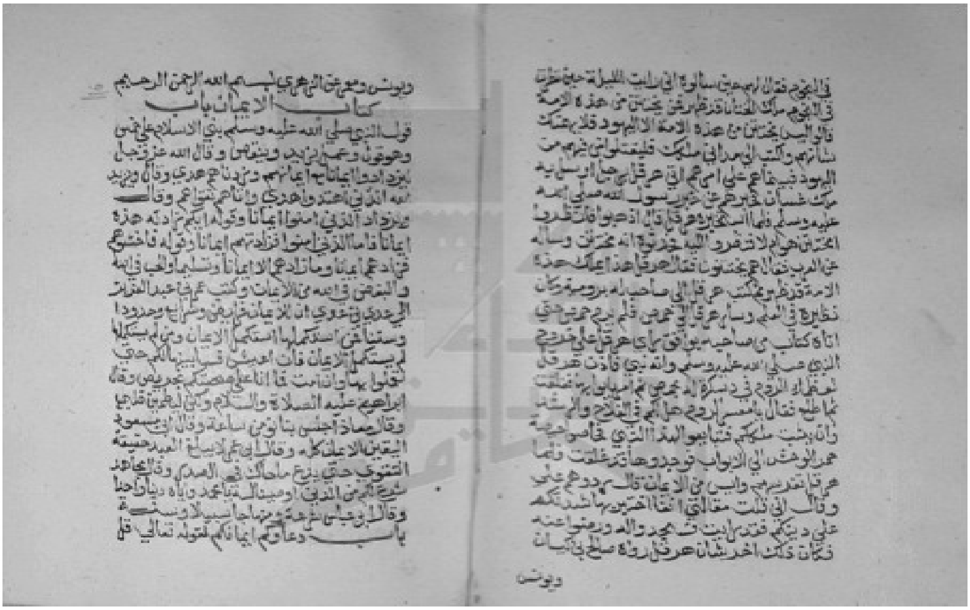
» **رقم الحفظ:** 1940



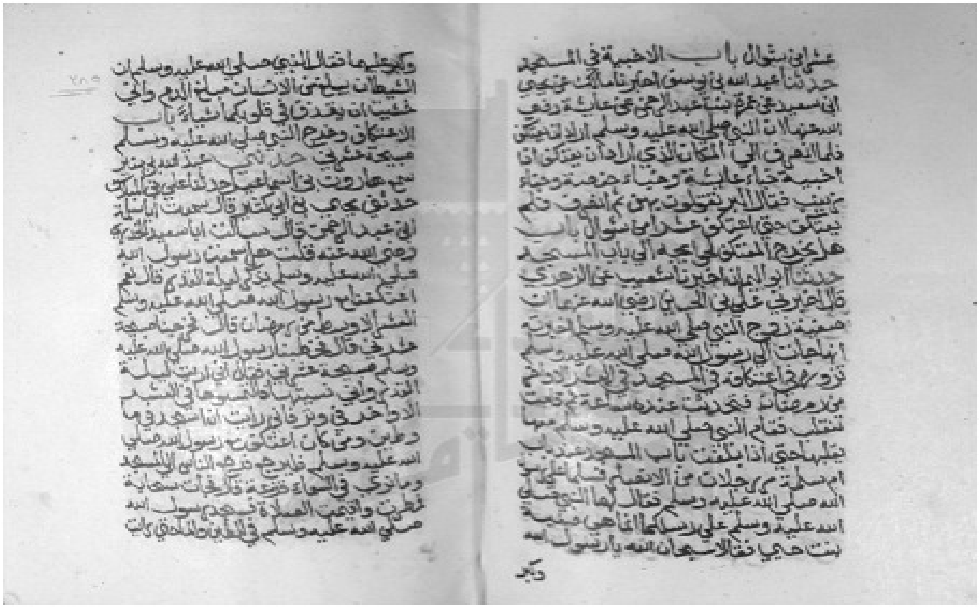




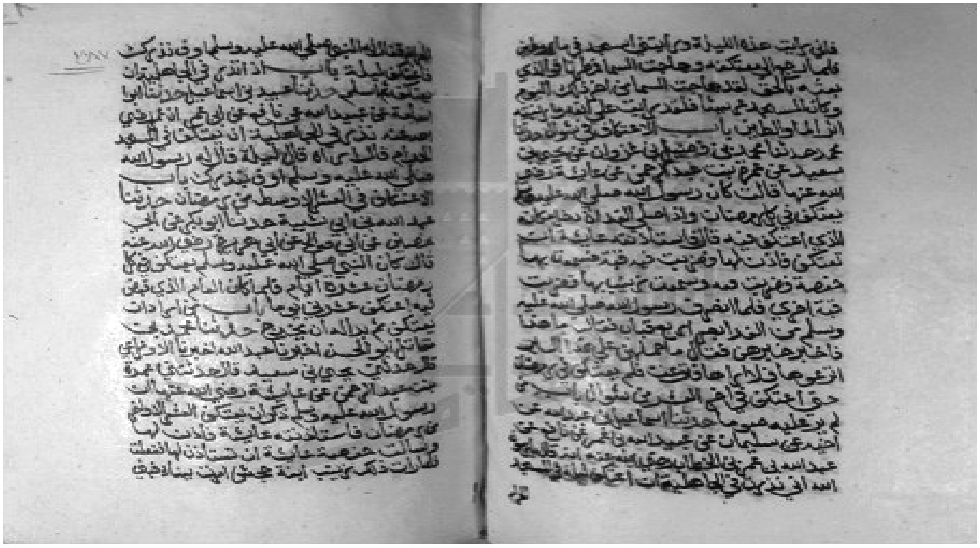


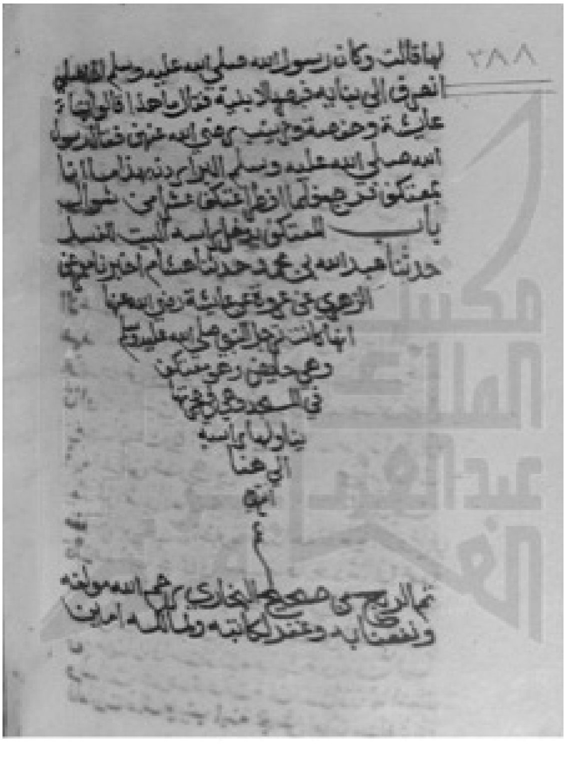












الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج1
عنوان آخر: صحيح البخاري ج1
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي
تاريخ وفاته: 256هـ / 870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
اسم الناسخ: أحمد رزق
تاريخ النسخ: 1280هـ / 1863 م
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 387ق
المقاس: 22 × 15سم
عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:
قال الشيخ الإمام الحافظ... باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله تبارك وتعالى... حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان...
نهاية المخطوط:
آخر الإعتكاف: باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل
حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت ترجل النبي - صلى الله عليه وسلم - وهى حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها، يناولها رأسه.
المراجع:

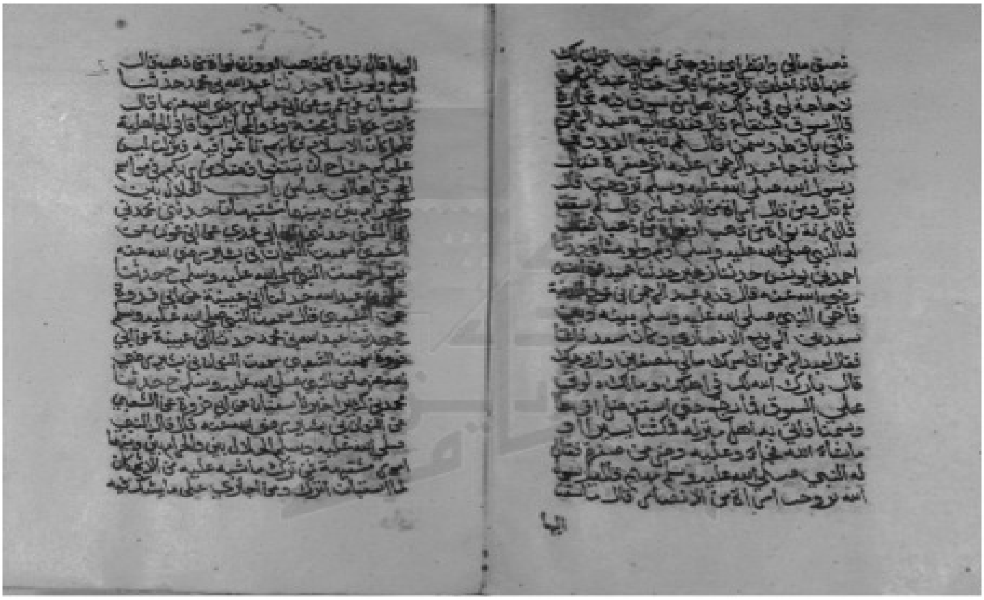
مداخل المؤلفين / 50 ؛ الإعلام 6/ 34 ؛ معجم المؤلفين 9/ 52 ؛ كشف الظنون 1/ 541 ؛ هدية العارفين 2/ 16 ؛ الأزهرية 1/ 439 ؛ الورد 1146 ؛ كوبريلي 1/ 181
بيانات الطبع والنشر:
معجم المطبوعات 1/ 535
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود وعناوين الأبواب والفصول وكلمة (حدثنا) بالأحمر، مصححة، مجلدة بالجلد الطبيعي المزخرف بزخارف هندسية ونباتية بالضغط، عليها آثار أَرَضَة ولها لسان.

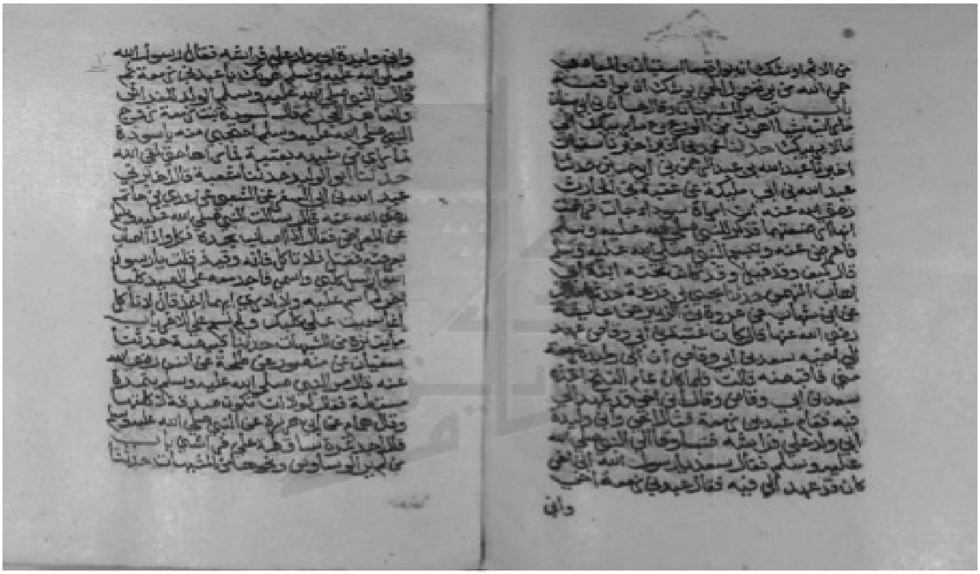
» **رقم الحفظ:** 1941

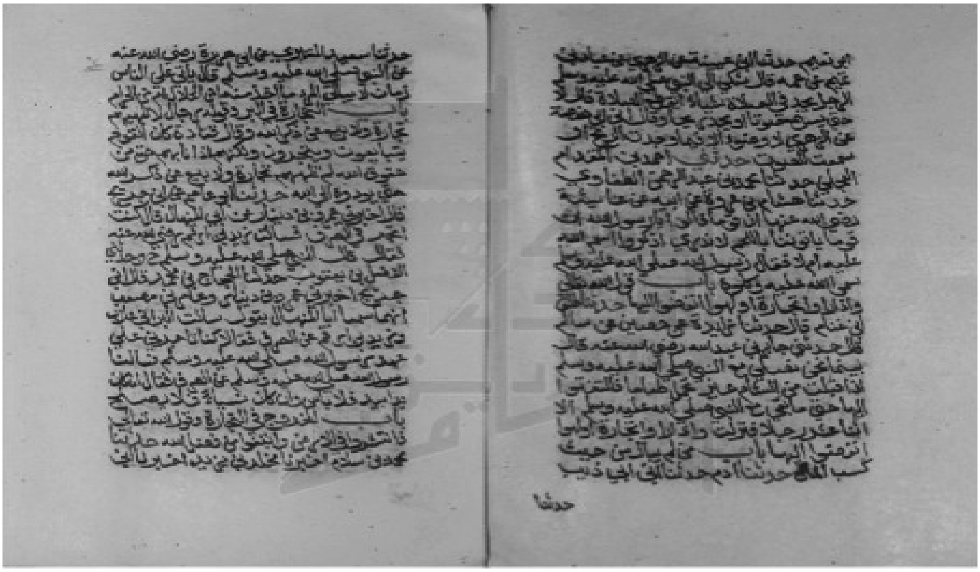



بسم الله الرحمن الرحيم

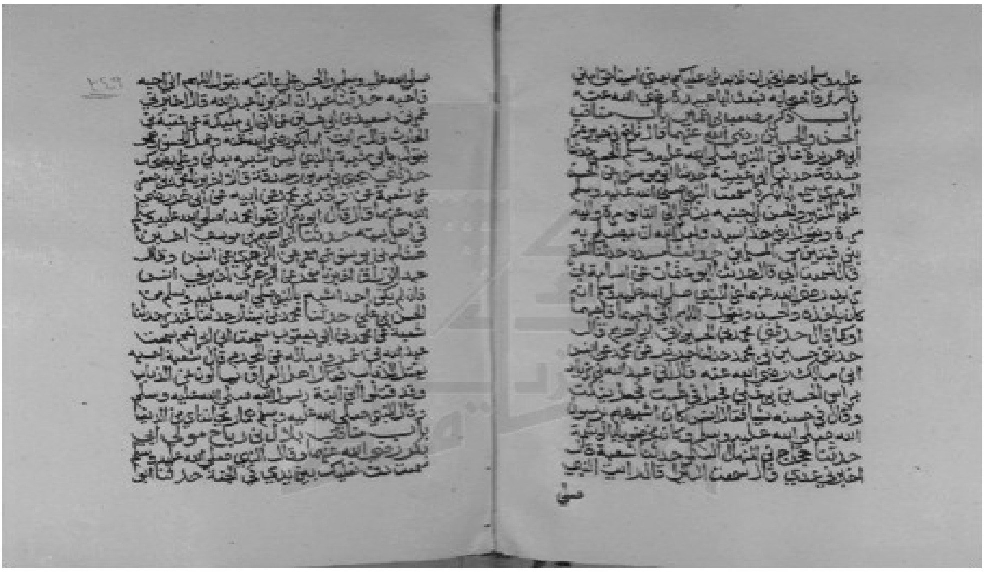
كتاب البيوع

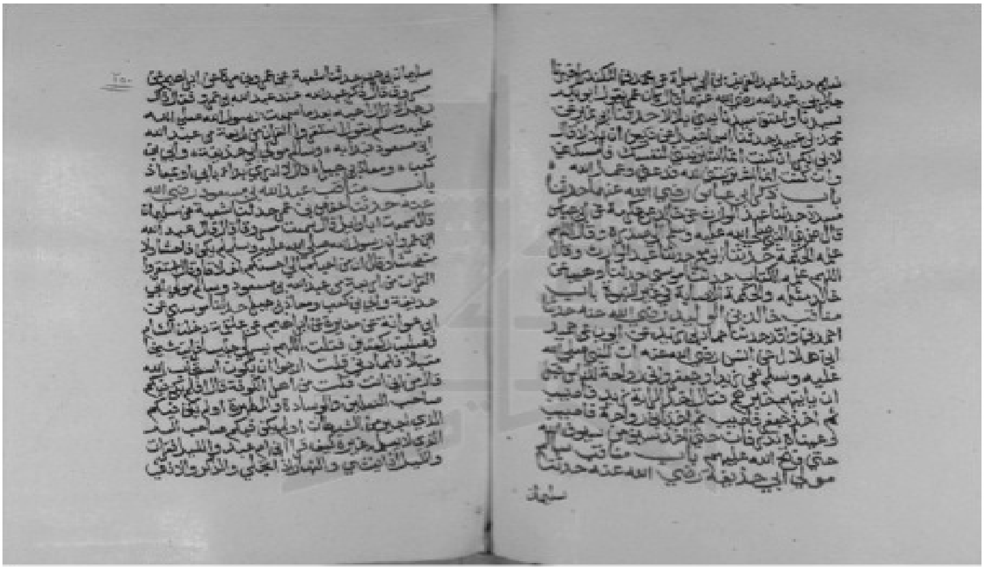


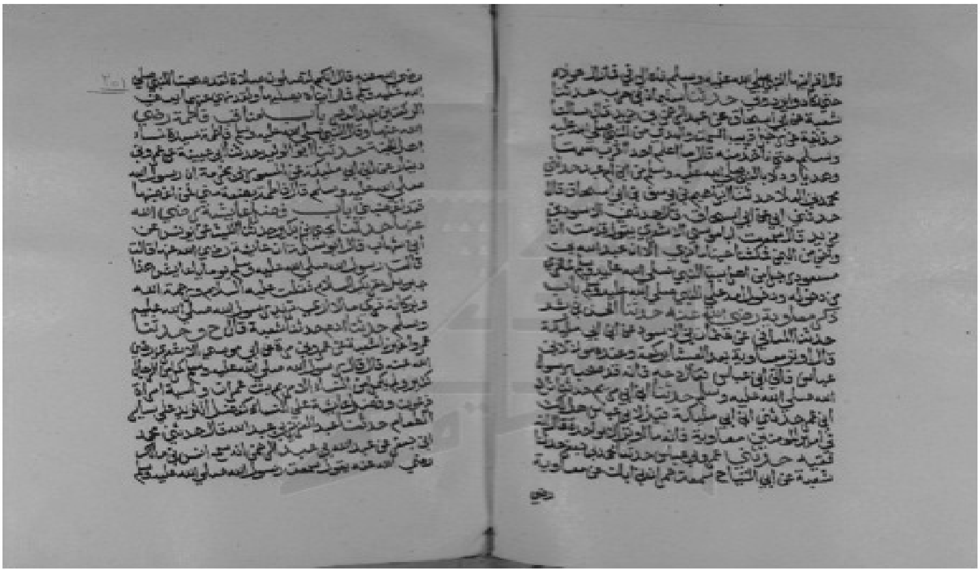


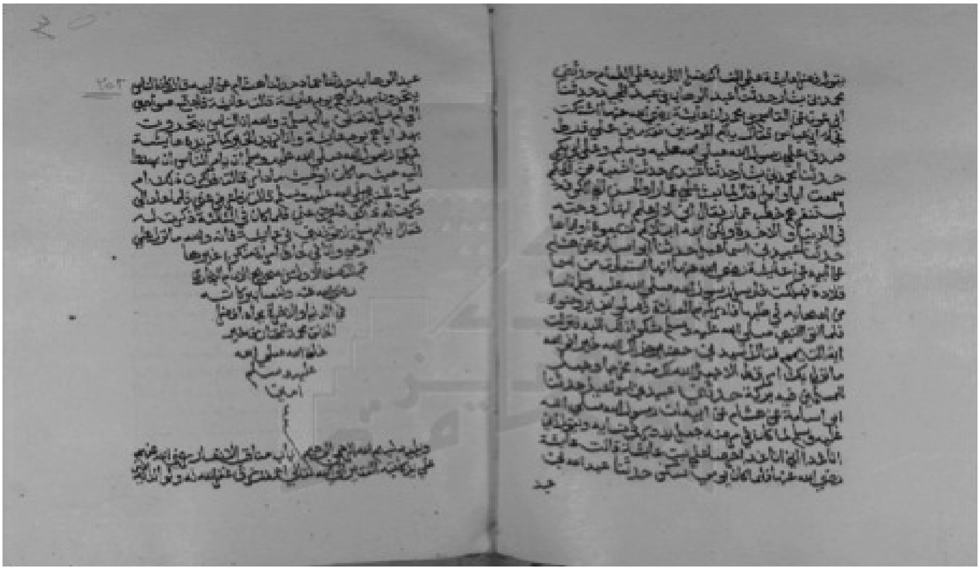










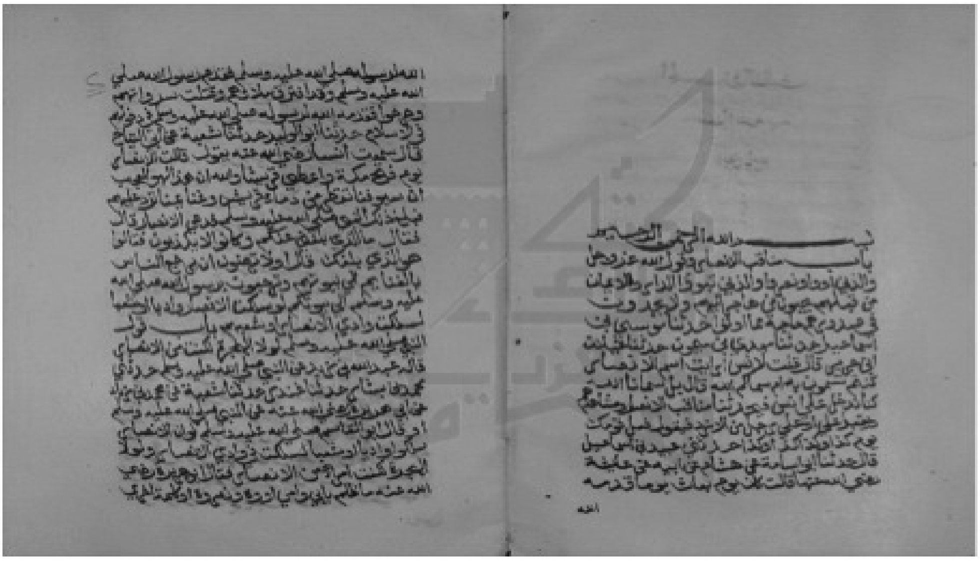


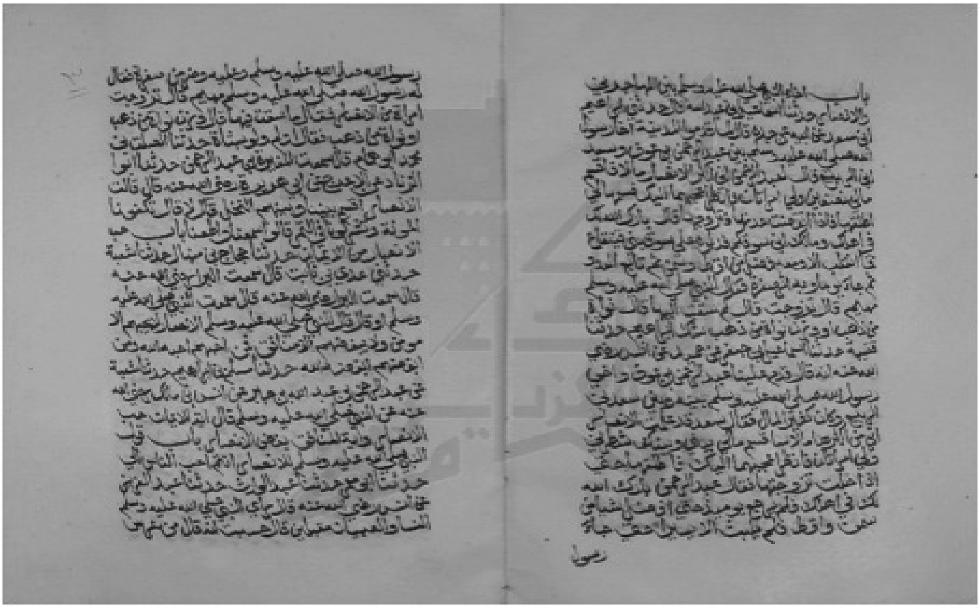
الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج2
عنوان آخر: صحيح البخاري ج2
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
اسم الناسخ: أحمد رزق
تاريخ النسخ: 1280هـ / 1863 م
نوع الخط: نسخ

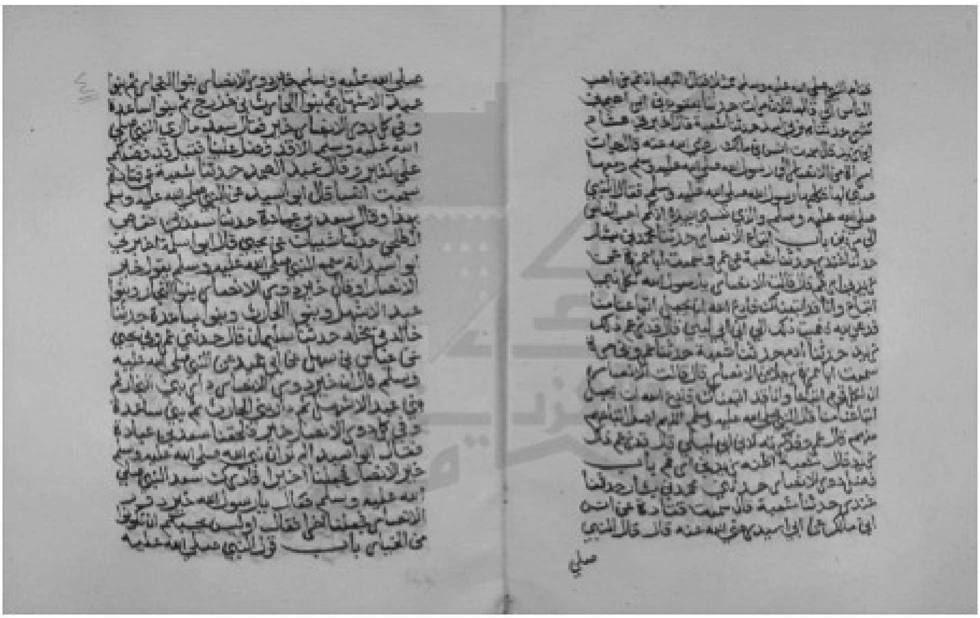
عدد الأوراق: 352ق
المقاس: 22 × 15سم
عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:
كتاب البيوع:
باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون(10) وإذا راوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾
نهاية المخطوط:
آخر فضائل الصحابة:
3775 -..... فلما عاد إلى ذكرت له ذاك فأعرض عنى، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها».
المراجع:
مداخل المؤلفين / 50 ؛ الإعلام 6/ 34 ؛ معجم المؤلفين 9/ 52 ؛ كشف الظنون 1/ 541 ؛ هدية العارفين 2/ 16 ؛ الأزهرية 1/ 439 ؛ الورد 1146 ؛ كوبريلي 1/ 181
بيانات الطبع والنشر:
معجم المطبوعات 1/ 535
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود وعناوين الأبواب والفصول وكلمة حدثنا بالأحمر، مصححة، مجلدة بالجلد الطبيعي المزخرف بزخارف هندسية ونباتية بالضغط، عليها آثار أرضة ولها لسان.

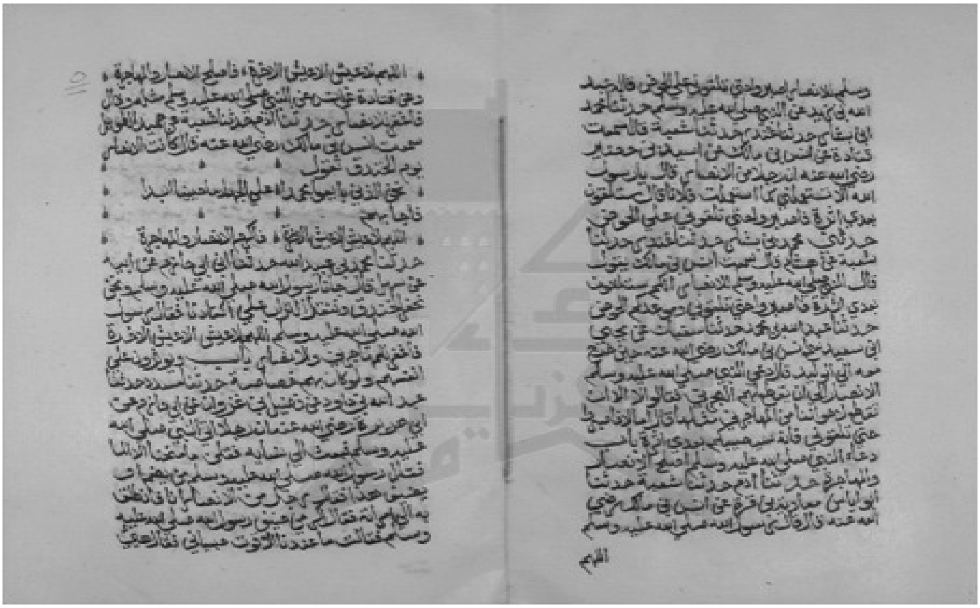
» **رقم الحفظ:** 1942

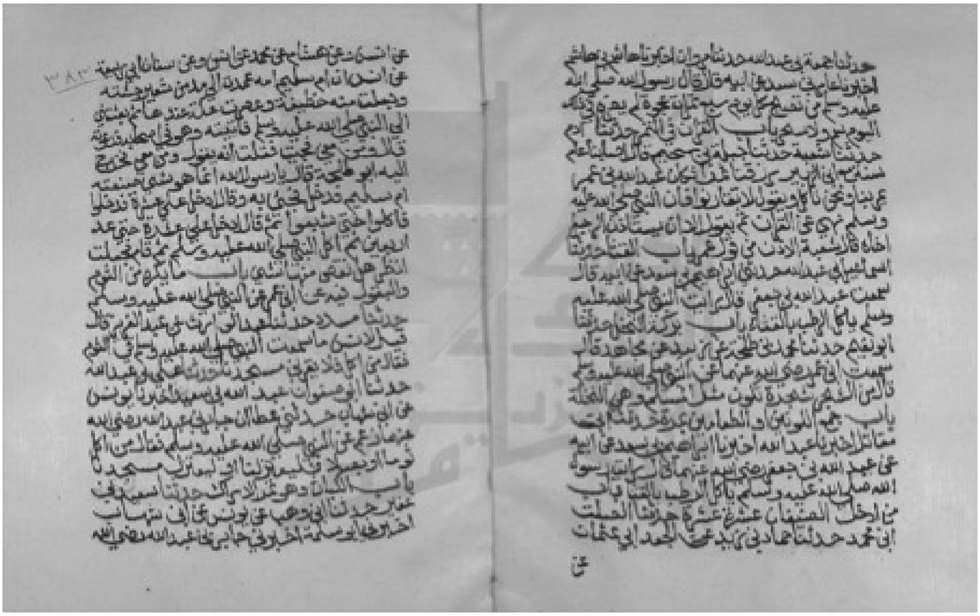


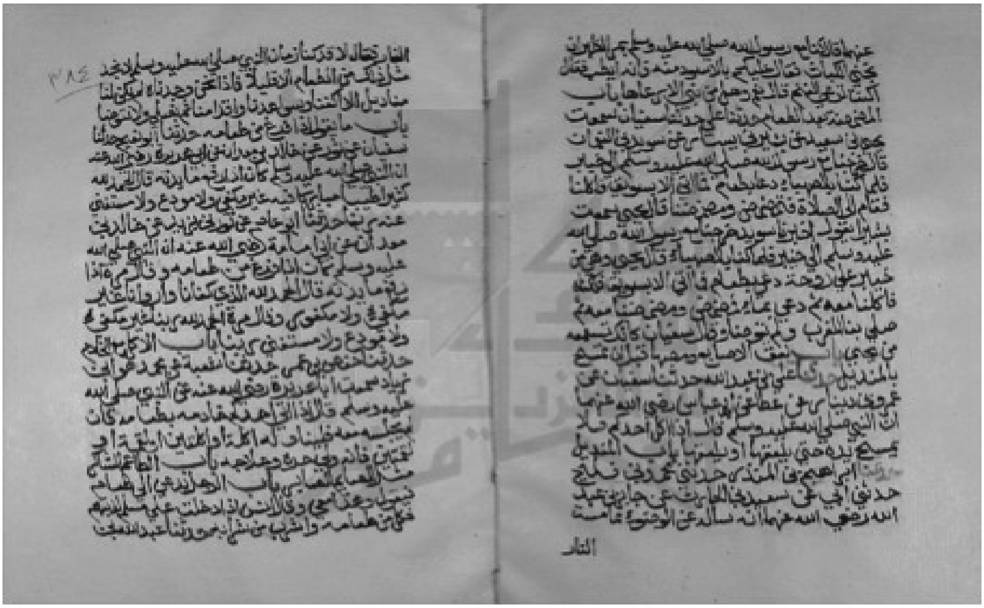


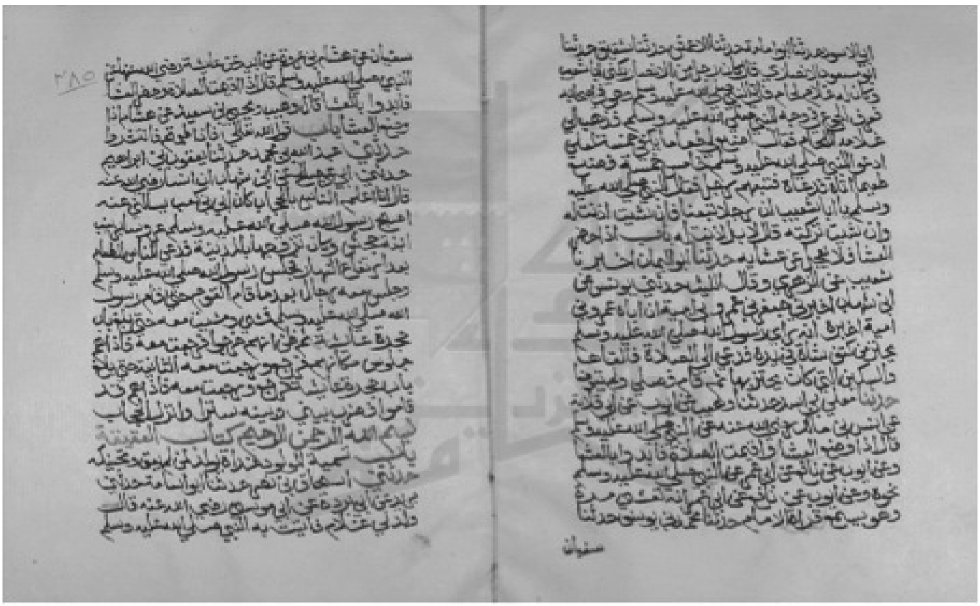




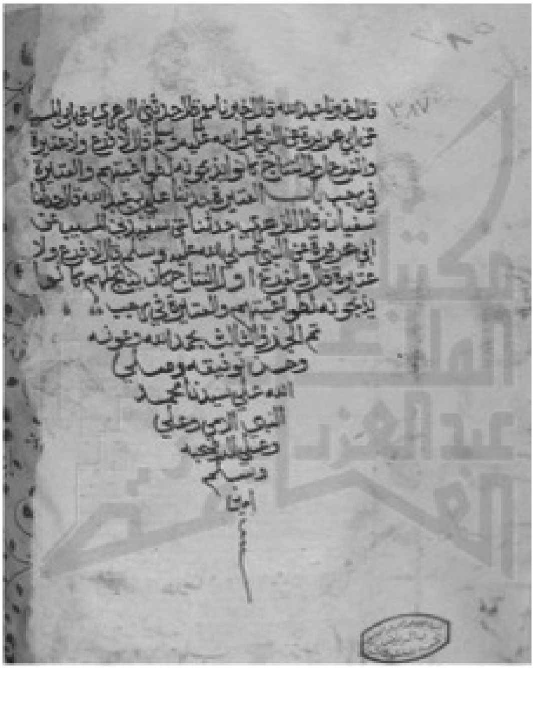












تم الجزء الثالث بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وصلى
الله على سيدنا محمد
النبي الامي وعلى
وعلى آله وصحبه
وسلم
آمين

الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج3
عنوان آخر: صحيح البخاري ج3
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
اسم الناسخ: أحمد رزق
تاريخ النسخ: 1280هـ / 1863 م
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 386ق
المقاس: 22 × 15سم
عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:

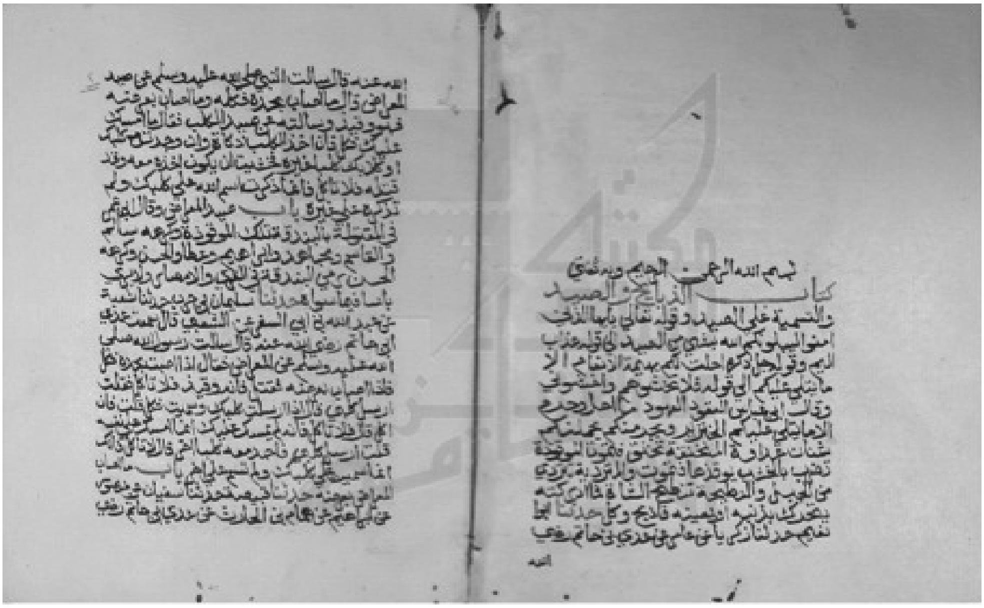
باب مناقب الأنصار وقول الله تعالى: ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾
نهاية المخطوط:

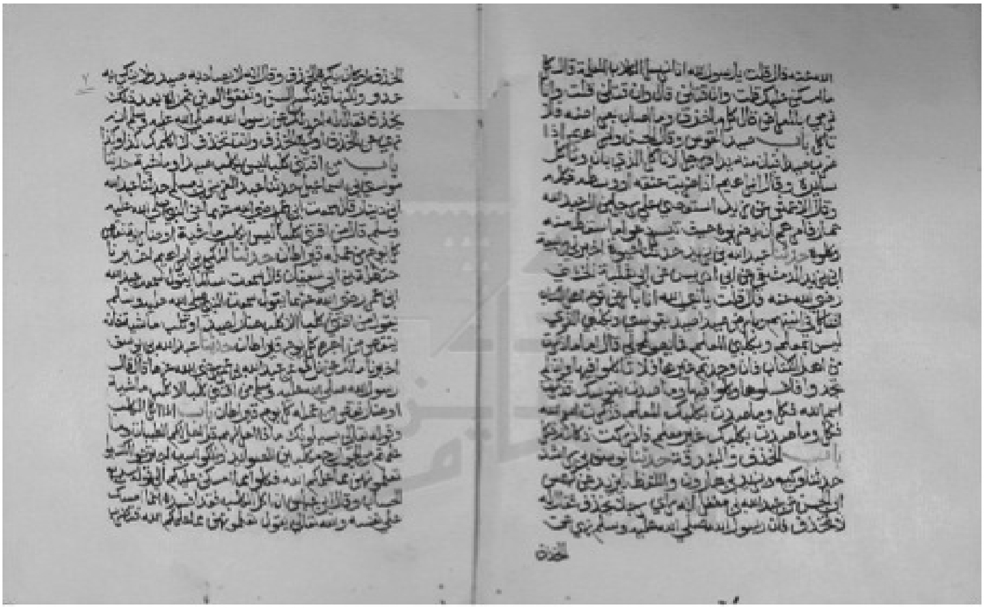
... باب قول الله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط﴾ وإن أعمال بني آدم وقولهم يوزن وقال مجاهد القسط من العدل بالرومية... قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)..
المراجع:
مداخل المؤلفين / 50 ؛ الإعلام 6/ 34 ؛ معجم المؤلفين 9/ 52 ؛ كشف الظنون 1/

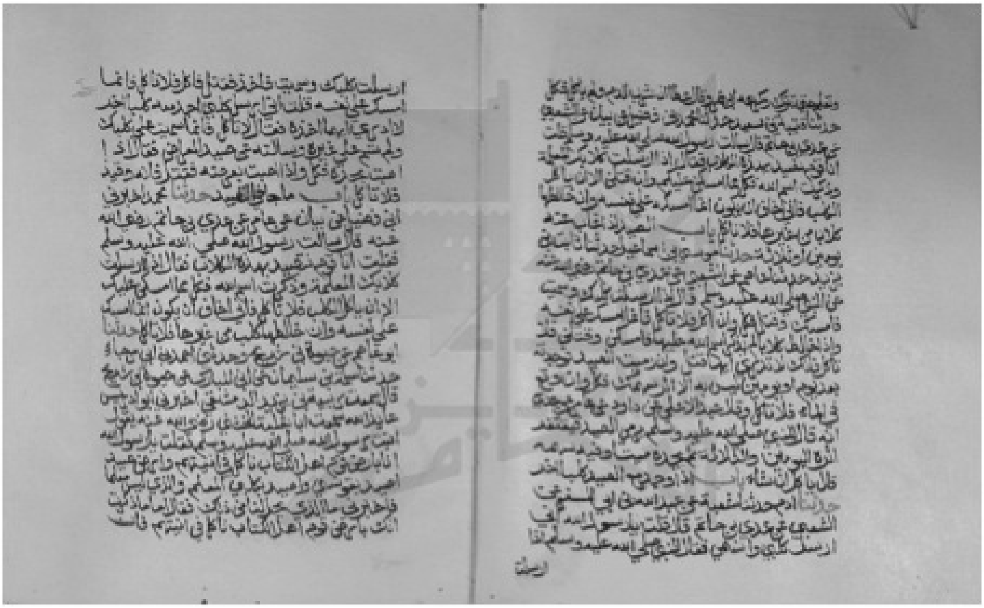
541 ؛ هدية العارفين 2/ 16 ؛ الأزهرية 1/ 439 ؛ الورد 1146 ؛ كوبريلي 1/ 181
بيانات الطبع والنشر:
معجم المطبوعات 1/ 535
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود وعناوين الأبواب والفصول وكلمة حدثنا بالأحمر، مصححة، مجلدة بالجلد الطبيعي المزخرف بزخارف هندسية ونباتية بالضغط، عليها آثار أرضة ولها لسان

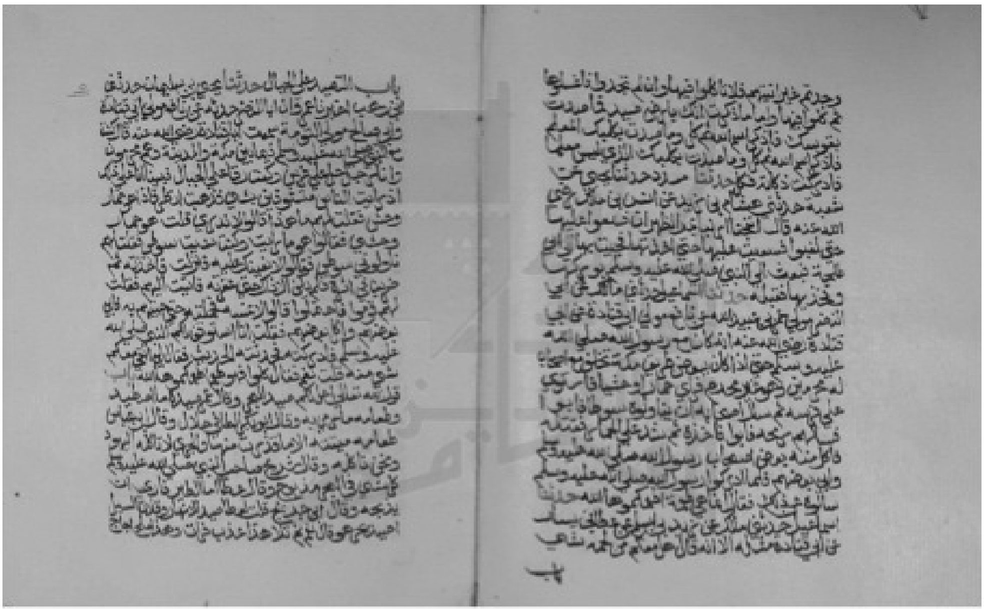
» **رقم الحفظ:** 1943

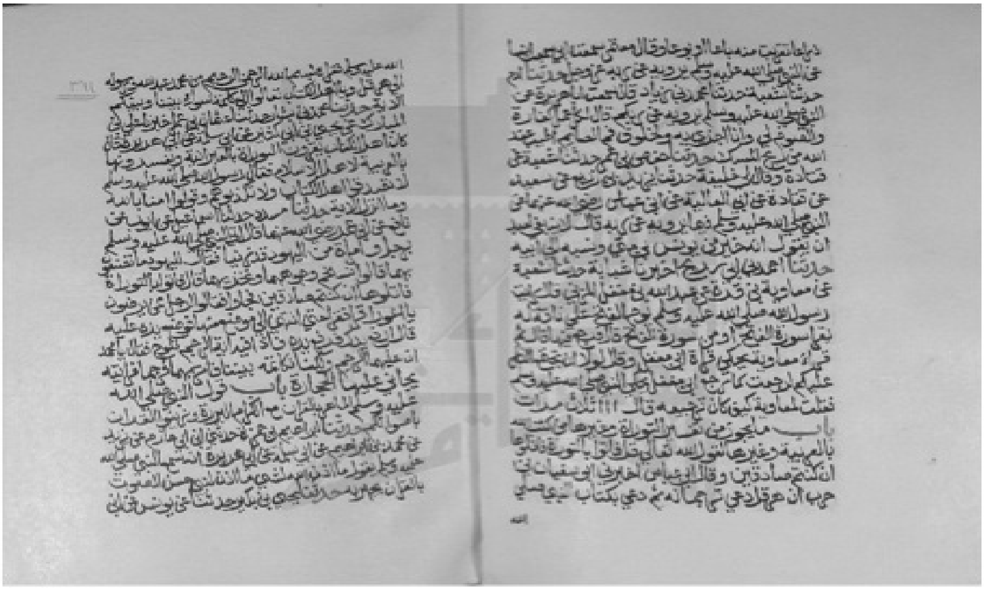


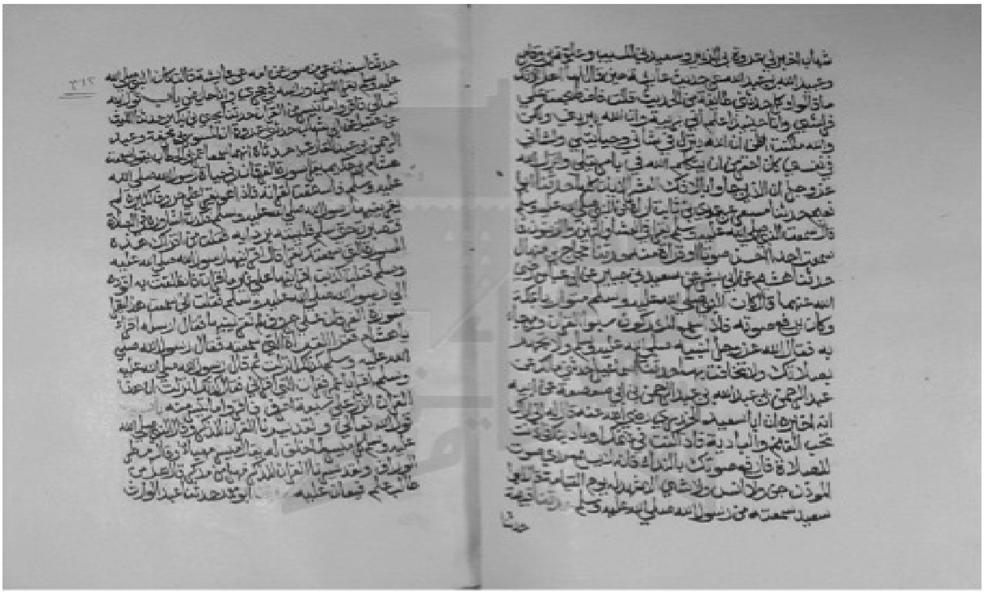

بسم الله الرحمن الرحيم
كتاب الذبائح والصيد

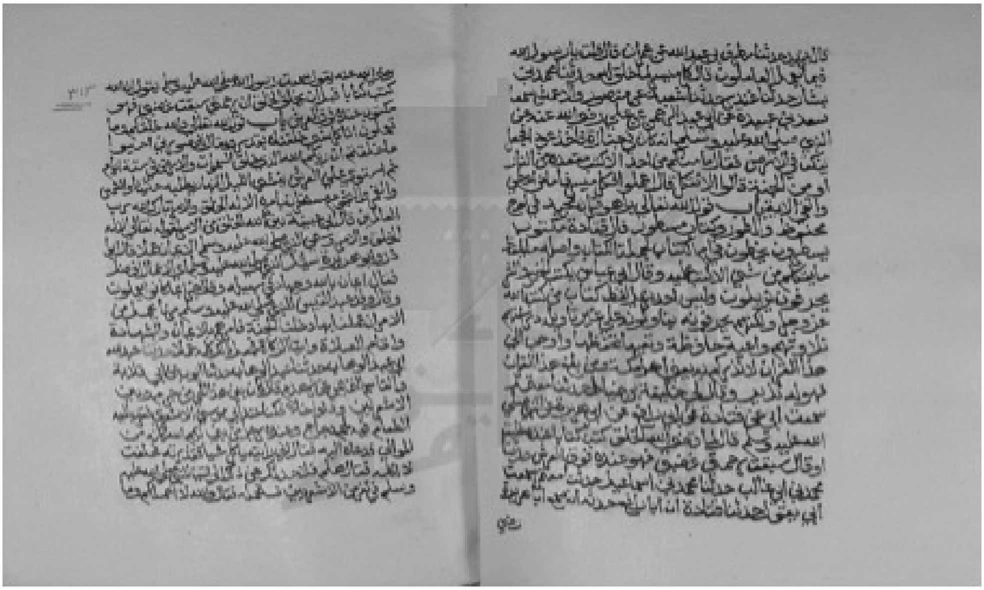




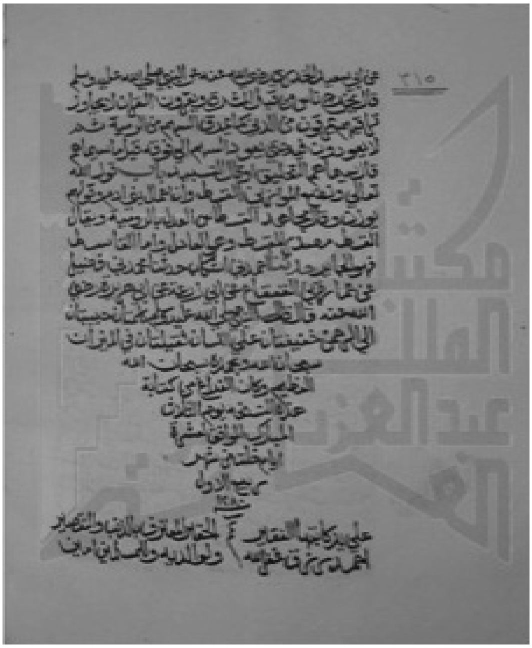












الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج4
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
اسم الناسخ: أحمد رزق
تاريخ النسخ: 1280هـ / 1863 م

نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 314
المقاس: 22 × 15سم
عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:

الذبائح والصيد والتسمية على الصيد وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد﴾ إلى قوله ﴿عذاب أليم﴾
نهاية المخطوط:

... باب قول الله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط﴾ وإن أعمال بني آدم وقولهم يوزن وقال مجاهد القسط من العدل بالرومية... قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)..
المراجع:
مداخل المؤلفين / 50 ؛ الإعلام 6/ 34 ؛ معجم المؤلفين 9/ 52 ؛ كشف الظنون 1/ 541 ؛ هدية العارفين 2/ 16 ؛ الأزهرية 1/ 439 ؛ الورد 1146 ؛ كوبريلي 1/ 181
بيانات الطبع والنشر:
معجم المطبوعات 1/ 535
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود وعناوين الأبواب والفصول وكلمة حدثنا بالأحمر، مصححة، مجلدة بالجلد الطبيعي المزخرف بزخارف هندسية ونباتية بالضغط، عليها آثار أرضة ولها لسان».انتهى

إذن بعـد تقديمنا لهذا العرض المفصل لمؤرشف مكتبـة الملك عبد العزيز العامة في بيان بالنســخ الأصلية للجامع الصحيح للبخاري، المحفوظة بمكتبة الملك عبد العزيـز العامة بالرياض، يتأكد لنا بما لا يدع مجالا للشك، أن هناك تغليط للرأي العام عندما يدعي المؤرشف أن هاته هي النسخ الأصلية لصحيح البخاري، لأنها كلهـا نسخ تبعد عـن التاريخ المعروف لكتابـة صحيح البخاري بمئـات السنين، فكيف إذن يقوم المؤرشف بوصفها بأنها نسخ أصلية لصحيح البخاري، فالنسخة الأصليـة لكتـاب ما هي المخطوطة التي كتبها المؤلف بخـط يده، باعتبار أن ذلك العصر الذي ألف فيه الصحيح، كانت الوسيلة الوحيدة للكتابة هي الخط اليدوي علـى رقعة ما، لكن المؤرشف يصف هاته النسخ التي تبعد بمئات السنين عن وفاة الشيـخ محمد بن اسماعيل البخـاري بأنها نسخ أصلية، رغم أن العديد من هاته المخطوطـات نساخها مجهولـون، والبعض منها يتم فيه تقديـر سنة كتابتها، أو تقدير من قام بخطها، وأغلبها مخطوطات مجزأة من الكتاب، وليست مخطوطات للجامع الصحيح برمته كاملة مكتملة، كما تلاحظون.

إذن لا وجود لنسخة أصلية لصحيح البخاري بخط «مؤلفه»، لا يوجد في جميع مكتبات العالم نسخة مخطوطة بخط من ألف هذا الكتاب، وهاته هي الحقيقة التي يحـاول الشيـوخ إخفاءها عن الناس، ويوهمونهم بأن هاتـه هي النسخ الأصلية لصحيح البخاري، في حين أن هاته نسخ مخطوطة بيد نساخ، ولا نعرف حقا عن أي أصـل آخر تم نسخها، وسنقف على هذا الأمر لنوضحه أيضا في ما تبقى من هذا الكتاب.

ورب سائـل يسـأل، أو معترض يعترض، ليقول إن ما حاولـت نقله إليكم من هاتـه المخطوطات ليس إلا في مكتبـة واحدة من مكتبات العالم الإسلامي الممتد الأطراف، ولربما تكون هناك مخطوطة بخط يد الشيخ البخاري للجامع الصحيح، في إحـدى هاته المكتبات، والرد علـى هذا سآخذه من المؤرشف إبراهيم اليحيى الذي عرض لنا هاته المخطوطات، حيث أكد أن مكتبة الملك عبد العزيز لها اِتصال

وتعامل مع كل مكتبات العالم، ومنها مكتبة الأزهر بمصر، والقرويين بفاس، وكل مكتبـات العالم الإسلامـي، وستلاحظون أن النســخ المعروضة من خلال عرض مؤرشـف مكتبة الرياض لصحيح البخاري تتقدمهـا النسخ المجلوبة من المغرب بالخـط المغربي الأصيل، وبهذا يتضح جليا أنـه لو كان في إحدى مكتبات العالم مخطوطة واحدة لصحيح البخاري بخط الشيخ البخاري لوجدنا نسخة عنها في هاتـه المكتبة، وهذا ما سنجده مستدلا عليـه في البحث الشائق الرائق الذي قام بـه الباحث العراقي الدكتور كوركيس عواد، بعنـوان: «أقدم المخطوطات العربية في مكتبـات العـالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة 500 هـ = 1106 م» من منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية لسنة 1982.

حيث قـام الدكتور كوركيس عـواد بجرد عام للمخطوطـات العربية الموجودة في جميـع مكتبـات العالم، والغريب أنه ومن خلال هـذا البحث القيم، نجد أنه لا وجـود لأي مخطوطة لأي كتاب عربي خـلال القرون الثلاثة الأولى الهجرية إلا مخطوطـات القرآن الكريم وكتاب لسبويه، حيث يوجد فى صفحة (112) من هذا الكتاب تحت رقم مسلسـل:[303] بيانات عن مخطوط:الجامع الصحيح، المشهور بــ:» صحيح البخارى»: تأليف: الإمام محمد بــن إسماعيل البخاري، المولود عام 194هـ-والمتوفى عام 256هـ=870م. الجزء الثالث من تجزئة أربعة أجزاء من الكتاب، فــى مدينة صوفية، تاريخه:407هــ =1016م، فى (109) ورقات برقم[op.801] وهو رمـز إلى القسم الشرقى فـى دار الكتب الشعبية وهما حرفـان باللغة البلغارية السلافيـة، ويقابلها بالكتابـة اللاتينيـة [OR.راجع:د.عدنـان درويش: فهرس المخطوطـات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية (كيريل وميتودى) بصوفية فى بلغاريا [دمشق1969]ص209،تسلسل 27/حديث.ا.هـ].

إذن مــن خلال هذا النقل فأول مخطوطة تاريخيــة لصحيح البخاري تعود إلى سنــة 407 هجرية، أي بعـد وفاة محمد بن إسماعيلٍ البخــاري ب 151 سنة، ولا تمثـل كتاب الجامع الصحيح برمته بـل جزءا يسيراً منه، وهذه مسافة زمنية كبيرة

تفصــل هاتــه المخطوطة عن وفاة البخاري، أي لأكثر مــن ثلاثة أجيال، حيث لا يوجــد ولم يبق على قيد الحياة أي شخص التقــى بالبخاري، أو حتى عاصره مما يطرح السؤال المحــرج، حول ما الذي يثبت علاقة البخاري بهذا الكتاب؟ وأقدم مخطوطــة لجزء جد بسيط من صحيح البخاري يبعد تاريخ نسخها بقرن ونصف عن وفاة البخاري؟.

لم يقــف هذا البحــث القيم لكوركيس عــواد عند هذا الحد ففــي صفحة(113) مــن نفس الكتاب نجــد تحت رقم مسلســل: [304] بيانات عــن مخطوط: الجامع الصحيــح: للبخاري، الجــزء الثانى من نسخــة فى مكتبة برلــين، ب رقم 1156، تاريخه 424هـ=1033م. ا.هـ.

أيضا من خلال هاته المخطوطة سنعرف أن تاريخ نسخها يعود إلى 424 هجرية، أي بعــد وفاة الشيخ محمد بــن اسماعيل البخاري ب 168 سنة، وهاته المخطوطة لاتشمــل صحيــح البخاري برمته، بل هــي أيضا جزء يسير منــه، وبالتالي فهي تبعــد بمسافــة زمنية حرجة عن تاريــخ وفاة البخاري، ووفــاة كل تلامذته أيضا، مما يجعلنا نستغرب حقــا، سيما أن الشيوخ والفقهاء يتحدثون بثقة تامة على أن صحيــح البخــاري الذي بين أيدينا هو للشيخ محمد بــن إسماعيل البخاري، في حــين أن لا دليل قوي لدى هؤلاء علــى ذلك، بل الشواهد والأدلة التي بين أيدينا الآن، ونقدمهــا لك أيها القــارئ من خلال كتابنا هذا، تعاكس ما يتبجح به هؤلاء الشيوخ، وهم لا يعلمون شيئا عن هاته المخوطات.

ويوجد فى صفحة (113) من كتاب الدكتور كوركيس عواد، تحت رقم مسلسل: [305] بيانــات عن مخطوط: الجامع الصحيح: للبخــارى، نسخة فى دار الكتب، عليهــا سمــاع تاريخه[495هــ=1102م]. وقــد نشــر موريتز نموذجا مــن خطها. (MORITZ،PL،128). ا.هـ.

أمــا هاته المخطوطة وهــي التي تمثل نسخة عن صحيح البخــاري برمته، لكنها توجــد في أواخر القــرن الخامس الهجري أي بعد وفــاة الشيخ البخاري بحوالي

239 سنـــة، وهاته مسافة كبـــيرة جدا تفوق الستة أجيال، ومـــع ذلك ما زال لدينا مـــن يتحدث بثقة صارمة على أن صحيح البخاري هو من جمع وتأليف وتصنيف محمد بن إسماعيل البخاري، وهذا أمر أضحى من اليقينيات التي لا تقبل الجدل، في حين لا توجد في العالم أجمع نسخة لصحيح البخاري، بخط الإمام البخاري، أو بخــط أحد تلامذته، حتى إذا تساهلنا، وقلنا بضياع النسخة التي ألفها الشيخ البخـــاري، وخطها بيده، فكتـــب التراث كما في مقدمة كتـــاب الفتح للحافظ بن حجـــر العسقلاني، تقول أنه أخذ صحيـــح البخاري عن الشيخ البخاري أزيد من سبعـــين ألف تلميذ، أي أن هؤلاء خلفـــوا لنا سبعين ألف نسخة لصحيح البخاري، غـــير أن الحقيقة المرة، التي لا يعرفها مقدسو هذا الكتاب هي أنه لا توجد نسخة واحـــدة في العالم أجمع من سبعين ألف نسخـــة مفترضة لصحيح البخاري بخط هؤلاء التلاميذ السبعين ألفا، مما يجعلنا نتساءل بحرقة وبشك هو أقرب إلى اليقين، من ألف صحيح البخاري حقا؟ وهل يمكن أن ننسب كتابا لشخص ما وليس هناك أي أثر يدل على علاقته من قريب أو بعيد بهذا الكتاب؟.

وللإشـــارة فقط فمـــا قلناه حول مخطوطات صحيح البخـــاري ينطبق على كل كتب الحديث بلا استثناء، ونحن اتخذنا صحيح البخاري نموذجا فقط لباقي هاته الكتب المسماة كتب الحديث.

نسخة منجانا:

كنت كتبت قبل خمس سنوات مقالا بعنوان «هل صحيح البخاري ألفه الشيخ البخـاري؟» تحدثـت فيه عن عدم وجـود أية مخطوطة لصحيـح البخاري بخط الشيخ البخاري أو بخط أحد تلامذته أو أحد تلامذة تلامذته، فانبرى العديد ممن تثيرهم الحماسة للـرد علي، فبعد أن أشبعوني شتما وسبا، واتهموني في عقيدتي وإيمـاني، بعد هذا كله اعترفوا بأنني صادق في قـولي أنه لاتوجد نسخة لصحيح البخاري بخطه أو بخط أحد تلامذته، لكنهم قالوا بأن هذا لا يمنع أن يكون صحيح البخاري هو من تأليف البخاري!!

تعجبت حقـا من تكلس هاته العقـول وتحجرها، وحاولـت أن أناقش كلامهم جاهـدا، وأنا أقلب أوجه الكلام، عسى أن يحـدث تواصل بيننا، لكن العديد من هؤلاء الشيوخ حاول التغني بوجود مخطوطة عجائبية لصحيح البخاري اكتشفها المستشرق الإنجليزي «منجانا»، وهي برواية المروزي حسب ما يدعي مؤيدو هاته النسخة، وأنهـا تعد أقدم نسخة مخوطة لصحيح البخـاري، حيث يؤكدون أنها كتبـت سنة 370 هجرية، أي سنة قبل وفاة المروزي المتوفى سنة 371 هجرية، أي أنهـا كتبت بعد وفاة الشيخ محمد بـن إسماعيل البخاري ب 114 سنة، وأنا أكاد أكـون متأكدا، من أن هـؤلاء لا يعرفون شيئا عن نسخة المستشرق منجانا برواية المروزي، لأنهم لو بحثوا حقا في هاته النسخة، لوقفوا على أمور لا تخدم حقا ما يحاولـون إثباته، بل هي تخدم عكس مـا يطمحون إليه، وما يحاولون الاحتجاج لـه، والإستـدلال عليه، ونحن من خلال هذه الفقرة سنحـاول أن نساعدهم على معرفة الحقيقة المتعلقة بنسخة «منجانا».

عندمـا جـاء المستشرق الإنجليـزي منجانا بهاتـه المخطوطة فقـد كان يهدف بالأسـاس إلى الطعـن في صحيح البخاري، ويمكن لكل من يريـد أن يتأكد من ذلـك أن يرجع إلى البحـث المقدم من طرف الدكتور أحمد بن فارس السلوم وهو

شيخ سلفي وهابي، في الرد على الطعون التي قدمها منجانا اعتمادا على نسخته المشهورة، والتي يعتبرها أنصار صحيــح البخاري أقدم نسخة مخطوطة للجامع الصحيــح، ويفتخرون بهــا، وقد عنون الدكتــور أحمد بن فارســ السلوم بحثه بعنوان:» رسالة في الرد على شبه منجانا حول صحيح البخاري» وقد صدر بحثة المنشور على المدونة الشخصية له بهذه الفقرة»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

حضرة الأخ المكرم: أحمد نافع، نفع الله به، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقــد وصلتني رسالتــك المتضمنة بعضــ شبه المستشرق منجانــا الطاعنة في صحيــح البخاري، وطلبتم الجواب عليها، وقد تلكأتُ قليلاً في الجواب لانشغالي ببعضــ الأعمال، إلا أني لم أجد بداً مــن الإستجابة لطلبكم، نصحاً لله ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم، وذباً عن الجامع الصحيح للإمام البخاري.. ولما ذكرتم مــن رغبتكم ترجمــةَ ما نكتب إلى اللغة الإنجليزية، فلعلــه يطلع عليه طالب حق فيهتدي، أو مبتغي نَصَف فيسترشد».

إذن هــذا شيخ من شيوخ الوهابية يؤكد تأكيــدا جازما أن مكتشف أقدم نسخة من صحيح البخاري في العالم أجمع قد جاء بها مكتشفها «منجانا» ليطعن أصلا في صحيــح البخاري، فالدراســة التي صاحبت هاته النسخــة، كانت ترمي إلى الطعــن في صحيح البخاري الذي بــين أيدينا، لكن من يتلقف أي شيء ليدعم به تقديسه لكتاب الجامع الصحيح، ويسميه دليلا، لا يتحقق مما يقدمه من أدلة وهل تخدمه أم تخدم عكس ما يرمي إليه ويهدف؟

ويضيــف أحمد بن فارس السلوم في مستهل رسالته في الرد على شبه منجانا بقوله: «هذا وقد وقفتُ على دراسة منجانا ونُسْخَته تلك منذ زمن طويل، على يد أخينــا الشيخ المفضال أبي أحمد نظام يعقوبــي البحريني، وفقه الله، فإنه زودني

بمصورة من نسخة منجانا من الصحيح وبدراسته عليه، كي أفيد منها في دراساتي عن الصحيح، حيث كنت أشتغل بالمختصر النصيح آنذاك.

وقبـل أن أستعرض مـا أورده منجانا أنبه على أمر غفل عنه بعض الباحثين ممن تصدى للرد على المستشرقين وتفنيد شبههم، ألا وهو:

إنَّ عامة من ألف أو بحث في شبه المستشرقين فإنه يتناول شبههم شبهةً شُبهة بالتفنيد والإبطال، وهذا أمر حسن، إلا أنَّ الأحسن منه أن يبين منهج المستشرقين الذي يبنون عليه شبههم، ويقدحون منه أباطيلهم، فإذا أبطلنا هذا المنهج وبيَّنَا زيفه وبهرجه أبطلنا ما بُني عليه من شبه واهية، بُنيت على شفا جرف هار من منهج علمي زائف، وكشفنا حقدهم وحسدهم الذي أخبرنا به الباري سبحانه وتعالى في غير آية، كقوله تعالى ﴿حسداً من عند أنفسهم﴾ وأكده النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث.

وسأشير لك – أخي المكرم-إلى هذا المنهج الذي تبنوه، والسراب الذي اقتفوه في إيراد أباطيلهم، وترويج شبههم، ثم أورد الحق على شبه منجانا بالتفصيل شبهة شبهة لندمغها به، ونزهق باطلها فـ﴿إن الباطل كان زهوقا﴾»..

الملاحـظ هنا أن أحمد بـن فارس السلوم غاضب جدا مـن منجانا ومخطوطة البخاري، حيث قام بإضافة النسخة إلى منجانا بتعبير يبرز أنه رافض رفضا باتا هاته النسخة والدراسة المرافقة لها، فهو يعتبر أن ما جاء به منجانا مجرد أباطيل وحقد وحسد تندرج في إطار منهج المستشرقين المزيف.

في الوقـت الذي يحاول من يرد علـي في مسألة أنه لا توجد أي آثار تدل على أن الشيخ البخاري له أي ارتباط أو علاقة بكتاب صحيح البخاري المنسوب إليه كما هو بيدنا الآن، في هذا الوقت بالذات نجد باحثا عارفا بحقائق الأمور المتعلقة بنسخـة منجانا برواية المروزي لصحيح البخاري يواجـه هاته النسخة، ويواجه الطعـون المقدمة من صاحبها، ضد صحيح البخاري، وهذا يدل دلالة قطعية على أن هؤلاء لا يعرفون شيئا عن هاته النسخة ويتبجحون بالافتخار والاستدلال بها.

الدكتــور أحمد بــن فارس السلوم يــورد فقرات من كلام منجانــا في دراسته المقدمــة لنسخته المشهــورة، والتي قدم لها الدكتور بوصفهــا بالشبهة الأولى ما نصــه: «نص كلام منجانا» كل حديث سواء كان طويــلًا أوقصيرًا مبدوء بعبارة: «أخبرنــا البخاري قــال حدثنا فلان «وفي أي كتاب آخر ســوف يستنتج القارئ مباشــرًة مــن هذه الكلمات المبدوء بهــا كل حديث أنه لم يكــن المؤلف نفسه هو الذي كتب الكتاب بل هو أحد تلاميذه، ويؤكد هذا الافتراض أنه في بداية كتاب الصوم يذكر في صفحة 26 ب أسماء الرواة أو المحدثين الذين أخبروا كاتب هذه المخطوطــة كأبي زيد محمد بن أحمد المــروزي ومحمد بن يوسف الفربري، وهذا الافتراض يتعذر الدفاع عنــه لمن يهتم ببحث هذه المخطوطة بعناية، ففى الواقع، كاتــب هذه المخطوطة لا يقول «أجازنى شيخي المــروزي المجاز من الفربري، أن أكتــب نص البخاري على طريقة كذا وكذا، ولكنه ببساطة يقدم لنا النص كاملاً مبدوءًا بعبارة: حدثنا المروزي الذي حدثه الفربري أن البخاري حدث فلان... ولا تتنــاول المعلومات المنقولة شفهيا بهــذه الطريقة سوى ذكر الحقيقة التاريخية، أن البخاري تلفظ بهذه العبارة كما هو مذكور فى المخطوطة» أهـ.

منجانــا هنا يحاول تقــديم الدليل من الأسانيد الــواردة في النسخ مما يثبت أن صحيــح البخاري لا وجــود لنسخة أصلية لــه بخط الشيخ البخــاري، وهذا ما استنتجه منجانا أيضا من خلال نسخته التي يشيد بها هؤلاء المدافعين عن فكرة أن صحيح البخاري الذي بين أيدينا الآن هو نفسه الذي ألفه البخاري كما يحاول أن يناقشــ إسناد نسخته، فالقول ب: حدثنا فلان أن فلانا قال، لا تعني بأي حال مــن الأحوال أن هناك إجازة من الراوي لمــن يروي عنه بنسخ النص أو الكتاب، بــل هي روايات تاريخية «قد تكون صحيحة وقد تكــون غير صحيحة» على أن البخاري قال هذا الكلام.

ثم إن منجانــا أيضا يناقش بداية كل إسناد حديث بعبارة حدثنا البخاري عن غــيره، فهل يعقل أن يكون البخاري مؤلف هذا الكلام؟ البداهة تقتضي أن يكون

مؤلــف الكتاب هو أحد التلاميذ وليســ البخاري نفسه وإلا بدأت العبارة بحدثنا فلان، ولن تجد اسم البخاري ضمن سند كل حديث.

ويوضــح منجانا من خلال دراستــه لمخطوطته الشهيرة باسمــه أن مخطوطته تلــك تختلف عن باقي مخطوطات صحيح البخــاري الموجودة لدينا وذلك بقوله: «ميــزة تميزت بها هذه المخطوطة عن غيرها: وتنعكس أيضا الاختلافات التي تميز نصــ هذه المخطوطة مقارنة بما هو موجود في المخطوطات الأخرى في النصوص المطبوعــة في الصياغات لصحيح البخاري التي تظهر كمًّا كبيرًا من الاختلافات في الألفــاظ، وسوف أستشهد بنص باب من أبــواب صحيح البخاري من كتاب الحــج، كما في نقل صحيح البخاري ومذكــور في النسخة الموثقة والمشكّلة التي طبعــت في القاهرة عام 1345 هـ جانبًا إلى جانب، مع نفس الباب كما هو مذكور في مخطوطتنا، وميزة رابعة ظهرت في هذه المخطوطة وهى أن الكتب تختلف عن الترتيب الموجود فى المخطوطات الأخرى والمطبوع...إلخ».

إذن لهــؤلاء الذين يتغنون بمخطوطــة منجانا لصحيح البخــاري، هاهو منجانا يصدمهــم بالحقيقــة المرة، وهي أن أقــدم مخطوطة لصحيح البخــاري في العالم تختلف عن باقي مخطوطات الصحيح، فأي المخطوطات نصدق على أساس أنها هــي من ألف محمد بن إسماعيل البخاري، وهنا يجد الشيوخ أنفسهم في ورطة، حيــث يحاولون الاستدلال بمخطوطة لا تخدم أهدافهــم وأغراضهم، بل تعاكس هاته الأهداف والأغراض.

وحتــى الدكتور السلفــي أحمد بن فارســ السلوم، وهو يحــاول الرد على ما أسمــاه شُبه منجانا لم يستطع تكذيب هذا الــكلام بل أقره، وحاول تبريره بكلام ركيــك غريب وذلك بقوله: «أقول: نعــم، هناك اختلاف بين روايات ونسخ صحيح البخاري، سببه ما ذكرته، من أن البخاري كان يحدث به في أماكن كثيرة، وليس كل الــرواة سمعوه في مجلس واحد، بل يختلــف التاريخ والمكان والظروف التي سمع منها رواة الصحيح من البخاري، وما يقال عن رواة الصحيح عن البخاري

يقال عن رواتهم».

وكأنــه يحــاول أن يقول بأن البخــاري، كان في كل مجلســ يحدث بصحيحه علــى شاكلة وعلى طريقة تغاير الأخرى، فالاختــلاف وارد من الأصل، يعني أن الشيــخ البخاري لم يكن يقرأ من كتاب بــل كان يسرد صحيحه مشافهة، وكان يقدم ويؤخر، بشكل مغاير في مجلس عن سابقه، وهذا الكلام فيه خبء معناه أنه ليست لنا عقول، فالكل يعرف أن البخاري –حسب الروايات المنقولة إلينا- ألف كتابا وخط مخطوطة، وسماها «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللــه صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامــه» وشهرتها الجامع الصحيح أو صحيح البخــاري، فلا معنى للحديــث عن اختلاف الرواية باختــلاف مجلس التحديث، وسنتكلــم عن اختلاف النسخ بشــكل تفصيلي في المسألة المتعلقة بذلك من هذا الفصل.

ويؤكــد منجانا على أن شــراح صحيح البخاري كلهــم لم تتوفر لديهم نسخة أصلية وأصيلة لصحيح البخاري، بل لم تتوفر لديهم حتى نسخة من نسخ التلاميذ وذلك بقوله: «وقد اطلعتُ على النصوص المطبوعة لهذه الشروح وفوجئت بأنهم لم يكن لديهم النصوص القديمة للصحيح، سوى ما أعده السمعاني وابن عساكر والصغاني واليونيني، ومن المعلوم أنهم غالبًا ما يشيرون إلى الفربري والكشميهني ورواة قدامــى آخرين، ولكنهم لم يتوفر لديهم نصٌّ مكتوبٌ بأيديهم، ويبدو أنهم تعلموا هذه النصوص فقط على الطريقة التقليدية ومن أعمال محدثين متأخرين مثل أبي ذر وأبي الوقت وغيرهم.

ومــن بين ال 27 شارحًا الذين ذكرهم بروكلمان يحــدد تاريخ وفياتهم جميعًا- باستثنــاء واحدًا منهم-بعد عام 559 هـ، وهــي الفترة التي قد استقر خلالها نص البخاري في شكله النهائي تقريبًا على يد أفضل الرواة المحققين الأوائل للنص: وهمــا أبــو ذر وأبــو الوقت، ولذلك يعتــبر عملهم من ناحية النقــل القديم لنص البخاري ليس له قيمة كبيرة.» أهـ.

فكل متمعــن في هذا الكلام يرى كيف حاول منجانا من خلال دراسته أن يبرز أن صحيــح البخــاري كان تأليفه تدريجيا وعبر العصــور، فكل شيخ من شيوخ الحديث الذين تعاملوا مع هذا الكتاب زادو فيه أو نقصوا ليستقر بشكله النهائي -حسب منجانا- خلال أواسط القــرن السادس الهجري، أي بعد مرور أزيد من 300 سنة على وفاة البخاري.

ويؤكـد كلامــه بتقديم مجموعة من الأدلــة المتعلقة بتلامذته ونذكـر منها قوله: "ولكــن على حد علمــي ليس هناك أي لفظ يشير إلى وجود وثيقة مكتوبة بخط يــد هذا الراوي...وثمة نقطة هامة أخرى ينبغي الانتباه لها هنا وهي أنه كان هناك العديــد من الأقــوال الشفهية للفربري، الذي كان قــد رأى البخاري وسمع منه، تلقاهــا كل من تلاميذه المروزي والكشميهنــي وانتقل عن طريقهم إما مكتوبًا أو شفهيًا إلى المحدثين ممن بعدهم وقد لفتنا الانتباه إلى ثلاثة روايات شفهية اثنتان من النص المطبوع وواحدة من المخطوطة الحالية..ثم قام رواة متأخرون بدمجٍ هذه الأقوال الشفهية للفربري داخل نص الصحيح نفسه وبهذا بات يحوي كثيراً من الألفــاظ التي لم تنشأ عن البخاري نفسه، بعض هذه الألفاظ يحتمل أنها كتبت بواسطة بعض الرواة القدامى على الملاحظات الهامشية في النص والتي يحتمل أنها تجسدت مؤخرا في نص الصحيح عن طريق رواة متأخرين كثر مثل أبي ذر وأبــي الوقت، وبخصوص المخطوطة التي نحن بصددها يشير الكاتب إلى أقوال شفهيةٍ للفربري على أنها أقوال مأثورة طارئة على نص البخاري ومع ذلك تُدمج كثــيراً من المخطوطات الحديثة أقوال الفربري علــى أنها جزء من نص البخاري (الأصلــي) تحــت كنية الفربري (أبو عبــد الله) بدون تفسير لذلــك، وربما لم يكن النســاخ علــى دراية بأيهما كان هو أبو عبد الله، ويحتمــل أنه كان أحد المصادر الشفويــة للبخاري نفسه وترك الأمر إلى المحققين النقاد والشراح للصحيح مثل السمعاني وبالأخص العسقلاني لإتمــام عملية التمييز في نصوصهم بين الألفاظ الأصليــة التي هي من البخــاري وبين الإقحامات المزيفة التــي أدخلت فيه على

شكل تعليقات شفوية للرواة الأوائل" أهـ.

هاتــه الزيادات لم ينكرها الدكتور محمد بــن فارس السلوم في معرض تفنيده لشبهات منجانا بل حاول جاهداً أن يهون من أمرها معترفا بوجودها وذلك بقوله: «هــذه الزيــادات قليلة جداً، وعامتها في تعيين مهمــل، أو رواية كلمة سمعها من البخاري خارجة عن الحديث».

وبعد هذا نطرح السؤال المجهري هنا، حول ما إذا كانت هاته النسخة التي جاء بها منجانا هي فعلا للمروزي تلميذ الفربري وصاحب الحلم الشهير الذي أوردناه في فصــل أسطورة البخــاري، حينما رأى الرسول في المنام وطلب منه أن يدرس كتابــه ولما سأله عن كتابه أخبره الرسول في المنام، أن كتابه هو صحيح البخاري، إذن مــا هي الأدلــة المتبعة لمعرفة من هو صاحب هاتــه النسخة؟ يجيبنا على هذا الســؤال الشيخ الدكتور أحمد بن فارس السلوم أيضا في دراسة لنسخة منجانا هاته نشرها على موقع أهل الحديث يقول في مقتطف منها: «لم يتضح لي من هو كاتب النسخة، ولا يوجد في النسخة ما يدل عليه، إلا أنه متقن للغاية، فقد قابلها وراجعها، كما تدل على ذلك التصحيحات على هامش النسخة، والعلامات الدالة على بلوغ المقابلة.

ولم أستطع كذلك تحديد تاريخ نسخها إلا أن السماعات والأسانيد المثبتة على طــرة النسخة، والتملــكات في أولها قد دلت على الحقبة التــي تلي كتابتها، كما ستراه قريبــا، وبشكل عام فإن الخط أشبه ما يكون بخطــوط القرن الرابع، والله تعالى أعلم» انتهى.

إذن فالشيخ السلفي احمد بن فارس السلوم يؤكد تأكيدا تاما واضحا لا لبس فيــه على أن نسخــة منجانا هاته ليس عليها اسم من قــام بنسخها، وليس هناك في هاتــه النسخــة ما يدل عليه، فلماذا يشبعنا هؤلاء كلامــا انشائيا حول نسخة منجانــا برواية المروزي؟ في حين أن ناسخها غير موجــود عليها، وليس هناك ما يدل عليه، بل يتضح أنه حتى تاريخ نسخ هاته المخطوطة غير موجود عليها وغير

معــروف، فكيف تعرف هؤلاء على أنهــا للمروزي أو بروايته؟ وكيف حددوا تاريخ المخطوطــة؟ هل اعتمدوا على الوسائل العلمية الكيميائية في التعرف على تاريخ المخطوطــات؟ لا، أبداً فقد اعتمدوا التخمين فقــط، واعتمدوا على الظن الذي لا يغنــي عن الحق شيئا، وفي هذا يقول الشيخ أحمــد بن فارس السلوم وهو يدافع عن نسخة منجانــا لصحيح البخاري، وأرجو أن ينظر الجميع طريقته الرقيقة في فضــح نفســه وفضح كل من يتبجح بهاتــه المخطوطة: «وأما مــا ورد في دراسة منجانــا وتبعه سزكين وغيره من تحديد تاريخ كتابتها سنة 370هـ فهذا لم أجد في النسخــة ما يدل عليه، وقد استنتجــه منجانا استنتاجا كما يظهر من دراسته ولم يجــده نصًا، حيث جعله قبل تاريخ وفــاة أبي زيد بسنة واحدة، فإن أبا زيد توفي سنــة 371هـ، فافترض أن النسخة مكتوبــة في زمانه لأجل التصريح باسمه فيها فجعله قبيل وفاته بسنة.

ولكــن قــدم الخــط أولا، وســوق الإسنــاد من أبــي زيــد ثانيا قد يــدل على هــذا التاريــخ، وعلــى أن النسخــة كتبــت في حيــاة أبــي زيــد أو علــى الأقل في حيــاة راو عــن أبــي زيــد، والأول أرجــح لأن النسخــة لو كانت لــراو عنه لصــرح باسمــه، مــع أنــه لا يمكننــا الجــزم بشــيء لأن الكتــاب ناقصــ، فربما كان في الأوراق الساقطــة مــا يحــدد تاريــخ النســخ واسم الناســخ والراوي. إلا أن أقــدم سماع على النسخة مقروء مؤرخ في رمضان من عام 464هـ أي بعد وفاة أبي زيد بنحو 94 سنة» انتهى.

هــل يمكننا أن نضيف على هذا الكلام كلاما آخر؟ فهذا النقل من كلام الدكتور أحمــد بن فارس السلــوم، يوضح لنا بأن نسخة منجانــا ليس هناك ما يدل على تاريخ نسخها، ولا ما يدل على من قام بنسخها، وأنهم اعتمدوا على الظن فقط، للقول بأنها نسخت على عهد المروزي، وأن تحديد تاريخ نسخها هو تخمين فقط، لكن الشيــوخ يوهمون العامة أنها فعلا نسخت سنة قبــل وفاة المروزي أي سنة 370هـ أي بعد وفاة البخاري ب 114 سنة، لكن الحقيقة الماثلة أمامنا، فأقدم سماع

موجود على هاته النسخة هو بعد وفاة المروزي ب 94 سنة، أي بعد وفاة البخاري بأزيد من 200 سنة، ولكم أن تعجبوا من هاته الشقلبات التي تحاول إيهام الناس، بدل قول الحقيقة لهم.

ثـم إن هاته المخطوطـة التي نتحدث عنهـا لاتغطي صحيح البخـاري بتمامه وكمالـه، بل تغطي جزءا يسيرا منـه حسب ما أكده شيخنا السلفي السلوم بقوله إن هاتـه النسخـة تضم 52 ورقـة فقط وهي وريقات يسـيرة وقليلة، بل لا تكاد تذكر، بالمقارنة مع صحيح البخاري الذي نتداوله اليوم.

أيضا مـن الأمور التي لا يعرفها الكثيرون عن نسخـة منجانا أنه مثبت عليها إسم غير الذي نعرفه لصحيح البخاري، ولنترك أحمد بن فارس السلوم يقدم لنا شهادة شاهد من أهلها عسى أن يصدقه السلفيون فهو أحد شيوخهم المعتمدين، يقـول في نفس الدراسـة لنسخة منجانا: «أما هذه النسخـة – نسخة أبي زيد – فالموجود منها إثنتان وخمسون ورقة، ثبت في الورقة الأولى ما صورته:

الجزء الثاني من الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه.

تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

واستفدنـا اسم الكتاب كاملا، وأنـه: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم وسننه، هكذا ثبت في هذه النسخة.

بينمـا قال النووي في تهذيب الأسماء: أما اسمه: فسماه مؤلفه البخارى، رحمه اللـه: الجامـع المسند الصحيح المختصـر من أمور رسول اللـه - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه أهـ»

إذن فهاتـه المخطوطـة الشهـيرة بنسخة منجانـا هي جزء يسـير من صحيح البخـاري، ومكتوب عليها اسم آخر غير الاسم الـذي نعرفه لصحيح البخاري، والـذي يعرفـه الشيخ السلـوم وكل الفقهاء والمحدثين، لنقف علـى حقيقة هاته النسخـة المضطربـة والتي يعتبرها الشيوخ والفقهاء بأنهـا أقدم نسخة لصحيح

البخاري في العالم أجمع.

أظن بأن هذا القدر يكفي في التعريف بهاته النسخة المنسوبة لأبي زيد المروزي والشهيرة بنسخة منجانا، لنقف على حقائق تؤكد وتسير في اتجاه أن هذا الكتاب لا يتصل اتصالا قاطعا وجازما بمحمد بن إسماعيل البخاري، وسنتحدث في المسألة المتعلقة باختلاف نسخ صحيح البخاري عن هاته النسخة واختلافها عن باقي النسخ الأخرى في هذا الفصل الأخير من هذا الكتاب.

صحيح البخاري والتلاميذ:

لا يمكـن أن نتحدث عن صحيح البخاري ونسبتـه للشيخ محمد بن إسماعيل البخـاري، بدون أن نتحدث عن همزة الوصل، التي تؤكد نسبة هذا الكتاب لهذا الرجل، وهم التلاميذ وتلاميذ التلاميذ، فالمشهور المعروف أن الشيخ البخاري كان لـه آلاف التلاميذ الذين أخذوا عنـه صحيح البخاري، لذلك خصصنا هذا الباب مـن هذا الفصل لنقف على مـا أخبرنا به التلاميذ من نقـول وأقوال حول كتاب الجامـع الصحيح، لنعرف هل صحيح البخـاري الذي بين أيدينا الآن هو فعلا من تأليـف هذا الرجل، أو على الأقل، بقي على حالـه كما ألفه البخاري، إن كان قد ألفـه أصلا؟ أم لحقت به تغييرات وزيادات أدخلهـا فيه كتَّاب آخرون حتى تحول إلى ما هو عليه الآن؟.

مقدسـو البخاري يتغنـون دائما، حينما يحاولون الرد علـى من ينتقد صحيح البخاري، بأن هـذا الصحيح أخذه عن محمد بن إسماعيل البخاري تسعون ألف تلميـذ، فكتاب «صحيح البخاري» سمعه تسعون ألف رجل» من الإمام البخاري نفسه، كما أخبر بذلك أحد أشهر تلاميذه، وهو محمد بن يوسف الفربري (المتوفى سنة 320هـ). ينظر «تاريخ بغداد» (2/9)، «تاريخ الإسلام» (7/375).

إذن فصحيح البخاري- وفقا لهاتـه الرواية- تواتر عن البخاري نفسه، وبذلك فتواتـر صحيح البخاري عن البخاري، ينافس تواتر القرآن الكريم، حسب ادعاء هـؤلاء، وسيصبـح البخـاري أشهر أستاذ حديـث في التاريـخ الإسلامي، فهو الوحيد الـذي علم خلال سنوات قليلة تسعين ألف تلميـذ سمعوا منه الصحيح، ولو افترضنا جدلا، أن البخاري كان يدرس كتابه الضخم لمائة تلميذ في الشهر، فسيحتاج البخاري إلى 75 سنة ليتعلم هذا العدد الكبير كتاب صحيح البخاري، أي سيحتـاج البخاري إلى سنوات أكثر مـن السنوات التي عاشها، كي يتمكن من تعليم كتابه وتلقينه لتسعين ألفا من التلاميذ.

لكن الأغرب من ذلك أن هؤلاء التلاميذ التسعين ألفا، لم يتركوا لنا نسخة واحدة لصحيح البخاري، فالمفروض أن نجد في مكتبات العالم الآن آلاف المخطوطات التي تركها هؤلاء التلاميذ، لكن الحقيقة الماثلة لدينا هي أن تلاميذ البخاري التسعون ألفا لم يتركوا لنا أية نسخة، وتلميذ البخاري الفربري يؤكد أن البخاري تلقى عنه هذا العدد من التلاميذ كتاب الجامع الصحيح.

بل الأدهى والأمر والأغرب أن هؤلاء التلاميذ التسعين ألفا، من المفترض أن يكون لديهم تلاميذ أيضا، فلو أن كل واحد منهم، علم عشرة تلاميذ فقط صحيح البخاري، لأصبح لدينا تسعمائة ألف تلميذ، وبالتالي فسيكون لدينا تسعمائة ألف مخطوطة لصحيح البخاري في الجيل الثاني بعد جيل تلامذة البخاري، لكن لا يوجد في العالم أجمع نسخة واحدة بخط أحد تلامذة تلامذة البخاري، ومن حقنا هنا أن نتساءل عن حقيقة هذا الكلام، الذي يدعيه من يتعلقون بقشة، أمام سيل الأدلة الجارفة الماحقة، التي تجعل الهوة كبيرة بين البخاري وهذا الكتاب المنسوب إليه، فالحقيقة الواضحة الجلية، تؤكد أنه لا يوجد أي تواتر لهذا الكتاب عن محمد بن إسماعيل البخاري، مما يجعلنا نقف وقفة أمام الادعاء القاضي بانتساب الجامع الصحيح لهذا الرجل.

وحتى لا نسترسل كثيرا في مناقشة حكاية التسعين ألف تلميذ الذين أخذوا صحيح البخاري عن البخاري، نجد أن الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء الجزء الخامس عشر، الصفحة 12 يؤكد على أن هاته الرواية غير صحيحة وذلك بقوله: « ويروى -ولم يصح-أن الفربري قال: سمع «الصحيح» من البخاري تسعون ألف رجل، ما بقي أحد يرويه غيري. قلت: قد رواه بعد الفربري أبو طلحة منصور بن محمد البزدوي النسفي، وبقي إلى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة».

لكن رغم تضعيف الحافظ الذهبي هذا الخبر فقد اعتمد في تضعيفه على أن النسفي وهو تلميذ البخاري أيضا قد روى الصحيح عن شيخه البخاري،

ولم يشــكك في مسألة تسعين ألف تلميذ، بل شــكك في أنه لم يرو الصحيح عن البخاري غير الفربري، لكن الحقيقة الماثلة أمامنا الآن أيضا أنه لا توجد في العالم أجمع نسخة واحدة لصحيح البخاري بخط الفربري أو عديله النسفي، كما يوهم بعضهم الناس بسرد مثل هاته الروايات.

وبمــا أن الشيــوخ الذين يمثلون الكهنــوت الديني، مغرمــون بالاستدلال بأقوال الرجــال، واعتبارها كلامــا مقدسا لا يناقش، وبما أن الشيــوخ يحبون عند انتقاد البخاري الاستشهاد بتلاميذ البخــاري، فنحن أيضا سنحتكم وإياهم إلى هؤلاء التلاميــذ، وسنقبل بحكمهم مادام شيوخنا لا يقبلــون عند النقاش إلا بتصريف أقــوال سلفهــم، واعتمادهــا عند كل نقاش حجــة ما بعدها حجــة، فنحن أيضا يسعدنــا أن نجاريهــم في ذلك، عســى أن نلتقي وإياهم علــى صعيد أمر مشترك، لذلك يسعدني هنا أن أنقل شهادة هؤلاء التلاميذ في صحيح البخاري.

ورد في مقدمة كتــاب الفتح ما يلي: «وقال الحافظ أبو إسحاق: انتسخت كتاب البخارى من أصله الذي عند صاحبه محمد بن يوسف الفربرى فرأيت فيه أشياء لم تتــم وأشياء مبيضه منها تراجم لم يثبــت بعدها شىء وأحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك إلى بعض».

إذن وبحســب هــذا النص نجــد أن المستملــي يؤكد أنه انتســخ كتاب صحيح البخــاري من أصلــه، أي من مخطوطة البخاري نفسه، والتــي كانت عند تلميذه الفربــري، لكنه بعد ذلــك يؤكد لنا على أنه وجد هذا الكتــاب لم يتم بعد، أي أن البخاري مات قبل أن يكمل كتابه الصحيح، ويبين ذلك المستملي بالتفصيل حين يؤكــد ذلك بقولــه «فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشيــاء مبيضه منها تراجم لم يثبت بعدها شىء وأحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك إلى بعض» إذن فالبخاري لم يتمــم كتابه، ولم يبيضه حيث كان مسودة فقط، وأن التلاميذ وتلاميذ التلاميذ تدخلوا في الكتاب حينما وجدوا تراجم لم يثبت بعدها شيء، وأحاديث لم يترجم لهــا، فأضافوا بعض ذلك إلى بعض، فهاته الشهــادة للمستملي والتي نقلها عنه

الباجي، ونقلها عن الباجي ابن حجر العسقلاني، تؤكد لنا بما لا يدع مجالا للشك علــى أن التلاميذ تدخلوا في الكتاب وبدلــوا فيه وغيروا، بعدما قدروا أنه لم يتم بعد، لكن الشيوخ يبحثون عن تبريرات غريبة لتفسير هذا الكلام الجلي الواضح البين، والذي بمقتضاه يمكن أن نفهم أن صحيح البخاري الذي بين أيدينا الآن:

1- البخاري مات قبل أن يبيض كتابه.

2- صحيح البخاري لم يتم.

3- وجود تراجم في صحيح البخاري لم يثبت بعدها شيء.

4- وجود أحاديث في صحيح البخاري لم يترجم لها

5- أضاف التلاميذ بعض الأحاديث التي لم يترجم لها إلى بعض التراجم التي لم يثبت بعدها شيء.

مــن خــلال هذا الكلام نتأكــد أن صحيح البخاري الذي بــين أيدينا الآن ليس هو صحيح البخاري الــذي ألفه محمد بن إسماعيل البخاري –على الأقل- فقد تدخل التلاميذ وتلاميذ التلاميذ في الكتاب بالزيادة والنقصان والإضافة.

لا أعــرف كيف سيتقبل الشيوخ هــذا الكلام، الصادر من شيوخ يعتبر كلامهم فيصلا لديهم، ولا نقاش فيه أو عليه في هذا الباب، ولتزكية كلامنا وتأكيده، ننقل لكم ما قاله أبو الوليد الباجي لتأكيد كلام هؤلاء التلاميذ حيث ورد في (التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ج1 ص310) : "قال أبو الوليد الباجــي: ومما يدل على صحة هذا القول رواية أبي إسحاق المستملي، ورواية أبي محمد السرخسي ورواية أبي الهيثم الكشميهني ورواية أبي زيد المروزي مختلفة بالتقديم والتأخير مع أنهم انتسخوا من أصل واحد! وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرّة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما، فأضافه إليه، ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث".

الغريــب في الأمــر أن الفقيــه المحــدث المالكــي أبــو الوليد الباجــي 15(ذي القعدة 403هـ - 19 رجب 474 هـ) يؤكد أن هؤلاء التلاميذ جاءت نسخهم مختلفة،

مع أنهم انتسخوا نسخهــم من أصل واحد، وهو صحيح البخاري بخط صاحبه، أي من أصله، فكيف يعقل أن تنسخ جماعة من الناس- وهم ليسوا أناسا عاديين - من أصل واحد وتأتي هاته النسخ مختلفة؟!

لكــن الباجي يفسر الأمر بقوله: «وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طــرة أو رقعة مضافة أنه مــن موضع ما، فأضافه إليه، ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث».

إذن فحتــى هذا العلــم من أعلام «علــم» الحديث،يؤكد تأكيــدا جازما على أن التلاميذ أضافوا وتدخلوا في كتاب الجامع الصحيح، حتى سار إلى شكله النهائي الذي بين أيدينا الآن، لكن من يعقل هذا الكلام، وينتهي عن تقديس كتاب اعتبر زورا وبهتانــا أصح كتاب بعد كتــاب الله، حيث يكسونه حلل القداسة والتنزيه، بــل ويكفرون أهل القبلة إن أنكروا رواية من مروياته، ولا يتورعون، ولا يراعون للــه ولا لخلقه حرمة، ولا يستعملون عقولهم التي وهبها الله لهم، كي يقفوا على الحقيقة التي تضع الشيخ البخاري وهذا الكتاب المنسوب إليه ظلما، في مكانهما النسبي، البشري، الذي يجري عليه ما يجري على البشر من خطإ ونسيان وسهو وإصابــة، لكن ابتلينــا في القرن الواحد والعشرين من أنــاس من أمتنا لا يزالون يؤمنــون بمثل هاته الخرافات والضــلالات، ولا يفسحون مجالا للبحث والتنقيب والتأكــد من المعلومة عــبر مصادر كثيرة وقوية، وكلها تؤكــد وتسير في اتجاه أن محمد بن إسماعيل البخاري بريء من هذا الكتاب، براءة تامة أو جزئية، بشهادة التلاميــذ الذين قالــوا حسب ما نقلناه بــأن صحيح البخــاري لم يكتمل، وأنهم تدخلــوا في الكتاب وأضافوا فيه إضافات تعبر عن تقديراتهم الشخصية، فكيف يمكــن القول إن صحيــح البخاري الذي بــين أيدينا اليوم، هو مــا ألفه البخاري، والشيــوخ الذين وصــل إلينا هذا الكتاب عن طريقهم يؤكــدون أنهم أضافوا ما أضافوه لهذا الكتاب.

ومــع هذا كلــه يجب أن نسجل للقــارئ الكريم والقارئة الكريمــة، أن ما تحدث

عنه هؤلاء التلاميذ وتلاميذ التلاميذ، مــن النسخ التي انتسخوها، وأضافوا إليها وتصرفوا فيها، حتى هاتــه النسخ فهي غير موجودة بين أيدينا الآن، وقد فصلنا بإسهاب في هذا الأمر، بالباب المتعلق بالنسخة الأصلية لصحيح البخاري وأكدنا أن أقدم نسخة لصحيح البخاري توجد على مسافة أزيد من مائتي عام على وفاة البخــاري، وهي نسخة لا تحمل اسم من نسخها، ولا ما يدل عليه، ولازالت لدينا حجج أخرى سنوردها في الأبواب المتبقية من هذا الفصل.

صحيح البخاري والحافظ بن حجر العسقلاني:

يعتــبر الحافظ ابن حجر العسقــلاني، من أشد المنافحــين والمدافعين عن كتاب الجامع الصحيح عبر التاريخ، وشرحه «فتح الباري» من أشهر الشروح، وأكثرها اعتمــادا لــدى الشيوخ المعاصريــن، وابن حجر تحمل عبء تبريــر مجموعة من المتناقضــات التي تعتمل في هــذا الكتاب، كما حاول جاهــدا أن يتصدى لحجم الانتقادات التي تم توجيههــا لكتاب صحيح البخاري، لكن رغم ذلك كله، وجد نفســه مرات عدة في ورطــة، جعلته يحار في الدفاع عن هــذا الكتاب، واعترف مرّات عدة أنه كان يتكلف أحيانا في الرد على المنتقدين، وسنقوم في هذا الفصل بتوضيح مجموعة من الأمور التي وجد ابن حجر نفسه غارقا فيها وهو يدافع عن الجامع الصحيح، المنسوب لمحمد بن إسماعيل البخاري.

وقــد أوضح الإشكالات التــي عاناها مع الكتاب معترفــا بالانتقادات الكثيرة الموجهــة إليه وذلــك بقوله في خطبة مقدمة الفتح «وَقــد استخرت الله تعالى في أن أضــم إليه نبذا شارحة لفوائده مُوضحَة لمقاصــده كاشفة عَن مغزاه في تَقْيِيد أوابــده واقتناص شوارده وأقدم بَين يَدي ذَلك كُله مُقَدّمَة في تَبْيِين قَوَاعدَه وتزيين فرائده جَامعَة وجيــزة دون الإسهاب وَفَوقَ الْقُصُور سهلةَ المأخذ تفتحَ المستغلق وتذلــل الصَعاب وتشرح الصُّــدُور وينحصر القَوْل فِيهَا إِن شَــاءَ الله تعالى فِي عشرَة فُصُول:

الأول في بَيَان السَّبَب الْبَاعث لَهُ على تصنيف هَذَا الْكتاب.

الثَّــانِيَ فِي بَيَان مَوْضُوعه وَالكشف عَن مغزاه فيــه وَالْكَلَام على تَحْقِيق شُرُوطه وَتَقْرِير َكونَه من أصح الْكتب المصنفة في الحَدِيث النَّبَوِيّ ويلتحق به َالْكَلَام على تراجمــه البديعة المنال المنيعة الْمِثَال الَّتِيَ انْفَــرَد بتدقيقه فِيهَا عَن نظَرائه واشتهر بتحقيقه لَهَا عَن قرنائه.

الثَّالِــث فِي بَيَان الْحِكْمَة فِي تقطيعه للْحَدِيث واختصاره وَفَائِدَة إعادته للْحَدِيث

وتكراره.

الرَّابِع فِي بَيَان السَّبَب فِي إيرَاده الأحاديث الْمُعَلقَة والآثار الْمَوْقُوفَة مَعَ أَنَّهَا تبَاين أصل مَوْضُوع الْكتاب والحقت فِيهِ سِيَاق الأحاديث المرفوعة الْمُعَلقَة وَالإِشَارَة لمن وَصلهَا على سَبِيل الإخْتصَار.

الْخَامِس فِي ضبط الْغَرِيب الْوَاقِع فِي متونه مُرَتبا لَهُ على حُرُوف المعجم بألخص عبارَة وأخلص إشَارَة لتسهل مُرَاجعَته ويخف تكراره.

السَّادِس فِي ضبط الأسْمَاء المشكلة التي فيه وَكَذَا الكنى والأنساب، وَهِي على قسمَيْن الأول المؤتلفة والمختلفة الْوَاقِعَة فِيهِ حَيْثُ تدخل تحت ضَابِط كلي لتسهل مراجعتهــا ويخف تكرارها وَمَا عدا ذَلِك فَيذكــر فِي الأصْل وَالثَّانِي الْمُفْردَات من ذَلِك.

السَّابِع فِي تَعْرِيف شُيُوخه الذين أهمل نسبهم إِذا كَانَت يكثر اشتراكها كمحمد لَا من يقل اشتراكه كمسدد وَفِيه الْكَلَام على جَمِيع مَا فِيهِ من مهمل ومبهم على سِيَاق الْكتاب مُخْتَصرا.

الثَّامِــن فِي سِيَــاق الأحاديــث الَّتِــي انتقدها عَلَيْــه حَافظ عصــره أَبُو الْحسن الدَّارَقُطْنِيّ وَغَيره مــن النقاد وَالْجَوَاب عَنْهَا حَدِيثا حَدِيثا وإيضاح أنه لَيْسَ فِيهَا مَا يخل بشرطه الَّذِي حققناه.

التَّاســع فِي سِيَــاق أسمَاء جَمِيع مــن طعن فيه من رِجَاله علــى تَرْتِيب الْحُرُوف وَالْجَــوَاب عَن ذَلك الطعْن بطريــق الإنصاف وَالْعدْل والاعتــذار عَن الْمُصَنّف فِي التَّخْرِيج لبَعْضهمَ مِمَّن يُقَوي جَانب الْقدح فيه إما لكَونه تجنب مَا طعن فيه بِسَبَبِه وَإِما لكَونه أخرج مَا وَافقه عَلَيْه من هُوَ أقوى مِنْهُ وَإِما لغير ذَلِك من الأسْبَاب.

الْعَاشِر فِي سِيَاق فهرسة كتَابه الْمَذْكُور بَابا بَابا وعدة مَا فِي كل بَاب من الحَدِيث وَمِنْــه تَظهر عدَّة أَحَاديثــه بالمكرر أوردته تبعا لشيخ الإسلام أبــي زَكَرِيَّا النَّوَوِيّ رَضِي الله عَنهُ تبركا بِه ثمَّ أضفت إليه مُنَاسبَة ذَلك مِمَّا استفدته من شيخ الإسلام أبــي حَفْــص الْبُلْقِينِيّ رَضِي الله عَنهُ ثــمَّ أردفته بسِيَاق أسمَــاء الصَّحَابَة الَّذين

اشْتَمَــل عَلَيْهم كتَابــه مُرَتبا لَهُم على الْحُرُوف وعد مَا لــكل وَاحد منْهُم عنْده من الحَديــث وَمنْه يظْهر تَحْريــر مَا اشْتَمَل عَلَيْه كتَابه من غــير تَكْرَير ثمَّ ختمت هَذه الْمُقدمَــة بترجمة كاشفة عَن خَصَائصه ومناقبه جَامعَة لمآثره ومناقبه ليَكُون ذكره وَاسطَة عقــد نظامها وسرة مسك ختامها فَإذا تحررت هَذه الفصُول وتقررت هَذه الأُصُــول افتتحت شرح الْكتاب مستعينــا بالفتاح الْوَهَّاب فأســوق إن شَاءَ اللَه الْبَاب وَحَديثه أولا ثمَّ أذكر وَجه الْمُنَاسبَة بَينهمَا إن كَانَت خفية ثمَّ أستخرج ثَانيًا مَــا يتَعَلَّق بِه غَرَضــ صَحِيح في ذَلك الحَديث من الفوَائــد المتنية والإسنادية من تتمات وزيادَات وكشف غَامض وتَصريح مُدَلّس بسَمَاع ومتابعة سامع من شيخ اخْتَلَط قبل ذَلــك منتزعا كل ذَلك من أُمَّهَات المسانيــد والجوامع والمستخرجات والأجــزاء والفوائد بشَرْط الصِّحَّة أو الْحســن فيمَا أورده من ذَلك وثالثا أصل مَا انْقَطــع من معلقاته وموقوفاته وَهُنَاكَ تلتئــم زَوَائِد الفوَائد وتنتظم شوارد الفرائد ورابعــا أضبط مَــا يشكل من جَميع مَا تقــدم أسمَاء وأوصافا مَــعَ إيضَاح مَعَاني الألفاظ اللُّغَويَّة والتنبيه على النكت البيانية وَنَحْو ذَلك وخامسا أورد مَا استفدته من كَلَام الأئمة مِمَّا استنبطوه من ذَلك الْخَبَر من الأحْكَام الفقْهيَّة والمواعظ الزهدية والآداب المرعية مُقْتَصرا على الرَّاجح من ذَلك متحريا للواضح دون المستغلق في تلْكَ المسالك مَعَ الاعتناء بالْجمع بَين مَا ظَاهره التَّعَارُض مَعَ غَيره» انتهى.

هاته أهــم الإشكالات التي حــاول ابن حجر الإجابة عنهــا في عصره، وكلها إشكالات تتعلق بصحيح البخاري، وفيها اعترافات ضمنية وبعضها تصريحية، علــى أن صحيح البخاري يعاني من عدة طعون ومشاكل، وانتقادات وإشكالات، وفيه الغريب والتدليس والشاذ أيضا، بل هناك مشكل في رجال البخاري والذين تم الطعــن فيهم حسب قــول ابن حجر العسقلاني، كل هذا الــكلام يضعنا، أمام حقيقــة يحاول الشيوخ إخفاءها، وهي أن هذا الكتاب الذي يقدسونه أيما تقديس قــد لقي معارضــة شديدة على مر التاريــخ، منذ تأليفه، وهــذا يتضح من خلال كل النقــول التي أوردناها، ومنها الانتقــادات الكبيرة التي وجهها حافظ عصره

-حسب تعبير ابن حجر- الإمام الدارقطني لصحيح البخاري.

بل من الأمور الخطيرة التي أوردها ابن حجر في مقدمة الفتح والتي عنونها بهدي الساري أنه توجد في صحيح البخاري أبواب لا يوجد فيها شيء، بما يؤكد تأكيدا قويا على أن الشيخ البخاري مات دون أن يكمل هذا الكتاب المنسوب إليه فيقول ابن حجر «قَالَ الشَّيْخ محيي الدّين نفع الله به لَيْسَ مَقْصُود البُخَارِيّ الاقْتِصَار على الأحاديث فَقَط بل مُرَاده الاستنباط مِنْهَا وَالاسْتدْلَال لأبواب أرادهَا وَلهَذَا الْمَعْنى أخلى كثيرا من الأبْوَاب عَن إسْنَاد الحَدِيث وَاقْتصر فِيهِ على قَوْله فِيهِ فلَان عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَو نَحْوُ ذَلِكَ وَقد يذكر الْمَتْن بِغَيْر إِسْنَاد وَقد يُورِدهُ مُعَلّقا وَإِنَّمَا يفعل هَذَا لِأَنَّهُ أَرَادَ الِاحْتِجَاج للمسألة الَّتِي ترْجم لَهَا وَأَشَارَ إِلَى الحَدِيث لكَوْنه مَعْلُوما وَقد يكون مِمَّا تقدم وَرُبمَا تقدم قَرِيبا وَيَقَع فِي كثير من أبوابه الأحاديث الْكَثِيرَة وَفِي بَعْضهَا مَا فِيهِ حَدِيث وَاحِد وَفِي بَعْضهَا مَا فِيهِ آيَة من كتاب الله وَبَعضهَا لَا شَيْء فِيهِ الْبَتَّةَ وَقد ادّعى بَعضهم أنه صنع ذَلِك عمدا وغرضه أن يبين أنه لم يثبت عِنْده حَدِيث بِشَرْطِهِ فِي الْمَعْنى الَّذِي ترْجم عَلَيْهِ وَمن ثمَّة وَقع من بعض من نسخ الْكتاب ضم بَاب لم يذكر فِيهِ حَدِيث إِلَى حَدِيث لم يذكر فِيهِ بَاب فأشكل فهمه على النَّاظر فِيهِ» مقدمة كتاب الفتح ص8.

هذه أيضا من الإشكالات التي راودت ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه فتح الباري، وهي إشكالية أن صحيح البخاري فيه أبواب لا أحاديث فيها، وفيه أبواب لا توجد فيها ولا آية قرآنية، بل هناك أبواب لا يوجد فيها شيء البتة، وهذا من الأمور التي أثارت جدلا في الساحة الفكرية المهتمة بدراسة كتب التراث، فكل هاته الزوبعة التي أثيرت حول الكتاب من تمجيد له يفوق الخيال، ويتجاوز الوصف، حتى نظمت فيه أشعار ترفعه إلى ما فوق عنان السماء، لكن عند التدقيق والتمحيص، نكتشف أنها زوبعة في فنجان، وأن قيمة الكتاب لا يجب أن تصل إلى ما وصلت إليه من تقديس، وأنه كتاب عادي جدا، وكل الآثار التي بين أيدينا والمرويات لا تقوى على أن تكون دليلا قاطعا على أن الشيخ البخاري ألف هذا

الكتاب كما هو بين أيدينا الآن.

بـل إن ابـن حجر اتهم البخاري بأنـه يورد حديثا في الباب مـن أبواب الجامع الصحيح رغم أن الحديث لاعلاقة له بذلك الباب، (....وأكثر منه حتى أنه ربما خرج الحديـث الذي لا تعلق له بالباب جملة إلا ليبين سمـاع راو من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئا معنعنا) مقدمة فتح الباري- ابن حجر ص 9.

من الإشـكالات التي وجدها ابن حجر أيضا، مشـكل تفضيل بعض الأعلام لصحيـح مسلم على صحيح البخاري، وانتقادهـم كون الحديث الواحد تجده في كتـاب الجامع الصحيح مقطعا على أبواب الكتاب، فـلا تتم كتابة الحديث بنصه الكامـل، بل يتم تقطيعه تقطيعا يفقـد فيه قيمته ومعناه، ويبتر عن سياقه بشكل غريـب، يقول ابن حجر: "قَالَ أَبُو علي النَّيْسَابُورِي وَبَعض عُلَمَاء الْمغرب صَحِيح مُسلـم أصح. انْتهى. وَمُقْتَضى كَلَام أبي عَلِي نفي الأصحيه عَن غير كتاب مُسلم عَلَيْه إما إِثْبَاتهَا لَهُ فَلَا لأن إطْلَاقه يحْتَمل أن يُرِيد ذَلك وَيحْتَمل أن يُرِيد الْمُسَاواة وَاللـه أعلم وَالَّذي يظْهر لي مـن كَلَام أبي علي أَنه إِنَّمَا قـدم صَحِيح مُسلم لمَعْنى غـير مَا يرجع إِلَى مَا نَحن بصـدده من الشَّرَائط الْمَطْلُوبَة في الصِّحَّة بل ذَلِكَ لأن مُسلمـا صنـف كتَابه في بَلَده بحُضُـور أُصُوله فِي حَيَاة كثير مـن مشايخه فَكَانَ يتحـرز في الألفاَظ ويتَحرى فِي السِّيَـاق وَلَا يتَصَدَّى لما تصدى لَهُ البُخَارِيّ من استنباط الأحكام ليبّوب عَلَيْهَا وَلزِمَ من ذَلك تقطيعه للْحَدِيث في أبوابه بل جمع مُسلـم الطّرق كلهَا في مَكَان وَاحد وَاقْتصر علـى الأحاديث دوَن الْمَوْقُوفَات فَلم يعـرج عَلَيْهَا إِلا في بَعْضـ الْمَوَاضع على سَبِيل الندور تبعا لَا مَقْصُودا فَلهَذَا قَالَ أَبُو علي مَا قَالَ مَعَ أَنِّي رَأيت بعض أئمَّتنَا يجوز أن يكون أَبُو علي مَا رأى صَحِيح البُخَارِيّ وَعنْدي في ذَلك بعد والأقرب مَا ذكرته وَأَبُو علي لَو صرح بِمَا نسب إليه لَكَانَ محجوجَا بِمَا قدمْنَـاهُ مُجملا ومفصلا وَالله الْمُوفق وَأما بعض شُيُوخ المغاربة فَـلا يحفظ عَن أحد منْهُم تَقْيِيد الأفضَليَّة بالأصحية بل أطلق بَعضهم الأفضَليَّة وَذَلِـك فِيمَا حَكَاهُ القَاضِي أَبُو الفضل عِيَاضـ في الإلماع عَن أبي مَرْوَان الطبني

بِضَــم الطَّــاء الْمُهْملَة ثمَّ اسكان الْبَاء الْمُوَحدَة بعْدهَا نــون قَالَ كَانَ بعض شيوخي يفضل صَحِيح مُسلم على صَحِيح البُخَارِيّ انْتهى" مقدمة الفتح ص12.

وقولــه: «وَقد رَأيت كثــيرا من المغاربة مِمَّن صنف في الأحْــكَام بِحَذْف الأسانيد كعبد الْحق في احكامه وَجمعه يعتمدون على كتاب مُسلم في نقل الْمُتُون وسياقها دون البُخَارِيّ لوجودها عنْد مُسلم تَامَّة وتقطيع البُخَارِيّ لَهَا فَهَذِهِ جِهَة أُخْرَى من التَّفْضِيل لَا ترجع إِلَى مَا يتَعَلَّق بِنَفس الصَّحِيح وَالله أعلم» مقَدمَة الفتح ص13.

وقولــه: «قَــالَ الْحَافِظ أَبُو الفضل مُحَمَّد بن طَاهِر الْمَقْدسِــي فِيمَا روينَاهُ عَنهُ فِي جُــزْء سَمَّاهُ جَوَاب المتعنت اعلــم أَن البُخَارِيّ رَحمَه اللَّــه كَانَ يذكر الحَدِيث فِي كِتَابــه فِي مَوَاضِــع ويستدل بِهِ فِي كل بَــاب بِإِسْنَاد آخر ويستخــرج مِنْهُ بِحسن استنباطــه وغزارة فقهه معنى يَقْتَضِيهِ الْبَاب الَّذِي أخرجه فِيهِ وقلما يُورد حَدِيثا فِي موضعــين بِإِسْنَاد وَاحِد وَلَفظ وَاحِد وَإِنَّمَا يُورِدهُ من طَرِيق أُخْرَى لمعان نذكرها وَالله أعلم بمراده مِنْهَا».

الملاحــظ أن ابنَ حجر أسهب في النقول في أمــر تقطيع الحديث بكتاب الجامع الصحيــح، وإيراد نفس الحديث بطــرق مختلفة، وأحيانا يتم إيراد الحديث بنفس السنــد لكــن بألفــاظ مغايرة، وهذا مــن الأمــور التي حيرت الحافــظ بن حجر العسقــلاني، وحــاول أن يجد لها تبريــرات، لكن إيراده النقــول الكثيرة في هذا الأمر له دلالته، التي توضح أن هذا النقاش في هاته المسألة كان نقاشا واسعا في القرن التاسع الهجري وهو العصر الذي تم فيه تاليف كتاب فتح الباري.

أما بالنسبة لي فاختلاف لفظ الحديث بنفس السند، أو روايته من طرق مختلفة، بنفس اللفظ، ليدل على أن هذا الكتاب تدخل في كتابته أكثر من شخص واحد، فــلا يمكن أن يورد نفس المؤلف نفس الحديث بنفس اللفظ لكن بأسانيد مختلفة، أو يروي نفس الحديث بنفس الإسناد لكن بألفاظ مختلفة، إلا إذا كان المؤلف غير المؤلف، أي من أورد الحديث الأول ليس هو من أورد الثاني وهكذا.

وقد اعترف ابن حجر في كتابه فتح الباري بتدخل النساخ في صحيح البخاري

حينما قال: «ولم أقف في شيء من نسخ البخاري على ترجمة لمناقب عبد الرحمن بن عوف، ولا لسعيد بن زيد، وهما من العشرة. وإن كان قد أفرد ذكر إسلام سعيد بن زيــد بترجمة في أوائلٍ السيرة النبوية. وأظن ذلك من تصرف الناقلين لكتاب البخــاري. كما تقدم مراراً أنه ترك الكتــاب مسوّدة، فإن أسماء من ذكرهم هنا لم يقــع فيهم مراعاة الأفضلية، ولا السابقيــة، ولا الأسنية. وهذه جهات التقديم في الترتيــب. فلما لم يراع واحداً منها دل على أنه كتب كل ترجمة على حدة، فضم بعض النقلة بعضـها إلى بعض حسبما اتفق»! (مقدمة فتح الباري ج7 ص93).

لكــن الإشكال الأكبر الــذي عانى منه ابن حجر العسقــلاني، وبينه في مقدمة كتــاب الفتح، هــو أنه حتى القرن التاسع الهجري أي بعــد مرور ستة قرون على وفــاة محمد بن اسماعيل البخاري، فــإلى ذلك العهد لم تكن هناك نسخة واحدة موحــدة لصحيــح البخاري بل وجد ابن حجر ثلاث عشــرة نسخة، وكل واحدة منها تختلف عن الأخرى، وبعد أن أورد هاته النسخ وذكر رواتها وأسانيدها قال: «فليقع الشروع في الشرح والاقتصار على أتقن الروايات عندنا وهي رواية أبي ذر عــن مشايخه الثلاثــة لضبطه لها وتمييزه لاختلاف سياقها مــع التنبيه إلى ما يحتاج إليه مما يخالفها "مقدمة الفتح ص6"

وهــذا معناه أن النســخ الأخرى كانت بالنسبة للبخاري غــير موثوق بها، مثل نسخة أبي ذر، وأن شرحــه لصحيح البخاري سيعتمد بالأساس على نسخة أبي ذر الهروي، مع الاعتماد على النسخ الأخرى فيما يخالف نسخته، وهذا يعني أن ابــن حجر صنع نسخــة أخرى جديدة، تعتمد في جوهرها على نسخة أبي ذر، مع نفحة مختلطة من باقي النسخ التي لم تصل لدرجة الأوثق عنده.

فالكثير من العامة يظن أن هناك نسخة واحدة وموحدة لصحيح البخاري، لكن الحقيقــة الماثلة أمامنا الآن وبشهادة أحد أعمدة هــذه الصناعة، أنه لم يكن هناك صحيح بخاري واحد، بل نسخ مختلفة اختلافا، جعل ابن حجر يعتمد بالأساس علــى واحدة مــن هاته النسخ مع مراعــاة ما يخالفها، من النســخ الأخرى، فأي

نسخة من النسخ المتعددة للجامع الصحيح، والتي تحدث عنها ابن حجر هي من ألفه الشيخ محمد بن إسماعيل البخاري؟!

إن الـذي تسبـب في هاتـه الفوضـى التي نعرضهـا من خلال هـذا الكتاب، هـو انعدام مخطوطـة أصلية كتبت بيـد الشيخ البخاري، أو بخـط أحد تلامذته المعلومين، مما يجعل فرضية أن صحيح البخاري الذي بين أيدينا الآن هو من تأليف الشيـخ البخاري، خرافة أخرى من الخرافات المتعلقة بهذا الكتاب، وأسطورة من الأساطـير المؤسسة له، وهاته المسألة تحيلنا على البـاب التالي من هذا الكتاب، المتعلق باختلاف نسخ صحيح البخاري.

اختلاف نسخ صحيح البخاري:

من الضربات القاصمة الموجهة لكتاب صحيح البخاري مسألة اختلاف النسخ يقــول ابن حجر العسقلاني فِي مقدمة كتاب الفتح، «قَالَ أَبُــو الْوَلِيد الْبَاجِيّ وَمِمَّا يــدل على صِحَــة هَذَا القَوْل أن روايــة أبي إِسْحَاق المستملــي وَرِوَايَة أبي مُحَمَّد السَّرخســيّ وَرِوَايَة أبِــي الْهَيْثَم الكشمهينــي وَرِوَايَة أبي زيد الْمــروزي مُخْتَلفَة بالتقــديم وَالتَّأْخِير مَعَ أَنَّهُم انتسخوا من أصل وَاحِد وَإِنَّمَا ذَلِك بِحَسب مَا قدر كل وَاحِد مِنْهُم فِيمَا كَانَ فِي طرة أو رقْعَة مُضَافَة أنه من مَوضِع مَا فأضافه إليه وَيبين ذَلِكَ أنك تجدَ ترجمتينَ وَأكْثر من ذَلِك مُتَّصِلَة لَيْسَ بَينهمَا أَحَادِيث قَالَ الباجِي وإنما أوردت هَــذَا هُنَا لما عَنى بِهِ أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بَين التَّرْجَمَة والْحَدِيث الَّذِي يَلِيهَا وتكلفهم من ذَلِك من تعسف التَّأْوِيل مَا لَا يسوغ انْتهى» مقدمة الفتح ص8

إن اختــلاف نسخ أو روايات صحيح البخــاري، لمن الأمور التي لا تقبل الجدل ولا يمكــن أن ينكرهــا أي باحث، واختلاف هاته الروايــات اختلافا كبيرا بشكل لا يمكــن تجاهلــه، وإن حاول ابن حجر وغيره التقليل مــن شأن هاته المسألة لكن اختلاف النســخ له دلالة قوية، على أن صحيح البخاري الذي بين أيدينا لا يمكن الجــزم بنسبته للشيخ محمد بن اسماعيل البخاري، بل الاختلاف في هاته النسخ لمــن الشواهــد القوية، التي تبرهن لنــا عن براءة البخاري من هــذا الكتاب، كما أن ذكرهــم لحقيقة أن هاتــه النسخ جاءت مختلفة مــن أشخاص انتسخوا كتاب البخــاري من نفســ المخطوطة، وهــذا مستحيل أن يتقبله العقــل الراجح، لكن الشيوخ لا يرون أي مشكل في تقبل هذا التناقض.

وقــد أقر بذلك أيضا الشيخ محمود أبو رية في كتابه الشهير أضواء على السنة المحمدية بقوله: "روايات البخاري تختلف في العدد: فعدد أحاديث البخاري يزيد في روايــة الفربري على عدده في رواية إبراهيــم بن معقل النسفي بمائتين، ويزيد

عــدد النسفي على عــدد حماد بن شاكــر النسفي بمائة كما ذكـره العراقي، وقد حــرر الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح البــاري أن عدة ما في البخاري من المتون الموصولة بلا تكرار 2602، ومن المتون المعلقة المرفوعة 159، فمجموع ذلك 2761، وقــال في شرح البخاري إن عدته على التحرير 2513 حديث «أضواء على السنة المحمدية ص307»".

إن هــذا الإختلاف بهذا الشكل ليجعــل الباحث يحار في ما أحيط به البخاري من تقديس، ومن شن حرب التكفير على كل من أراد أن يبين للناس هاته الحقيقة التي لا تخفى على كل من اهتم بهذا الكتاب.

ويؤكـد ابن حجر نفس الأمر في كتابه فتح الباري «باب القراءة والعرض على المحــدث» قولــه: "(تنبيه): وقــع في النسخة البغدادية - التــي صححها العلامة أبــو محمد بن الصغــاني اللغوي بعد أن سمعها من أصحــاب أبي الوقت وقابلها علــى عدة نسخ وجعل لها علامــات عقب قوله رواه موسى وعلي بن عبد الحميد عــن سليمان بــن المغيرة عن ثابت ما نصــه: حدثنا موسى بــن إسماعيل حدثنا سليمــان بن المغيرة حدثنا ثابت عــن أنس، وساق الحديث بتمامه. وقال الصغاني في الهامش: هذا الحديث ساقط من النسخ كلها إلا في النسخة التي قرئت على الفربري صاحب البخاري وعليها خطه. قلت: وكذا سقطت في جميع النسخ التي وقفت عليها. والله تعالى أعلم بالصواب".

ومن هذا أيضا ما ورد في فتح الباري ص 501 (قوله باب انتقام الرب عز وجل من خلقه بالقحط إذا انتهكت محارمه)

«هكذا وقعــت هذه الترجمة في رواية الحموي وحده خالية من حديث ومن أثر قال ابن رشيد كأنها كانت في رقعة مفردة فاهملها الباقون وكأنه وضعها ليدخل تحتهــا حديث وأليق شيء بها حديث عبــد الله بن مسعود يعني المذكور في ثاني باب من الاستسقاء وآخر ذلك ليقع له التغيير في بعض سنده كما جرت به عادته غالبا فعاقه عن ذلك عائق والله أعلم».

وقـد جاء في بحث صادر عن جامعـة الأردن بعنوان: "الروايات المنتقدة بسبب اختـلاف نسخ صحيـح البخاري" ما نصـه: "إن اختلاف نسـخ الصحيح تعبير يقصـد به تلـك الاختلافات التي وقعت بين رواة الصحيـح عن الإمام البخاري، سـواء أكانَ سببها الرواة عـن البخاري مباشرة، أو رواة الحلقـة الثانية أوالثالثة لصحيـح البخاري، ذلـك أن العلماء لم يكتفـوا بالتنبيه علـى الاختلافات التي وقعـت بين أصحاب الطبقـة الأولى عن البخاري ومن أشهرهـم ممن نبه العلماء علـى الاختلافـات التـي وقعت في نسخهـم: إبراهيـم بن معقـل النسفي(294 هجريـة)، وحماد بن شاكر (ت 311 هجرية)، و أبـو عبدالله محمد بن يوسف بن مطـر الفربري المتوفـى (320 هجرية). وإنما أشاروا كذلـك إلى الاختلافات التي وقعـت بين أصحاب الفربري-وهم أصحاب الطبقـة الثانية- كأبي زيد محمد بن أحمـد المروزي(ت 371 هجرية)، وأبي أحمد محمد بن مكي الجرجاني، و أبو علي سعيد بـن السكن(ت 353 هجريـة)، وأبي محمد الحمـوي (ت 381 هجرية) أبو الهيثـم محمـد بن مكي الكشميهنـي(ت 389 هجرية)، وأبو إسحـاق إبراهيم بن أحمـد بن إبراهيم المستملي(ت 376 هجرية) وغيرهم من أصحاب الطبقة الثانية، وكذلـك نبهوا على الاختلافات التي وقعت لأصحـاب الطبقة الثالثة للرواة عن الإمـام الفربري ويشمل ذلك الاختلافات التي وقعت في السند أو في المتن أو في العناوين أو في التراجم، أو غيرها من صور الاختلاف، المتعددة".

ويضيـف نفس المصدر «ومـن أشهر رواة الصحيح في الطبقـة الثالثة ممن نبه العلماء على الاختلافات في نسخهم للصحيح:

1- الإمام أبو محمد عبدالله بن إبراهيم الاصيلي (ت 392 هجرية): و يروي عن اثنين من أصحاب الفربري وهم أبو زيد المروزي، وأبو أحمد الجرجاني.

2- والإمـام أبو الحسـن علي بن محمد القابسـي (ت 403 هجرية، ويروي عن اثنين من أصحاب الفربري،وهم أبو زيد المروزي، وأبو احمد الجرجاني، وغيرهم.

3- والإمـام أبـو ذر الهـروي عبد بن أحمـد(434 هجرية)، ويـروي الصحيح

عــن ثلاثة من أصحاب الفربري وهم أبو إسحــاق المستملي، وأبو محمد الحموي السرخسي، و ابو الهيثم الكشميهني.

وسبــب وقوع الاختلافات بين هؤلاء الرواة تحديدا، يعود إلى أن رواية الفربري اشتهرت على بقية الروايات الأخرى، فقد امتازت رواية الإمام الفربري عن غيره مــن رواة الصحيح بأنــه سمع الصحيح مرتين عن الإمــام البخاري، المرة الأولى كانــت بفربر في سنة ثمان وأربعين ومئتين، ومرة ببُخارى في سنة اثنتين وخمسين ومئتين».

ما وقع في كتاب فضائل الصحابة، باب مَنَاقِبِ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حيث وقع أكثر من اختلاف منها:

1- سقوط ترجمة مضافة لنفس ترجمة الباب، مع سقوط حديث معلق عن فاطمة. قال ابن حجر: "زاد غير أبي ذر في هذا الموضع "وَمَنْقَبَة فَاطِمَةَ عَلَيها السلَام بِنْت النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: "فَاطِمَةُ سَيدَةُ نسَاء أهــلِ الْجَنَّة" وهذا الحديث سيأتــي موصولاً في باب مفَرد ترجمته: "منقبة فاطمة" وهو يقتضي أن يكون ما اعتمده أبو ذر أولى".

2- وسقط حديث مسور بن مخرمة، وحديث عائشة من نفس الباب من نسخة أبــي ذر والنسفي، ولكنهما أوردا الحديث في باب مناقب فاطمة.قال ابن حجر:«.. ثم ذكر حديث المسور: "فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني" وهو طرف ثم يعلل البحث هذه الاختلافات وإنما هو تصرف من رواة النّسخ في مسألة الترتيب في بعض المواضع، واجتهادهم في ذلك، و يعتبر هذا من باب الاختلاف في التقديم والتأخير في النسخ».

ويضيــف ذات المصــدر «السبــب السادس: وقــوع الوهم أو الخطــأ من راوي الصحيح دون وجود تعليل لهذا الخطأ: ومن صور ذلك:

1- مــا وقــع في نسخة عن النسفي وأبي زيد المروزي عــن الفربري، من تعليق حديث بدل وصله بسبب حذف سماع البخاري من ثابت وهو ابن محمد العابد.

2- وهــم في نسخة ابــن السكن إذ التبســ عليه اسم شيخ البخــاري: فجعله إسماعيــل بن زرارة، وليس في شيوخ البخاري على الراجح إسماعيل بن زرارة، وإنما هو عمرو بن زرارة.

3- تفرد أبو الحسن القابسي في إضافة صيغة تحديث قبل المتابعة: فقال: "حدثنا محمد بن فليح" قبل المتابعة، فأوهم وصلها، و البخاري لم يدرك محمد بن فليح، والصــواب كما روت الجماعة معلقاً. وقــد أشرت إلى صور الاختلاف ومواضعها في كتاب الجياني من خلال الجــدول، ومن الاختلافات والانتقادات التي وجهت لصحيــح البخاري في كتاب الإمام أبــي علي الحسين بن محمد الغساني المعروف بالجيــاني 498هـ(والمسمى تقييد المهمل) وفي الصفحة الموالية جدول يوضح هاته الاختلافات.

جــدول (أ) يوضح صور الاختلافات التي نبه عليهــا أبو علي الجياني في كتابه ووقعــت لــرواة صحيح البخاري، مع بيــان ترتيب الحديث الــذي نبه على وقوع الاختلاف فيه بحسب تسلسله في كتابه:

الرقم	صورة الإختلاف التي نبه عليها أبو علي الجياني	الأحاديث التي ورد فيها الإختلاف في كتاب تقييد المهمل (قسم البخاري التنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيحين)
1	إبدال راو براو	وقع هذا النوع من إلاختلاف في ثلاثين حديث وهي: 9/10/20/21/36/38/39/46/48 /51/52/53/54/58/68/69/74/78/80/82 /91/94/95/96/97/98/100/101/107/113
2	حذف راو من السند	في أربعة عشر موضعًا: 3/ 8/14/18/30/44/45/ 49/73/85/87/99/102/124/129
2	حذف راويان من الإسناد	حديث واحد: 76 من نسخة أبي زيد المروزي حذف راويان من بداية الإسناد.
3	زيادة راو في السند	في عشرة أحاديث: 17/22/33/34/61/92/123/127/134/105
4	زيادة واو العطف في السند	في حديث: 90: حدثنا محمد بن سيرين وحدثني معبد بن سيرين، والصواب حدثنا محمد بن سيرين، حدثنا معبد بن سيرين.
5	الاختلاف في تقييد مهمل	في حديثين: 6/59
6	وهم(خطأ) في تسمية راو في السند	في سبعة أحاديث: 1/15/23/25/65/88/112/118
7	وهم(خطأ) في نسبة راو في السند	في ثمانية أحاديث: 19/27/28/31/32/55/57/ 118
8	اختلاف في ضبط اسم راو في السند	في خمسة أحاديث: 29/33/72/125/133
9	تسمية راو مبهم في السند	في حديث: 64

10	وهم(خطأ) في وصل الحديث بدل إرساله	في حديثين: 47/26
11	قلب إسناد	في حديثين: 93/43
12	وقوع سقط في المتابعة	في حديث: 16
13	تعليق حديث بدل وصله	في حديث: 35، حذف صيغة التحديث بين البخاري وشيخه
14	وصل حديث بدل تعليقه	في حديث: 37 زاد صيغة تحديث فأوهم الإتصال ولا يصح.
15	قلب اسم راو	في حديثين: 89/43
16	شك في تحديد راو في السند	في ثلاثة أحاديث: 135/63/60
17	تنبيه على نسبة راو في السند	في أربعة أحاديث: ثلاثة منها نبه فيها ابن السكن على نسبة راو: 119/109/75، وموضع نبه فيه الأصيلي على نسبة راو: 79.
18	اختلاف في تقييد اسم راو أو في نسبته	في ثلاثة أحاديث: 122/110/59
19	إبدال حرف بحرف (عن بواو العطف) والعكس	في حديثين: 116/90
20	إبدال في صيغة المتابعة (عن) بدل (في).	في حديث:(13) من التنبيهات
21	تصحيف في اسم راو	في تسعة أحاديث: 106/81/72/56/49/11/7 121/120/115
22	حذف في المتن	حذف حرف العطف فتغير المعنى في حديث واحد: 66
23	تصحيف في المتن	في ثلاثة أحاديث نبه عليها: 111/103/84.

جدول (ب) يبين أهم نسخ صحيح البخاري وعدد الروايات التي انتقدها الإمام الجياني لكل منها:

الرقم	اسم راو النسخة	عدد الروايات المنتقدة التي وقعت فيها بعض الأوهام ونبه عليها الجياني، وأصاب في ذلك، مع ذكر موضع كل منها من كتاب الجياني بحسب ترتيبها المتسلسل في الكتاب:
1	نسخة الفربري	خمس روايات نبه عليها الجياني: الثالث والرابع منها نسبها الجياني للبخاري، ولكن استدرك عليه ابن حجر وبين أنها من الفربري. -حذفت عبارة من رواية الفربري في المتابعة التي ساقها البخاري بعد الحديث (16) -سقط من نسخة الفربري رجل في الإسناد وهو (أبو جمرة(49)) -إبدال راو براوي (روى الحديث عن ابن عمر) والصواب عن ابن عباس (51). (نبه على ذلك ابن حجر في الفتح). تسمية راو، لم يسمه البخاري، وهو أبو جعفر المنادى (88) نبه على ذلك ابن حجر في الفتح، واستدل برواية النسفي. -نسب (الفضل بن دكين) وهو معروف بنسبه إلى جده، إلى والده فقال (الفضل بن زهير) (110).
2	إبراهيم بن معقل النسفي	ثلاث روايات: 74/42/35
3	أبو علي بن السكن	عشرون رواية: 6/10/12/17/ 21/ 29/ 36/ 52/ 53/ 54/ 64/ 68/ 69/ 80/ 101/ 102/ 107/ 108/ 113/ 134

4	أبو زيد المروزي	تسع عشرة رواية: 1/ 5/ 15/ 18/ 30/ 34/ 35/ 39/ 42/ 45/ 52/ 76/ 77/ 87/ 103/ 121/ 125/ 127/ 135
5	أبو الحسن القابسي عن أبي زيد المروزي	خمس روايات: 7/ 20/ 58/ 98 وفي نسختي القابسي وعبدوس عن أبي زيد نبه الجياني على وهم وقع في نسختهما (92)
6	أبو محمد الأصيلي عن أبي زيد المروزي	موضعان: 22/98
7	أبو أحمد الجرجاني	إحدى عشرة رواية: 12 34/42/47/52/65/82/92/93/94/103
8	الأصيلي عن أبي أحمد الجرجاني	خمس عشرة رواية: 9/ 46/ 66/ 74/ 78/ 79/ 84/ 89/ 95/ 96/ 106/ 111/ 117/ 124
9	أبو محمد الأصيلي	ست عشرة رواية: 25/ 26/ 27/ 28/ 32/ 48/ 60/ 61/ 73/ 100/ 109/ 114/ 118/ 120/ 126
10	أبو الحسن القابسي	خمس عشرة رواية: 11/ 31/ 37/ 38/ 43/ 44/ 56/ 57/ 81/ 90/ 97/ 99/ 119/ 120/ 133/
11	أبو ذر الهروي	نبه الجياني على ثلاثة أوهام وقعت في رواية أبي ذر (33/70/104) وفي نسخته عن الكشميهني خمسة أوهام (1/3/13/49/98) وعن أبي محمد الحموي أربعة (3/8/19/84)، وعن المستملي اثنان (55/116).

مـع إلاشارة إلى أن هاته النسخ كلها لا وجـود لنسخة أصلية لها أي لا وجود لمخطوطة بخط يد أصحابها المنسوبة إليهم، بل هي مجرد نسخ منسوبة إليهم من نساخ أغلبهم مجهولين، ورغم ذلك يصر هؤلاء الشيوخ بأن صحيح البخاري من تأليـف محمد بن اسماعيل البخاري، رغـم كل هاته الحقائق التي بين أيدينا الآن والتـي نعرضها أمام القراء من كل الأمصار، ليحكمـوا بيننا وبين هؤلاء، من منا المصيب ومن المخطئ؟

من ألف صحيح البخاري؟

أظـن أنه بعد هاته الجولة التي قمنا بهـا، وباعتماد الأدلة القوية التي بين أيدينا، يحـق لنـا أن نتساءل، ونكـرر السؤال المحـرج، من هو المؤلـف الحقيقي لكتاب صحيـح البخاري؟ لنخلصـ باعتماد نفس الأدلة المقدمـة في كتابنا هذا، إلى أن مؤلفـه مجهول، فلا وجود لمخطوطة واحـدة، أو حتى جزء من مخطوطة لصحيح البخـاري بخط محمد بن اسماعيل البخاري، ولا وجود لمخطوطة واحدة أو جزء من مخطوطة لنفس الكتاب بخط أحد تلامذة البخاري، ولا وجود أيضا في العالم أجمـع لمخطوطة واحدة أو جزء مـن مخطوطة بخط أحد تلامذة تلامذة البخاري، لنجـد أنفسنا أمام كتاب غريب المصدر مجهـول الأثر، وحتى أولئك الذين يظن أنهـم من أوصلوا لنا صحيح البخـاري أونقل عبرهم إلى باقي الأجيال، يؤكدون علـى أن ما ألفـه الشيخ البخاري هـو كتاب لم يكتمل، ويشهـدون أيضا وبملء إرادتهـم حسب نفس المرويات التي وصلت إلينا من كتبهم، ومن كتب شيوخهم الذيـن يعتبر كلامهم فيصلا في هذا البـاب، أنهم تصرفوا في ذلك الكتاب الذي مـات البخاري دون أن يكملـه، بالإضافة والبتر وجمع هـذا إلى ذاك، وأن نفس الكتـب تقول لنا بأن نسخ من نقل الينا مـن خلالهم هذا الكتاب جاءت مختلفة ومتضاربة، إننا إزاء معضلة حقيقية، فكل المحدثين يعرفون هذا لكنهم يتجاهلونه، ويغلطـون الناس، ويخفون الحقيقـة المرة، كل هذا فقط ليعيشـ الكهنوت، فهو يقتـات على مثل هاته الخرافات، ويحقق وجوده منهـا وبها، وبالتالي لا يمكن أن يستغنـي عن هذا التراث المليـء بمنابع الإرهاب، التي وجـب تجفيفها، والقضاء عليهـا قضاء مبرما، بمثل هاتـه البحوث التي تنبش في حقيقـة ما يحاول هؤلاء ترويجـه بديـلا لنا عن كتاب الله، حتـى لأني استمع الساعـات الطوال لخطب هـؤلاء الشيوخ، فلا يـكادون يستدلون بآية من كلام اللـه واحدة، بينما تجد قال فلان عن فلتان هي المسيطر على كلامهم، ليرفعوا تلك الأقوال إلى مكانة القداسة

ويسدلون عليها من حلل العصمة ما تيسر لهم، وما لم يتيسر.

من حقنا إذن أن نقول لهم إن صحيح البخاري كتاب مجهول المؤلف، لا أصول لـه، ولا حقيقة لوجوده، فهو كتـاب لقيط، جمع بين طياته أهـواء أناس، وضعوا فيه مـا أرادوا ليبرروا أفعالهم، ويؤسسوا عليهـا كهنوتهم، ونحن نعلم أن هؤلاء سيضيعـون بضيـاع هاتـه المرويات، فلا وجـود حقيقي لهم إلا بهـا، ولا عيش لهـم بدونها، فهي قوتهم الـذي عليه يعيشون، لذلك فهـم يستميتون في الدفاع عنهـا أيما استماتـة، لأن إسلامهم إسـلام هاته المرويات، لا إسـلام القرآن الذي قـال عنه الله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (9) مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (10) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (11)﴾ (الجاثية: من الآية 6 إلى الآية 11).

والله المستعان عما تصفون.

الفهرس